

تفسير آيات المقربين

الجزء الخامس
من سورة الصف إلى سورة العصر

الشيخ فوزي محمد فوزي

دار الإفتاء والحياة

تُمْ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين - جزء ٥
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبو زيد
الطبعة الأولى	١٨ رجب ١٤٤٠هـ - ٢٥ مارس ٢٠١٩م
كتاب رقم	المائة والثاني عشر من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب الثاني عشر
الداخلي	٣٠٤ ص * ٨٠ جم / ١٧ * ٢٤ سم، ١ لون واحد
الغلاف	كوشيه مط * ٣٥٠ جم * ٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادي، القاهرة، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠ ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
إيداع محلي	٢٠١٩/٧٤٠٢
ترقيم دولي	٩٧٨-٩٧٧-٩٠٦٢-٣٥٨
باركود	07402 9 789779 062358
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منزل القرآن على رسوله الذي علمه البيان سيدنا محمد وآله نجوم الهدى والعيان وأصحابه أهل الضياء والنور والإيقان ...

اختار الله تبارك وتعالى لنا في لقاءاتنا الدينية في كافة البلاد التي ننزلها أن يبدأ اللقاء بعد صلاة المغرب أو العشاء، ويكون بتلاوة آيات يختارها القارئ من القرآن الكريم ثم نقوم بشرحها وتفسيرها وأخذ العظة البالغة منها على حسب ثقافة وأذواق السامعين، وقد جمع الأحباب قبساً من هذه الآيات في جزئين كبيرين هما (نفحات من نور القرآن) الجزء الأول والثاني، وقد تم طباعتهما.

ورأينا بعد ذلك أن نختار موضوعات محددة ونتبعها في آيات القرآن الكريم شارحين ومفسرين مع ربط الآيات ببعضها بموضوعها في تسلسل قويم ..

وبدأنا في ذلك بآيات المناسبات الدينية، والتي تمر بالمسلمين طول العام كالإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وشهر رمضان بما فيه من آيات الصيام ويوم بدر ويوم الفتح وليلة القدر وعيد الفطر، وكذلك يوم عرفة والحج والأضحية وعيد الأضحى، بالإضافة إلى يوم عاشوراء، وذكرى الهجرة النبوية الشريفة، هذا بالإضافة إلى ذكرى المولد النبوي الشريف، وقد تم طباعتها في كتاب (تفسير آيات المناسبات).

ثم جمعنا الآيات المتعلقة بالأدب مع الحضرة الحمديّة وطبعناها في كتاب سميناه (الآداب القرآنية مع خير البرية)، ثم كانت الإشارة لجمع الآيات التي تتحدث عن المقربين وأوصافهم وفتوحاتهم وجزاؤهم عند الله في الآخرة وفي الجنة، وقد طبعنا منه أربعة أجزاء ضخمة وأنهيينا اليوم هذا الجزء وهو الخامس والأخير ليتم طباعته لتكتمل أجزاء كتاب (تفسير آيات المقربين).

وهذه المعالجة للآيات القرآنية تعد في باب التفسير من التفسير الموضوعي الذي يراعي حديث القرآن المتعدد عن موضوع واحد في كل آيات كتاب الله وقد اخترنا هذا

المنهج في التفسير لملاءمته للحياة العصرية ومناهج العلوم الحديثة، وكذلك لتركيز أذهان السامعين والمتابعين وعدم تشتيت أذهانهم في التنقل بين كثير من الموضوعات، خاصة في هذا العصر الذي تشتت فيه الأذهان نظراً لكثرة المشاغل الدنيوية وتعدد الأحداث الكونية وازدحام المشاكل والمهموم العائلية.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل في هذا الكتاب الخير والنفع والنور والهدى؛ لمن قرأه أو سمعه، وأن يجعل فيه الأجر الكريم والثواب العظيم لكل من سجد له، أو فرّغه، أو كتبه، أو طبعه ونشره.

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

اليوم الجمعة غرة شهر رجب ١٤٤٠ هـ

الموافق ٨ من مارس ٢٠١٩



البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تِجْرَةٍ
تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۖ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ ﴾

(الصف)

١. تجارة لن تبور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده وحده مفاتيح القلوب، وهو الذي يُشرق فيها بنوره الموهوب من حضرات الغيوب، حتى يكون العبد في الدنيا مؤمناً بالله، مصداقاً بحبيبه ومصطفاه، متصلاً نور قلبه بنور مولاه، ونور حبيبه ومصطفاه، ونور كتاب الله جل في علاه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا هداه، ووقفنا أجمعين للإتصال بنوره قلبياً والافتداء به ظاهرياً في هذه الحياة، واجمعنا جميعاً على حوضه الميمون، واجعلنا ممن يشرب بيمينه الشريفة كأساً مليئةً هنيةً لا نظماً بعدها أبداً، وتجلّى علينا يا متجلي وانظر إلينا نظر عطف وحنان، واجعلنا من أهل المساكن المجاورة لحضرته في الجنان، حتى نكون دائماً وأبداً في منازل الرضوان نتمتع بجوار النبي العدنان، وتنتعم بالنظر إلى وجه حضرة الرحمن أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

هذه الآيات تدل على المكانة العظيمة للمؤمنين عند رب العالمين، فبمجرد ما يتمنى أمراً يجد الله ﷻ يُلبى طلبه ويُحقق رجاءه.

أسباب النزول

ذُكر في أسباب نزول هذه الآيات أن نفرأ من أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، قالوا: يا رسول الله لو يُخبرنا الله تعالى بأحب عمل إليه لسارعنا إلى تنفيذه، أمنية يتمنّوها، فاستجاب الله ﷻ لهذه الأمنية، ونزل هذه الآيات القرآنية.

وكان أبرز هؤلاء سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله تبارك وتعالى عنه، وقد كان مأخوذاً بالكلية في الحضرة الإلهية - كمن نسّميه بالمجذوب في زماننا - وكان قريباً من حضرة النبي ﷺ على الدوام، وورد أنه قال لرسول الله ﷺ: لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرّمت اللحم ولا أنام بليل أبداً ولا أفطر بنهار أبداً! فقال رسول الله ﷺ:

١ سوهاج - جرجا - مسجد الرحمن الرحيم بقرية بيت داود ٩ من صفر ١٤٤٠هـ / ١٨ / ١٠ / ٢٠١٨م

{ إِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ، وَلَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ إِنَّمَا رَهْبَانِيَّةَ أُمَّتِي الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَخِصَاءَ أُمَّتِي الصَّوْمِ، وَلَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَمِنْ سُنَّتِي أَنَامُ وَأُقُومُ، وَأَفْطُرُ وَأُصُومُ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، فقال عثمان: والله لَوَدِدْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ أَيُّ التِّجَارَاتِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فَأَتُجِّرُ فِيهَا؟ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (الآيات) ٢

نزل الجواب في الكتاب من خزائن الكرم الوهاب تبارك وتعالى له، وللصحابة وأهل العصر، وللمؤمنين أجمعين إلى يوم الدين، جواب عام لكل المؤمنين بالله تبارك وتعالى في كل وقت وحين.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ :

عندما نسمع الخطاب نجد الذوق الرفيع من الكرم الوهاب في معاملة المؤمنين، فهذا النداء تعظيم من الله ﷻ، والنداء هنا من حبيب قريب، لمؤمن آمن بالله تبارك وتعالى وقلبه إليه قريب، نداء محبة ومودة من الله لعباده المؤمنين، بينما هو تبارك وتعالى كان ينادي على اليهود في كتابهم: (يا أيها المساكين) وهذا نداء التوراة دائماً، لكن نداءنا: ... (يا أيها الذين آمنوا).

النجارة الراجحة

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾ :

نحن نفهم أن التجارة هي أموال ومقتنيات نشترى بها أي بضاعة من البضاعات، فهذه هي التجارة في مفهومنا، لكن هناك تجارة راجحة ليس فيها خسارة، وليس فيها كساد، وليس فيها أي شيء من الذي يطرأ على التجارات الدنيوية، وهي التجارة مع رب العزة تبارك وتعالى، واسمها التجارة الراجحة على الدوام.

٢ ورد في تفسير القرطبي عن مقاتل وفي حاشية الصاوي على تفسير الجلالين عن بن مضعون، أنه قال لرسول الله: لو أذنت لي فطلعت خولة وثر هبت و اختصيت و حرمت اللحم ولا أنام الليل أبداً ولا أفطر النهار أبداً فقال: (الحديث).

النجاة من العذاب

ولماذا هذه التجارة؟ ﴿تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي قراءة أخرى: "تُنَجِّكُمْ" والعذاب الأليم ليس في الآخرة فقط، فأشدُّ العذاب الذي يكون في الدنيا، كالمه والغم والحزن والنكد والبؤس والشقاء والمرض والتعب ... كل هذا نوعٌ من أنواع البلاء، وهذا يكون عذاباً لو أن صاحبه يئس من كرم الله، ولم يرض بقضاء مولاه.

لكن المؤمن الذي يرضى بقضاء الله مع أخذه بالأسباب وعدم تركها، فإن الله ﷻ يُحوّل كل هذه العذابات إلى تكفير للسيئات، قال ﷻ:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَّرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ }^٣

جعل الله عذابها في الدنيا بالزلازل والأمراض والنكبات، لماذا؟ لأنها تُخفف عن الإنسان ما عليه من بلاء، وما عليه من ذنوب، وإن لم يكن عليه ذنوب فتكون له رفعة إلى المقامات العُلى في الجنة عند حضرة علام الغيوب، قال ﷻ:

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَدْيٍ وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ مِنْ حَطَايَاهُ }^٤

لمن هذا؟ للمؤمن الذي لا يشكو الله إلى خلق الله، ولا يتبرم ويُعلن الاعتراض على قضاء مولاه، ولكن - كما قلت - مع الأخذ بالأسباب التي أوجدها الله في هذه الحياة.

ولا يجوز أن نختبر رب العزة، كيف؟! يعني إنسان يمرض فيقول: إن كان كتب الله لي الشفاء بدون ذهابي إلى طبيب أو بدون أخذ الدواء فسأشفي، فهل أنت تمتحن الله؟! والنبي قال:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }^٥

٣ سنن أبي داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قيس

٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري

٥ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك

فلا بد من الأخذ بالأسباب، ويكون يقيني في قلبي أن الشفاء ليس من الطبيب، ولا من الدواء، وإنما من الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠ الشعراء) وانظر إلى أدب أبو الأنبياء، لم ينسب المرض إلى الله، مع أنه لم يأت بالمرض لنفسه، ولكن نسب المرض لنفسه، لماذا؟ لأن المرض ربما لخطأ قد ارتكبتة، أو لذنب فعلته، أو لغفوة غفوت فيها، والله يُجني فيريد أن يطهرني على الدوام حتى أخرج من الدنيا ولا أدخل في ديوان المحاسبة مع باقي الأنام.

من أسرار البلاء

فمن حب الله للمؤمنين.. يُريد أن يخرج من الدنيا إلى الجنة، أو إلى لقاء الله، أو إلى جوار حبيبه ومصطفاه، ولذلك قال الله في أغلب المؤمنين في هذا الزمان وغيره: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠ الزمر) الذي يصبر على أي أمر في الدنيا يدخل الجنة بغير حساب.

رجل من أصحاب حضرة النبي ﷺ اعتراه الخوف عند سكرات الموت، فجاءه حضرة النبي ليُشره، فقال:

{ كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَّنَّهُ مِمَّا يَخَافُ }^٦، وقال ﷺ: { الْحُمَّى كَيْرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }^٧

من ذاق الحمى مرة واحدة في الدنيا فقد قضى ما عليه من العذاب إن كان له عذاب في الآخرة، فيخرج من الدنيا وليس عليه شيء، كمن مكث في الحبس ستة أشهر، وبعدها صدر حُكم القاضي بسجنه ستة أشهر، فكم يوم سيسجن بعد ذلك؟ ولا يوم، لأنه قضى الحبس، وكذلك نفس الأمر - والله المثل الأعلى - فالحمى نصيب المؤمن من نار جهنم.

٦ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ

٧ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن شعون بن زيد ﷺ

فإذا كان عليه ذنوب يُخففها علام الغيوب بهذا القضاء مع أنه يسبقه بجند لطفه، ويُخففه بجوده وكرمه، ولولا جند اللطف الإلهي ما استطاع أحدٌ منا أن يتحمَّل شوكة إبرة، لكن اللطيف يلف بنا قبل نزول البلاء.

فإذا لم يكن الإنسان عليه شيء، ولكن يتمنى منزلةً عظيمة في الجنة، وعمله لا يُوصله إليها، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ لِلْإِنْسَانِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَبْلُغُهَا، فَلَا يَزَالُ يَنْتَلِيهِ اللَّهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا }^٨

يأخذها بالبلاء الذي نزل وصبر عليه وتحمله في هذه الحياة الدنيا، وهذا هو السر لأمة المصطفى، لأن بعض المعترضين يقولون: كيف نكون مؤمنين ونُصلي ونصوم ونُحج ونعمل بما كلَّفنا به الله وعندنا فقر وعندنا أمراض وعندنا كذا وكذا؟! والكافرين من أهل أمريكا وأوربا وغيرهم يتمتعون بخيرات وصحة وعافية وأشياء لا تُعد ولا تُحَد؟! مثل هذا نسي قول رسول الله ﷺ:

{ أَوْلَيْكَ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }^٩

جائز أن أحدهم له أعمال من الخير، لكن الله يُعطيه أجره في الدنيا ليخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يطالب بها رب العزة ﷻ، لأن هؤلاء أهل جهنم والعياذ بالله. ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ الوقفة الماضية لتريح النفوس فقط، لكثرة الشكاوى التي بين المؤمنين، وكثرة الاعتراض على أقدار رب العالمين، والتي لم تُحصَل فيها حتى نساء الأنصار والمهاجرين.

فالمرأة التي كانت هي وزوجها وليس عندهما غير جلباب واحد، فيذهب ليُصلي مع رسول الله في الجماعة الأولى ويخرج سريعاً ويعود لمنزله لتلبس زوجته نفس الجلباب وتُصلي في أول الوقت، لأنهم كانوا حريصين على الصلاة في أول الوقت، قال ﷺ:

٨ مسند أبي حنيفة عن عائشة

٩ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } ١٠

وسيدنا رسول الله ﷺ كان شديد الملاحظة، فلا يوجد ألمعي ولا ذكي يضاويه ولا يشابهه، فلاحظ أن هذا الرجل يقوم بسرعة بعد انتهاء الصلاة، وهذا عمل لم يكن عليه النبي ولا أصحابه، كان لا بد بعد الصلاة أن يجلسوا قليلاً حتى يجتموا الصلاة، فسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

{ كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ } ١١

وفي رواية أخرى قال:

{ كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ١٢

وهذا الكلام للمعتزين على ختم الصلاة جهراً، مع أن الحديث واضح وصریح، متى يعرف أنهم أنهوا الصلاة؟ عندما يجلسون لختم الصلاة فيسمع أصواتهم عالية بالتسييح.

وعلمهم النبي ﷺ هدياً كريماً كان عليه سلفنا الصالح، لكننا أهملناه، هذا الهدى الكريم أن المصلي لا يتحرك من مكانه حتى يقوم الإمام، وهذا موجود في كتب الفقه الشرعية، طالما الإمام لا يزال في مكانه أطل جالساً، ومتى أمشي؟ إذا الإمام تحرك ومشى ... فلاحظ النبي أن هذا الرجل يخرج مسرعاً بعد الصلاة، فاستدعاه وسأله: وكانوا لا يكذبون، فقص عليه قصته فدعا النبي ﷺ أصحابه لمساعدة أخيهم، يتبرعون له بما يستطيعون، فأبطأ الرجل وعاد لبيته، فوجد زوجته خلف الباب قلقة وضجرة، فسألته: لم تأخرت؟! فحكى لها: فقالت له: أتشكو الله ﷻ لرسوله ﷺ؟! ما هذا الإيمان؟! هذا ما نحتاجه في هذا الزمان، مع أن الشكوى لحضرة النبي واردة في كتاب الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ (٦٤ النساء) يأتوك لك أنت، لكنها تريد استسلاماً تاماً للملك العلام.

﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ يعني أعرفكم وأصف لكم التجارة

١٠ سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﷺ
١١ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
١٢ الدعاء للطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

التي تنجيكم من العذاب الأليم يوم القيامة وفي الدنيا، وأكبر عذاب في الدنيا البعد عن الله: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (٣٦ الزخرف) ويقول مرة ثانية: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (١٢٤ طه) حتى ولو كان عنده مليارات!!، وحتى ولو كان عنده خزائن أكثر من خزائن قارون!!، لكن لو عرفته ستجده يعيش في هم وغمٍ ونكد لا يعلم مداه إلا الله، فالناس يغترون بالمظاهر، لكن الله يكشف لنا حقيقة هذه المظاهر.

من الذي يعيش في الدنيا في سعادة وفي نعيم؟ الذي يقول فيه الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧ النحل) يعيش في الدنيا في حياة طيبة، أما في الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧ النحل).

جديد الإيمان

﴿ تَوَّامُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾: وهنا العجب أن يكون النداء: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ثم يرجع ويقول: ﴿ تَوَّامُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ماذا يعني ذلك؟ يعني تحافظوا على الإيمان، وتحافظوا على قوة اليقين في حضرة الرحمن، إياك أن تختلف فيك شعرة مهما توالى عليك الحن في قدرة الله، وعظمة الله، وكفاية الله تبارك وتعالى لك في هذه الحياة ... وإياك أن تفعل كما يفعل بعض المحرومين عندما يُصاب بهزة صغيرة يسارع إلى الخطأ الشنيع أمام المخلوقين في حضرة رب العالمين، وهذا نسمعه كثيراً فيقول: لماذا أنا يا رب الذي يُصيبي كذا وكذا، ولماذا أنا الذي تبليه بكذا؟ لماذا أنت غاضبٌ عليّ؟ أنا أعلم أن الله لا يُجني لأنه عمل لي كذا وكذا، وهذا الكلام نسمعه كثيراً، مع أن الله سبحانه لو لم يكن يُجيبك لما ابتلاك، مَنْ أكرم الخلق عند الله؟ الأنبياء والمرسلين، ولكنهم أشد الناس بلاءً، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَمِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ يَمَسُّهُ الْبَلَاءُ،

حَتَّىٰ يَدْعُوهُ فَيَسْمَعُ دُعَاءَهُ } ١٣

لماذا يتبليه؟ حتى يناجيه وينادي عليه ويدعوه، وعندما ندعوه يأمر الله ﷻ الملائكة

أن يؤجلوا قضاء هذه الحاجة، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُو اللَّهَ ﷻ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا جَبْرِيلُ اقضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ، وَأَخْرَجَهَا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو اللَّهَ ﷻ وَهُوَ يُبْغِضُهُ، فَيَقُولُ: اقضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ بِإِخْلَاصِهِ، وَعَجَلِهَا، فَإِنِّي أَبْغِضُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ }^{١٤}

كما يحدث معنا في الدنيا، عندما يأتي أحدٌ لا أريده، فأقول لأولادي انظروا ماذا يريد لأني لا أحب أن أراه، أما من أحبه فأقول لهم: أدخلوه، وكلما أراد أن يقوم أقول له: انتظر حتى أتنس به.

كذلك نفس الأمر - والله المثل الأعلى - يريد الله منا أن نناجيه ونناديه ونقف على أبواب عطاءاته وهباته على الدوام، لأنه ﷻ يحب من عباده أن يكونوا دائماً ذاكرين شاكرين فاكرين حاضرين لحضرتة تبارك وتعالى في كل وقت وحين.

أحد الصالحين كان يطوف ببيت الله تعالى الحرام، فيقول: يا رب هل تُحِبُّني؟ فسمع هاتفاً ينادي: وهل يدعو إلى بيته إلا من يُحِبُّهم!!.. فالله سبحانه وتعالى يريدنا دائماً أن نُجَدِّد الإيمان، ولذلك كان ﷻ يقول لصحبه المباركين:

{ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ }^{١٥}

وتجديد الإيمان ليس بترديد (لا إله إلا الله) فقط، ولكن تجديد الثقة في الله، وتجديد اليقين القلبي في حضرة الله، حتى يصل العبد إلى كمال اليقين، ويعلم علماً لا يتغير ولا يتحول ولا يزول أن الأمور كلها بيد الله، وأن الله لا يصنع له إلا ما يُحِبُّه ويرضاه، وما فيه نفعه في الدنيا، وما فيه سعادته يوم يلقاه تبارك وتعالى.

فإذا وصل إلى هذا الحال فهذا اسمه مقام الرضا، والذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ أَرْضٌ يَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ }^{١٦}

١٤ معجم الطبراني عن جابر ﷺ، والترغيب في الدعاء للمقدسي عن أنس ﷺ

١٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ﷺ

عَادَ مَرِيضًا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قِيلَ لِي إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مَرِيضٌ فَذَهَبْتُ فَعُدْتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا اجْتَمَعَتْ فِي رَجُلٍ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي يَوْمٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ { ١٨

عبادات أنفع من قيام الليل، لأن من يقوم الليل قد تتنابه الوسواس والهواجس، وليس له من صلاته إلا ما عقل منها، لكن كونه أن يجبر خاطر إنسان فهذه عبادة أرقى وأعلى عند رب العزة تبارك وتعالى، فالنبي يُعَرِّفُنَا أَبْوَابَ الْخَيْرِ التي نحتاجها كلنا، والتي فيها جبر خاطر للمؤمنين والمؤمنات، فمن الذي في كل البلاد بين العباد أكثر الناس تنفلاً لرب العباد؟ الذي يسعى للصُّلح بين المتخاصمين، لقوله ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ { ١٩

الذي يجلس مع اثنين متخاصمين في ليلة ويُصلح بينهما أفضل ممن أحيا هذه الليلة وصلى فيها ألف ركعة لله تبارك وتعالى، لأن هذا عملٌ نافع للمسلمين.

هذه أبواب الجهاد التي فتحها لنا حضرة النبي ﷺ، والتي كان يتسابق فيها أصحابه المباركين، فسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر كيف كان جهادهم في قيام الليل؟ كانوا يمشون في المدينة يتحسسون الفقراء والمساكين ليساعدوهم.

سيدنا عمر وجد امرأة مُقعّدة وليس لها عائل يعونها، ولكن كلما ذهب إليها يجد البيت مكنوساً ومرشوشاً وعندها الماء وعندها الطعام، فسأها: من الذي يفعل لك ذلك يا أمة الله؟ قالت له: يأتيني رجلٌ لا أعرفه، فقال: سأنظر من يأتيها، فتخفى في مكان لا يراه فيه أحد، فوجد سيدنا أبو بكر هو الذي يأتيها ويفعل لها ذلك، فكان هذا قيام ليل سيدنا أبو بكر، وليت المسلمين في عصرنا هذا يفقهون هذا السر الذي به نالوا هذا البر، وهو العمل النافع لخير المسلمين أجمعين.

١٨ مسند البزار وتاريخ دمشق لابن عساکر عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ

١٩ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ

فالجهد في سبيل الله له أبواب كثيرة، ومن جملتها تجهيز المجاهدين بالسلاح وبالمال وبالمؤن وبالذخيرة وبالكسوة وغيرها، وهذا باب من ضمن الأبواب، لكنه ليس قاصراً على هذا الباب، فكل ما ينفع المؤمنين فهو باب من أبواب الجهاد ينبغي أن يمشي فيه المؤمن، ولكن كل ما في الأمر يجب عليه أن يُقدم فيه نية صالحة طيبة قبل هذا العمل لله .

الإنفاق

ولأن الإنسان دائماً أعز ما يشتهيهِ هو المال قدّم الله المال على النفس، فالإنسان قد يصوم وقد يقوم، لكنه لا يُخرج شيئاً من جيبه، فهذا شحيح، فما الذي يُظهر زُهد المؤمن وقوة الإيمان ورغبته في رضاء الرحمن؟ الإنفاق، والإنفاق الذي يُريده الله يسره لنا حضرة النبي فقال: { **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمَرَةٌ** }^{٢٠}، نصف تمره وليس تمره كاملة، وقال ﷺ:

{ **مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ ثَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيئُهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيئُ أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ** }^{٢١} وفي رواية: { **حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أَحَدٍ، فَتَصَدَّقُوا** }^{٢٢}

المرء يتصدق بالصدقة لا يُلقى لها بالاً - شئ بسيط جداً - فيجدها يوم القيامة كجبل أحد، فيقول: يا رب من أين لي هذا؟! فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا، أخذناها وربيناها لك فصارت كما ترى .. هل يوجد بنك في العالم كله يُعطي فائدة ٧٠٠%؟ لا يوجد إلا عند رب العزة تبارك وتعالى، وليس هذا فقط، ولكنه يضاعف لمن يشاء، وبكفي قوله ﷺ: { **الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ** }^{٢٣}

ما الذي يُظلني هناك ولا يوجد شجر ولا بيوت؟! صدقتي التي تصدقت بها لوجه الله، والتي مشيتُ فيها على قول الله: ﴿ **وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ (الإنسان).

٢٠ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ

٢١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٢٢ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

٢٣ مسند الشهاب وسير أعلام النبلاء للذهبي عن عقبه بن عامر ﷺ

طلب العلم

﴿ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

وهذه دعوة للعلم، فلا بد أن تتعلم وتطلب العلم لتعرف الخير والشر والضّر والنفع والحسن والأحسن، وإياك أن تقول في يوم من الأيام أنني تعلمتُ !!! لأن الله يقول لحضرة النبي ذاته: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤ طه) مع أنه قال له: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء) لكن لا تقف: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤ طه).

فالمؤمن لا يشبع أبداً، ولا يتوقف عن طلب العلم آناء الليل وأطراف النهار حتى يخرج من هذه الدنيا !!! فلا يقول في يوم من الأيام: كفى ما تعلمته وأعلم الناس، لا، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقد جمع مائة ألف حديثاً عن حضرة النبي، وكان قد حفظهم بعننتهم:، يعني فلان عن فلان عن فلان، وله مذهب فقهي، ومع ذلك كان يقول: (مع المحبرة إلى المقبرة) والمحبرة كانت الريشة التي يكتب بها.

واحد منهم كان يعالج سكرات الموت، ودخل عليه عالم، فقال له: أريد أن أعرف الحكم الفلاني في الميراث، فقال له: وأنت في هذه الساعة؟! فقال له: ولماذا أموت قبل أن أعرف هذه المسألة؟! يريد أن يستزيد من العلم، فهذا ما يريد أن يُعرفه لنا الله، لأن العلم هو المفتاح لفضل الكريم الفتح .

أجر المجاهدين

الذي يجاهد في سبيل الله بماله، وبنفسه، وفي أبواب الخير، وفي طلب العلم، ما أجره؟ ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ هذه الأولى، وإذا غفر الله للإنسان ذنبه فمم يخاف بعد ذلك؟! كل ما نبتغيه هو المغفرة، اللهم إنك كريم حليم تُحب العفو فاعف عنا، فبشرنا بالمغفرة، وماذا نريد بعد ذلك؟ ﴿ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ ﴾: ليس جنة واحدة، بل جنات، فهناك جنة الفردوس وجنة الخلد، وجنة عدن وجنة المأوى .. جنات لا عدّها ولا حد لها، قال ﷺ في ذكر بعضها:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ،

أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ { ٢٤

والفردوس هو مساكن النبيين والمرسلين، ومن لحق بهم من الصديقين والشهداء والصالحين، وجنات عدن دار الإقامة للمؤمنين والمتقين والصالحين في الجنة.

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾: والأنهار في الجنة بينها لنا الله في قوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (١٥مخ) كلها تجري في مجرى واحد، ولا يختلط بعضها ببعض بقدره القادر، وهذه الأنهار تنبع من تحت الفردوس الأعلى وتجري تحت قصور المؤمنين والمؤمنات ليكونوا في أسمى حلل الزينة والنور والنعيم في جوار الكريم .

النظر إلى وجه الله

مع هذه الأشياء هناك شيء آخر: ﴿ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وهذه المساكن الطيبة لن يطيب أهلها إلا برؤية وجه الله تبارك وتعالى، فبعد أن يدخلوا الجنة والحدود والقصور والنعيم المقيم، كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثُرِيدُونَ شَيْئًا أَرِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ نُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَنُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } { ٢٥

لا شيء أطيب ولا ألد ولا أهنأ من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ٣٢ ﴾ (القيامة)، ولذلك الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه وكان حكيماً وكلامه فيه إشارات عالية، يقول: إن في الجنة أناسٌ يتعذبون أكثر من أهل النار، فسألوه كيف يكونون في الجنة ويتعذبون؟! قال: لأنهم حُرِّموا من رؤية وجه الله تبارك وتعالى!! ماذا يصنعون بالجنة؟! أنت دعوتني في بيتك، وقدم لي أهل البيت الطعام والشراب وكل شيء، فسألت عنك فقالوا: لا يريد مقابلتك، فهل ساكل أو أشرب وأهتني بهذه

٢٤ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٢٥ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

الأشياء؟! لا، لأني هل أريد الدار أم صاحب الدار؟! صاحب الدار وهو الله ، وهذا النعيم الأعلى والأرقى والأعلى.

﴿ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ ﴾ طيبة لأنها في جوار حضرة النبي، وطيبة لأن القلوب فيها تتمتع بالنظر إلى جمال حضرة الله، وطيبة لأنها طابت بذكر الله ولا تميل ذرة ولا أقل لسواه، ولا تمنأ إلا بدوام التجليات الواردة عليها من حضرة الله تبارك وتعالى.

﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ القرآن مرة يقول: الفوز الكبير، ومرة يقول: الفوز العظيم، والناس يظنون أن هذا كلام مترادف، لكن هذا غير هذا، وهذا نعيم وهذا نعيم، وألوان النعيم وأصناف التكريم عند الرب تبارك وتعالى للمؤمنين قال فيها ﷺ:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }^{٢٦}

بشئ النص

ومن عجائب غيوب الله ﷻ للمؤمنين أنه ذكرنا في هذه الآية بما نحن فيه الآن: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذه تمشي مع قول الله قبل هذه الآيات: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٩الصف) وهل ظهر على الدين كله من أيام حضرة النبي إلى وقتنا هذا؟ لا، لأن البوذيين وغيرهم وغيرهم أكثر عدداً في العالم من المسلمين، لكن الله يُعَرِّفنا أنه سيأتي يومٌ وكل هؤلاء سيتحولون إلى الإيمان بالله، والتصديق بكتاب الله والإسلام، وإسلام الوجه لله ، قال ﷺ عن آخر الزمان: { وَثُمَّلَا الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَّبُ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا لِلْإِسْلَامِ }^{٢٧}

إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنحل ولم يبق إلا الإسلام، وهذا الذي يُبَشِّرنا به الله في هذه الآية، ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ قد يكون فتح بيت المقدس، والنبي بَشَّرَ به فقال:

٢٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

٢٧ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجْرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ :
يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَأَقْتُلْهُ }^{٢٨}

سيتم فتح بيت المقدس وسُنْصَلِي فيه إن شاء الله، لأن هذا عن قريب، لأن الله وصفه بأنه قريب، وقد يكون هذا الفتح من الله ﷻ على المسلمين في الخير والهناء والعلم حتى يتفوقوا على الكافرين الذين يتحكمون في مصائرنا، ويريدون إذلالنا بما وصلوا إليه من العلم الدنيوي، فنريد أن نغير هذه الأمور ونرجع سادة العالم كما كنا من قبل، ولكنها تحتاج الجهاد والعمل والعلم الذي طالبنا به الله .

الفتح القريب

وكَمَّلَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ يَكُونُ لَهُمْ فَتْحٌ قَرِيبٌ فِي قُلُوبِهِمْ، فيفتح الله القلوب بعد أن يظهوها من العيوب، ويرفع عنها الحُجُب فتتمتع بما ترى من أنوار الغيوب التي يكشفها لها حضرة علام الغيوب ، وهذا موجود في كل زمان ومكان، فكل من صدق مع الله يصطفيه مولاه، ويفتح قلبه، ويدخله في قول الله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وليس وحده ولكن: ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (١٧٥ الأنعام) الذين يصلون إلى مقام الإيقان يرزقهم الله النصر على أنفسهم، ويفتح لهم في قلوبهم فتحة نورانياً، فيشهدون أولاً في المنام حضرة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وصحابته الكرام، والصالحين المبرزين في كل زمان ومكان، ثم يفتح الله قلوبهم إلى عالم الملكوت الأعلى وعالم الجنان، فيكونوا كما قال القائل:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمين

سيدنا رسول الله سأل رجلاً منهم وكان اسمه حارثة، فقال له:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ
عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي،

وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أَهْبَرَزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ
يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ:
عَبْدُ نَوْرٍ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالزَّمْ { ٢٩

عرفت نفسي عن الدنيا يعني زهدتُ فيها، ثم أسهرتُ ليلي وأطمأتُ نهارِي، وهذا هو الجهاد، وسيدنا رسول الله يُبين لنا كيفية الطريق إلى الله، أوله الزهد في الدنيا، وبعد ذلك قيام الليل وصيام النهار، لكن قيام الليل وصيام النهار قبل الزهد لا يصلح.

قيل لبشر الحافي ﷺ وأرضاه: فلان الغني هذا يقوم الليل كله، فقال: مسكين دخل فيما ليس له فيه!، فقالوا: كيف؟ قال: إن عبادته أن يُنفق ماله هذا في سبيل الله، فلماذا يدخل في عبادة الفقراء؟! فقيام الليل للفقير الذي ليس معه، لكن هذا عبادته الإنفاق، وهو لا يريد الإنفاق ويستسهل قيام الليل، وهي ليست طريقته، ولكن طريقته إطعام ذوي القربى والفقراء والمساكين مما أتاه الله، فيجب أن يكون الزهد أولاً ثم قيام الليل وصيام النهار، وما النتيجة؟ قال:

{ وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أَهْبَرَزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ
يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ:
عَبْدُ نَوْرٍ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالزَّمْ }

نسأل الله ﷻ أن ينور بالإيمان قلوبنا، وأن يفتح عيون بصائرنا، وأن يجعلنا من عباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأن يأخذنا بهدية ونوره إلى منهجه القويم، وطريقه المستقيم خلف رسوله الرؤوف الرحيم، وأن يجعلنا من عباده الذين لا يملون عن ذكره طرفة عين ولا أقل، وأن يُنير لنا سبيلنا، ويُضيئ بصائرنا وأبصارنا، ويحفظنا بحفظه من فتن هذا الزمان، ويقينا شر شياطين الإنس والجان، ويُدخلنا في الدنيا والآخرة تحت لواء الأمان:

﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١٨٢ الأنعام).

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي

بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ (الجمعة)

٢. رسول الأمين ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، وشمس الحق المشرقة بنور هُداة، سيدنا مُحَمَّد الرحمة المهتدة، والنعمة المسداة، والشفيع لجميع الخلائق يوم نلقى الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْمُبَارَكِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الطيبين، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ أَجْمَعِينَ، وَانظُمْنَا فِي مَعِيَتِهِمْ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَأَدْخَلْنَا الْجَنَّةَ فِي صُحْبَتِهِمْ أَجْمَعِينَ .. آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

هذه الآيات تتحدث عن أربع أمور:

الأمر الأول: تسبيح كل الكائنات لخالق الأرض والسموات.

الأمر الثاني: صفات النبي الكريم الذي أرسله لنا العزيز الحكيم.

الأمر الثالث: بُشْرَى لنا جماعة المؤمنين المعاصرين، والذين يأتوا من بعدنا إلى يوم الدين.

الأمر الرابع: بيان فضل الله تبارك وتعالى علينا جماعة المسلمين.

تسبيح الكائنات

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بدأ الله هذه السورة بالتسبيح، وهناك عدة سور تُسَمَّى المسبحات، عددهم سبع سور، مرة يقول رب العزة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وتارة يقول: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مرة بالماضي، ومرة بالمضارع.

والمضارع للحاضر والمستقبل، لكي يُعرفنا أن كل الكائنات من البدء إلى الختام لا تملُّ ولا تكلُّ عن التسبيح لله، فكل ما نراه وما لانراه يُسبح الله جل في علاه، الطيور والأشجار والحيوانات والجمادات .. كل شيء في الكون يُسبح خالق الكون.

وما معنى سَبَّحَ؟ يعني يُنْزِهُه، ينزهه الله ﷻ عن المثليل وعن النظير وعن الوزير وعن

المشير، ويقرر الحقيقة التي يقولها العلي القدير:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

وسيدنا رسول الله ﷺ من جملة معجزاته أنه أسمع بعض أصحابه تسبيح الكائنات، يقول سيدنا أبو ذر ﷺ:

{ إِنِّي لَشَهِدُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصِيَّاتٌ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّخَنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ عُمَرَ، فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيَّ عُثْمَانَ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبَّخَنَّ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }^{٣١}

فكان بيان النبي ﷺ العملي أنه لا يسمع التسبيح إلا تقوي نقي، اتصل قلبه بالمولى العلي، واستنار فواده بنور النبي، هذا الذي هبأه الله لسماع تسبيح الكائنات:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

الكل يُسبح بحمد الله، ويُقدِّس الله ﷻ عن كل ما لا يليق بحضرته تبارك وتعالى، فالله ﷻ متنصف بكل كمال، وكل جمال، ومنزَّه عن أي صفة لا تليق بالجمال والكمال، فهذا التسبيح لله.

وكان ﷺ في زيارة لعمه العباس ﷺ، فطلب منه العباس الدعاء له ولأولاده، فدعا النبي، والعجب يقول الراوي:

{ فَأَمَّنتُ أُسْكُفَّةَ الْبَابِ وَحَوَائِطَ الْبَيْتِ، فَقَالَتْ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ }^{٣٢}

وأُسْكُفَّةُ الْبَابِ يعني عتبة الباب أو سياج الباب.

وكان ﷺ حتى قبل بعثته يحكي ويقول: { إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلُمُ عَلَيَّ

٣١ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر ﷺ

٣٢ دلائل النبوة للبيهقي ومعجم الطبراني عن مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ

قبل أن أبعث إنسي لأعرفه الآن { ٣٣ } وروت عائشة رضي الله عنها: { لما استقبلني جبريل بالرسالة، جعلت لا أمرُ بجرجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله { ٣٤ } وفي السيرة الحلبية: { وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً { الأحجار والأشجار والرمال كلها تنادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الله تبارك وتعالى ملاً السماوات بملائكته، فمنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، والملائكة لا تنام ولا تموت ولا تفوت، عمرٌ واحد من بدء الدنيا إلى أن تنتهي الحياة، فيخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم أنهم عند بعثهم مع أنهم في سجدة واحدة أو ركعة واحدة من بدء الدنيا إلى نهايتها، يقومون من هذه السجدة أو الركعة ويقولون:

{ سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ } ٣٥

مع أنهم في سجدة واحدة منذ خلقهم الله إلى أن يرث الله صلى الله عليه وسلم الأرض ومن عليها، هؤلاء الملائكة يقول فيهم صلى الله عليه وسلم:

{ مَا فِي السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٍّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ، أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا جَمِيعًا:
سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ } ٣٦

لماذا يُعْرِفُنَا اللهُ هذه الحقيقة؟ حتى لا تضحك علينا نفوسنا فنظن خطأ أن الله - حاشا لله - يحتاج إلى تسييحنا وعباداتنا، أو أننا نقدم شيئاً لربنا!، مع أننا مهما فعلنا لا نستطيع أن نفعل كما يفعل الملائكة الكرام، فما بالك بالأنبياء العظام؟! وما بالك بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؟! . فنستقل ما تقدمه الله، ونعلم علم اليقين أننا نُسَبِّحُ وإن كنا في مشاغل تشغلنا عن الله أثناء التسييح، فنسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل، على ما فيه من الأخطاء، وعلى ما فيه من العيوب، فإنه سبحانه وتعالى لو قابلنا بعدله، ما

٣٣ صحيح مسلم عن جابر بن سمرة .
٣٤ رواه البزار وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها.
٣٥ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٣٦ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

تقبل منا تسبيحة واحدة لحضرتة.

تسبيحة واحدة صحيحة يقول فيها سيدي أبو اليزيد البسطامي عليه السلام: (لو سبَّح رجلٌ بصدق يقين وإخلاص نية وحضور قلب لرب العالمين تسبيحة واحدة لكفته هموم دنياه وأخراه)، وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر لجل أحد وقال: { ربُّ رجلٍ من أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحه هذا الجبل }^{٣٧}، يعني التسبيح في حالة الحضور مع المذكور تبارك وتعالى، وهذا التسبيح له شأنٌ وله كيانٌ وله معرَّةٌ عند حضرة الرحمن، هذه التسبيحة الواحدة ورد في قدرها عن وهب بن منبه فقال:

{ كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفُ بَيْتٍ، أَغْلَاهُ قَوَارِيرُ، وَأَسْفَلُهُ حَدِيدٌ، فَرَكِبَ الرِّيحَ يَوْمًا، فَمَرَّ بِحَرَاثٍ يَخْرُثُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْحَرَاثُ، فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِي آلُ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا، فَحَمَلَتِ الرِّيحُ كَلَامَهُ، فَأَلْقَتْهُ فِي أُذُنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: فَنَزَلَ حَتَّى أَتَى الْحَرَاثَ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكَ، وَإِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنَّ تَمَنَّى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، لِتَسْبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ، فَقَالَ الْحَرَاثُ: أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ كَمَا أَذْهَبَتْ هَمِّي }^{٣٨}.

وبساط سليمان كان عبارة عن سجادة ^٤، لكنها كانت تتسع بأمر الله لكل من يأتيه مهما كان عددهم، وبعد أن ينتهي تعود مرة أخرى، فكان معه ذات يوم على هذا البساط خمسمائة ألفاً من الإنس، وخمسمائة ألفاً من الجن، غير الوحوش والطيور والوزراء والوجهاء والأمراء، وسخر الله له الريح، يأمرها فتأمر بأمره: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (ص٣٦) ورخاءاً يعني هادئة، أو ما نسميه النسيم الهادئ فلا تُصيب الإنسان بأذى، لأنها لو كانت زوابع فستحدث مشاكل، ولو كانت إعصاراً، كالأعاصير التي يُسلطها الله على أمريكا ليل نهار ليتَّعظوا لأحدثت مشاكل لا حد لها ولا عد لها، فأمر الريح أن تحمل البساط، وتمشي به، وكان البساط يحمل الهواء قريباً من الأرض فيراه الناس بدون مناظير وإنما بالعين العادية، وكان رجلٌ فلاح واقفاً في بيت المقدس، وكان مقر سيدنا سليمان في

٣٧ أخرجه الترمذی فی نوادر الأصول عن أبي موسى رضي الله عنه.

٣٨ رواه أحمد في الزهد عن إدريس بن وهب بن منبه، كما أورده صاحب الحلية

أنظر الحاشية رقم ٢٠٦ صفحة ١٤٧ لتقريب المعنى.

عندما أنظر في هذا كوب من اليأسون، المادة التي فيه سمّاها العرب: يأنسون وليست ينسون، فنحن لا ننسى الله ﷻ، وسموها يأنسون لأنهم كانوا عندما يجلسون مع بعضهم كان هذا شراب أنسهم، ولكن جرت عادة الناس أن يُسهلوا في النطق، فقالوا: ينسون، وأخطأوا، فالمفروض أن يقولوا: يذكرون!!.

هذه المادة أين زُرعت؟ الزارع كل ما صنعه أنه وضع البذرة في الأرض، فمن الذي أوجد البذرة؟ الله، ووضع فيها خريطة إلهية، كم فرع يخرج منها؟! وكم ثمرة؟! وكم حبة؟! وكل حبة مكتوبٌ عليها من الذي سيشرّبها، وفي يوم كذا، والساعة كذا، في وقت كذا، وهذا تقدير الله، وذلك يحتاج إلى نظر المؤمن على الدوام، ولا يأكل وهو غافل، ولذلك يعاتب الله المؤمنين ويقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥ يوسف).

لكن ما حال المؤمن؟ دائماً منتبه، يقرأ ويتفكر في آيات الله في الآفاق، وفي آيات الله في نفسه، حتى القراءة القرآنية الأخرى عن آيات الله في النفس: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١ النّاريات) يعني ألم تر الله بداخلك؟! هل تستطيع أن تتحكّم في أجهزة جسمك؟! من الذي يستطيع أن يتحكّم في الجهاز الهضمي؟! وبعد أن يأكل يقول له: انتظر نصف ساعة وبعدها ابدأ في الهضم!! هل يتحكّم فيه؟ لا، من الذي يتحكّم في النوم عندما يأتيه ويقول له: اتركني ساعتين فأنا مشغول الآن؟! لا أحد أبداً يُدير هذا الجسم إلا ملك الملوك .

وأنت تمشي بأمر الله وبقدرة الله، ولكن ينبغي عليك أن تتفكر لتتهدي إلى صنع الله وتقدير الله جل في علاه، وهذا اسمه علم الآيات، الآيات التي في الآفاق، والآيات التي في النفس، كان سيدنا رسول الله يقرأها لهم، لكي يمشون على هذا المنهاج.

تزكية النفس

وبعد تلاوة الآيات: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ والتزكية يعني الطهارة، فالطهارة كالوضوء والغسل تكون مع الصلاة، لكن ما هذه الطهارة التي هنا؟ طهارة القلوب من الغل، ومن الحقد، ومن الحسد، ومن الكره، ومن البُغض، ومن الشُّح، حتى إذا دخل على حضرة الله يجد نفسه في صفاء تام، فتشرق عليه أنوار الملك العلام، فيكون في الصلاة في مناجاة مع مولاه، فكلما

قال جملة يسمع الرد، يقول الله في الحديث القدسي:

{ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:
"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ:
مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ:
هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"، قَالَ:
هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" }^{٤٧}

إذا الفاتحة عبارة عن محادثة بينه وبين حضرة الله ، متى تسمع ما يقال؟ إذا صفا
القلب مما ذكرناه، وأصبح قلباً بدلاً من أن يكون ممتلئاً بالخيال تُشرق فيه أنوار الجمال
للوحد المتعال، فيتواصل مع الله ﷻ في هذه الصلاة.
إذاً التزكية هي تطهير النفس، وتصفية القلب، حتى يستطيع الإنسان أن يؤدي العبادة
التي ينبغي أن يقوم بها لحضرة الله .

علم الكتاب

بعد تصفية النفس وطهارة القلب: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ علوم الكتاب هي
الشرعية التي أنزلها في هذا الكتاب، فيتعلم الأحكام الشرعية التي جاءت في كتاب رب
البرية، والذي لا يستوضحه يجده في المذكرة التفسيرية للحضرة المحمدية.
فيكون قلب طاهر، ونفس صافية، وإيمان يقيني عندما يرى أحكام الله، وبذلك لن
يستطيع أن يقترب من المعاصي ولو للحظة، ولن يستطيع أن يتهاون بالطاعات ولو مرة، لأنه
أصبح رجلاً امتلأ قلبه باليقين فيريد أن يواصل في الطاعة لرب العالمين.
والأحكام الشرعية بذاتها تُعلم المؤمن الحكمة في كل التصرفات، الحكمة في الكلام

٤٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

فلا يُخرج من لسانه ما يؤذي أي فرد من الأنام، والحكمة حتى في الطعام والشراب، لأنه سمع الله يقول له: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٣١ الأعراف) فيعمل كما ورد في الأثر المشهور: { نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ }^{٤٨}، فمن أين يأتينا المرض!!
وكذلك سيُحسن معاملة كل من حوله لأن الله وهبه الحكمة: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩ البقرة) والحكمة هي الإصابة؛ إصابة الحق في القول والفعل، فيُعَلِّمه الله من عنده ومن فضله الإصابة في القول والفعل.

هذه الأوصاف التي ذكرها الله لحضرة النبي هي الأوصاف التي يُجَمِّلُ الله بها وورثة حضرة النبي الذين يجب أن نتبعهم، ونمشي خلفهم، ونتعلم من هديهم.

إذا كانت هذه الأوصاف التي ذكرها الله موجودة في رجل، فيكون هذا الرجل وارث لرسول الله ﷺ، وينبغي أن أسارع إليه، وأسلم نفسي له ليعلمني كما علم النبي ﷺ أصحابه.

فإذا لم يكن عنده هذه الصفات فإنه يحتاج أن يتعلم معي، وأقول له: تعال معي نبحت عن وارث حضرة النبي ليعلمنا العلوم التي علمها الله للنبي، وأمر النبي وورثة النبي أن يُعَلِّمُوا لِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ وَوَرِثَةِ النَّبِيِّ صَلَوَاتِ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتِهِ عَلَيْهِ.

ثم ذكّرنا الله ﷻ بأن كل هذا فضلاً علينا من الله، لأننا قبل هذا لم نكن نعلم شيئاً إلا بعد أن أكرمنا الله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيْفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يعني في ضلال واسع.

البشرى للمؤمنين المعاصرين

هذا الكلام كان لأهل المعاصرة لحضرة النبي، وأخذنا منه ما يلزم لورثة حضرة النبي، لكن ما البشرى التي جاءتنا نحن؟ ﴿ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ وانتبه، ﴿ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ ﴾ مع أننا جننا في هذا الزمن، لكن إذا مشينا على هذا النهج فسنكون من هؤلاء الأوائل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح) ولذلك حضرة النبي ﷺ قال:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ : أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ }

٤٨ ورد بزيادة المعاد والبدائية لابن كثير والسيرة الحلبية ولكن بغير إسناد، ولم تقع له على تخريج له بأى مصدر للتخريج، فليس بحديث، ولكن معناه العام مقبول لما ورد من الأحاديث التي تدور حول تنظيم واعتدال تناول الطعام والشراب.

قَالَ: أَنتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي {^{٤٩}، وقال: { إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أُجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أُجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا {^{٥٠} فسيدنا رسول الله بذاته تمقّى أن يرانا، وقال فينا ﷺ:

{ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ {^{٥١}

يتمنى أن يدفع ماله وأولاده و كل أهله ويحظى بنظرة من حضرة النبي، وهذا ما يحدث في عصرنا الآن، الناس الذين يشتاقون لرؤية رسول الله أو حتى للزيارة تجده يدفع كل ما يملك، لماذا يذهب إلى هناك؟! هل هناك كسب مادي؟! أبداً، لكنه ذاهب هناك لأن له فضل من الله، وكرم من الله في هذه الآية الكريمة، وهي أعظم بُشْرَى لنا:

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وليس حتى معهم، بل منهم: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾:

مشوا على هديهم وعلى منوالهم وعلى منهاجهم: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فضل الله

هؤلاء القوم ونحن، ومن في عصرنا، ومن بعدنا، بم أخذنا هذا من الله؟ هل بعمل عملناه؟ أبداً، فنحن ضعفاء كلنا في العمل، وهل بعبادات قدمناها؟ أبداً، لكن: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ هذا فضل من الله علينا، وإكرام من الله لنا، وتفضل من الله ﷻ علينا، بلا عمل عملناه، ولا شيء قدمناه، وإنما اجتناء واصطفاء من الله، فياليتنا نشكر الله على هذه النعمة العظيمة؛ أن خصنا بهذا الفضل العظيم، وهذا الكرم العميم، وذكر ذلك في كتابه الكريم: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

٤٩ مسند أحمد عن أنس ﷺ

٥٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

٥١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوًّا

أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ

خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوٍ وَمِنَ التِّجْرَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الرَّزَاقِينَ ﴿١٣﴾ ﴿ (الجمعة)

٣. السعي إلى ذكر الله ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا وعَجَّلَ لنا روضات الجنة، وامتعنا بالجلوس فيها الآن؛ ونحن في الحياة الدنيا، والصلاة والسلام على نبينا وحبينا وقرة عيننا سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اتبع هُداة إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين ... سعدتُ برؤية هذه القلوب المملوءة بالحب للنبي الحبيب المحبوب، وهذه الوجوه التي فيها نور السجود لله ﷻ، فأنتم والحمد لله خيارٌ من خيارٍ من خيار، ونريد أن نكون في مجلسنا هذا يظهر فينا قول النبي المختار في مجالس الصالحين والأخيار والأبرار، فيقول ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ
 إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ،
 وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ } ٥٣

والحمد لله الذي أكرمنا ووقفنا لإحياء المجالس التي نوه عنها سيدنا رسول الله ﷺ، فنحن الآن تحفُّ بنا الملائكة من الأرض إلى السماء، وتنزل على قلوبنا رحمة الله وسكينته، ويباهي بنا الله ملائكته فيذكرنا في ملاء خير من ملائنا، لأننا ننفذ وصية النبي ﷺ.

والآيات التي معنا اليوم من سورة الجمعة، وسورة الجمعة سُميت بهذا الاسم لأنه فُرض فيها صلاة الجمعة على المؤمنين والمؤمنات.

وبين الله تبارك وتعالى بياناً شافياً كافياً في الآيات القرآنية فضل الجمعة، وآداب التوجه إلى صلاة الجمعة، وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن عند تواجده في المسجد أثناء صلاة الجمعة، والفضل الكبير، والخير الكثير الذي يعود على من يفعل ذلك ويستجيب لذلك من كلام اللطيف الخبير ﷻ.

٥٢ قنا - فقط - مسجد الإمام علي - ٢٥ من صفر ١٤٤٠ هـ / ٣ / ١١ / ٢٠١٨ م
 ٥٣ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

اسمع معي وتلذذ بالنداء، عندما ينادي الله ﷻ الغني علينا، وينادي علينا نداءً مُحبب إلى القلوب، ويقول لنا كلنا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يُعظمننا، فلم يُقل يا مسلمين أو يا مؤمنين، ولكن: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذا تعظيم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

عندما نرى حال المسلمين في هذه الأيام في أغلب المساجد والبلدان، غيروا هذه الآية وجعلوها: فاسعوا إلى الصلاة، لكن الله يقول: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهم جعلوا السعي إلى الصلاة، فيجلس شباننا أمام المسجد يتكلمون مع بعضهم حتى يسمعون إقامة الصلاة، ثم يدخلون المسجد، وكثير منا يكون جالس في البيت!!

الاستعداد لصلاة الجمعة

يوم الجمعة ينبغي على المؤمن أن لا يكون له عملٌ يشغله قبل الجمعة إلا الاستعداد للصلاة، وإذا كان راءه سفر أو وراءه عمل .. كل هذا يُؤجله إلى بعد الصلاة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لكن قبل الصلاة كل الوقت يكون استعداد لصلاة الجمعة كما أمر الله، وكما كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه المباركين.

أمرهم حضرة النبي ووجههم إلى أن يغتسلوا قبل صلاة الجمعة، إلا إذا كان الإنسان مسافر في بلد بعيد، فليس عليه غُسلٌ، لكن ما دام كان في بيته فالأفضل أن يغتسل يوم الجمعة، ويتطيب، ويلبس أحسن ما عنده، لأنه مدعُوٌّ إلى حضرة الله تبارك وتعالى.

ومسجد المسلمين الذي نُصلي فيه يجب أن نجهزه قبل الجمعة وتنظفه، وصباح الجمعة نبخره، فُبُخور المساجد عادة كادت أن تنقطع، مع أن من ذهب منكم للبيت الحرام ومدينة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام يجد هناك أن البخور لا بد أن يكون يوم الجمعة، وبُخور من أعلى أنواع البُخور، وليس بخوراً عادياً، لأنهم يمشون على النهج النبوي.

وقد رأينا آباءنا وأجدادنا مع أنهم كانوا على قدر بسيط في العلم، لكنهم كانوا محافظين على آداب القرآن، وعلى تعاليم النبي العدنان، وكنا نرى أناساً منهم كثيراً يتناوبون على تبخير المسجد، لكي يكون المسجد رائحته طيبة.

والمسلم القادم للمسجد يغتسل فيكون ليس به عرق، ويتطيب فتكون رائحته طيبة، فيكونطيب على طيب، مع طيب القلوب، فيشتركون كلهم في عمل يُرضي حضرة علام الغيوب تبارك وتعالى.

لماذا يجهرّوا أنفسهم قبل الصلاة؟ ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ يعني أصبحت هذه الصلاة فريضة، فصلاة الجمعة ليست سنة ولكنها فريضة لا بد منها، إلا للنساء فالرسول ﷺ ترك الأمر لهن، فإذا استطاعت أن تُصلي في المسجد فيها ونعمت، وإذا لم تستطع فتُصلي الظهر.

السعي إلى ذكر الله

لماذا يذهبون لصلاة الجمعة في المسجد؟ ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ نذهب لنسمع تذكير النبي، أو من ينوب عن حضرة النبي بالله .

إذا متى ندخل المسجد؟ قبل أن يصعد الرجل الذي سينوب عن حضرة النبي المنبر، والذي يدخل استجابة لأمر الله وتطبيقاً لسنة رسول الله فيا هنا، قال فيه ﷺ:

{ مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَنْبَشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذُّكْرَ }^{٥٤}، وقرب بدنة أو بقرة يعني كأنه ذبحها ووزعها على الفقراء والمساكين، ورب العالمين تبارك وتعالى يُرسل الملائكة المقرين يجلسون على أبواب المساجد في يوم الجمعة، ومعهم صُحف من فضة، وأقلام من ذهب يُسجلون الداخلين الأول فالأول، وكل واحد يضعوه في العلاوة المناسبة له عند رب العزة، فإذا صعد الإمام المنبر طُؤوا الصُحف، ورفعوا الأقلام، وجلسوا يستمعون الوعظ مع المؤمنين كما أنبأ الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

٥٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ ، فَقَدْ لَعَا } ٥٧

ومن لعا فلا الجمعة له، يعني ليس له ثوابٌ في الجمعة، كذلك لا يجوز أثناء خطبة الجمعة - وهذا عمل أستجد في عصرنا - أن نجد الشباب يتصفحون في هواتفهم المحمولة، فهذا لا يصح مع صلاة الجمعة، لكن إذا دخلت بيت الله، إما أن تترك المحمول في البيت، أو تعلقه ولا تلتفت إليه ولا تشغل به أثناء الجمعة، كذلك تجد البعض أثناء خطبة الجمعة يمسك بالمسبحة وينشغل بها، فتسأل أحدهم: ماذا تفعل؟ فيقول: أستغفر الله!، والثاني يقول: أنا أذكر الله!، والثالث يقول: أنا أصلي على رسول الله! ... لكن في هذا الوقت يجب أن تكون كلك آذاناً صاغية لما يقوله العالم الواقف مكان رسول الله ﷺ.

أعظم عبادة الأمة تلاوة كتاب الله، فهل يجوز لمسلم أن يترك الإمام على المنبر ويفتح المصحف بـحجة أنه يتلو في كتاب الله!! لا، لذلك لا بد أن نترك حتى العبادات والطاعات لكي نُصت لسماع الموعدة من العالم الذي يجلس مكان رسول الله ﷺ.

بعض شبابنا تسأله: لم لا تحضر صلاة الجمعة من بدايتها؟ يقول لك: الشيخ لا يأتي بجديد، أو يقول: الشيخ لا نعرف كيف نستفيد منه!!، وأنا على يقين أن كل مسلم جاء مُلبياً لنداء رب العالمين، ومُنْفِذاً للأداب التي سنّها لنا سيد الأولين والآخرين لا بد أن يخرج من الخطبة بمنفعة تنفعه في الدنيا، وترفعه يوم الدين، ولو كلمة واحدة، أو حديث واحد.

فليس الشأن بكثرة الكلام، لأن كلمة واحدة ربما يكون فيها سعادتني إذا عملتُ بها، وربما يكون فيها صلاح أحوالي إذا نفذتها، لذلك لا بد أن أجلس في المسجد مؤدباً بأدب الله، ولذلك قال لنا الله: ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وعندما يجبرنا الله أن الخير لنا في هذا، فهل فنترك ما اختاره لنا الله ونمشي على هوانا وعلى حسب نفوسنا؟ لا، بل اختيار الله.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ من كان معه مصلحة في سفر، أو من كان معه مصلحة في تجارة، أو معه مصلحة في درس أو في أي أمر، يؤديها بعد الصلاة.

٥٧ سنن النسائي والترمذي عن أبي هريرة ؓ

ابغاء فضل الله

ثم أوصانا الله ﷻ أن لا ننسى بعد الصلاة شيئين هامين لا غنى لنا عنهما أجمعين: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ابحث عن عمل يأتيك به فضلٌ من الله، مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام، وعيادة المريض، وإصلاح المتخاصمين، وقضاء حوائج الفقراء والمساكين ... ابحث عن أي عمل نافع من هذه الأعمال، فإن هذه الأعمال هي التي ترفع الإنسان يوم الدين مع الصالحين والمقربين في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .. هؤلاء كانوا حريصين على هذه الأعمال التي كادت تختفي في هذا الزمان، فالإنسان منهم من الجائز أن يكون مشغولاً طوال الأسبوع، لكنه يُجهز لنفسه قائمة لزيارة المرضى ممن حوله ولم يزرهم، وقائمة للأقارب، سأزور فلان وفلان هذا الأسبوع، وفلان وفلان الأسبوع بعده، لصلة الرحم، وحتى لا تشكوه الرحم إلى الله يوم القيامة، لأن الرحم ستشكو قاطعها يوم القيامة.

العقوق الخفي

وبر الوالدين، فيطوف على الوالدين أولاً ويسألهم عن أخبارهم، وقد ظهر في هذا الزمان عقوق جديد والناس في غفلة منه اسمه العقوق الخفي.

وكيف يكون هذا العقوق الخفي؟ كثيرٌ من شبابنا يقول: أنا كل شهر أعطي لأبي وأمي مبلغاً من المال حتى لا يحتاجون لأحد، ويعتقد أن كل ما يحتاجونه هو المال، وطالما معهم المال فلا يحتاجون شيئاً منه ولا من غيره، ونسي المسكين أن الأبوين الكبار في السن قد يكون معهما المال، لكن ليس معهم من يقضي لهم حاجاتهم بهذا المال.

قد يكون الابن في مكان بعيد أو قريب بمفرده، وتعطلت الكهرباء عند والديه، ولا يستطيع والده أو والدته أن يستدعيا كهربائي، فمن الذي يأتيهما به؟! وجائز أن يحدث عندهم عطل في السبابة، وقد يستمر شهور، لماذا؟ لأنهما لا يجدان من يُصلح لهما هذا العطل، فهم يحتاجون إلى من يُصلح لهم الأحوال، ومن الجائز أن يمرض الوالد أو الأم ولا يجدا من يذهب بهما إلى الطبيب، صحيح أن معهما المال، ولكن من الذي يأخذهما للطبيب؟! فهما يحتاجان إليه هو، وليس في حاجة لما في يديه.

فبر الوالدين يحتاج أن نلاحظ فيه هذه المهمة المقدسة؛ أن أعوضهم لبعض ما قاموا

لي به في الصغر، ماذا كانوا يفعلون معي في الصغر؟ فيحتاجون لي في هذه الحالة، لو قلت وأنا صغير (آه) يسمعونها قبلي ويبحثوا عمن يمنع هذه الـ (آه) وهم أيضاً في هذه السن يحتاجون لمن يرعاهم .. هذه الأعمال التي ذكرناها هي التي قال لنا الله فيها: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يعني اطلبوا فضل الله، ومجتمعنا الآن قصر كثيراً في هذه الأعمال، لذلك نحتاج أن نُحييها مرة ثانية حتى ندخل في حديث الحبيب ﷺ:

{ مَنْ تَمَسَكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }^{٥٨}

يعني من يحيي هذه السنن فله أجر مائة شهيد عند الله تبارك وتعالى.

فإذا انتهينا من الصلاة وانصرفنا للبيع أو للتجارة أو للسفر أو لقضاء فضل الله، لا بد أن ننتبه: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ المؤمن لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين، لأن كل لحظة لن تذكرك الله فيها في الدنيا ستندم عليها مرتين، مرة عند الخروج من الدنيا وتقول: ﴿يَحْسِرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (٥٦ الزمر) ومرة في الجنة عندما ترى الفضل الكبير وتقول: يا ليتني استكثرتُ من هذا الخير، لذلك المؤمن على الدوام يذكر الله على كل حال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران) المؤمن كحضرة النبي، يقول هند بن أبي هالة ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ }^{٥٩}

كان ﷺ لا يدخل إلا على ذكر، ولا يخرج إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، ولا ينام إلا على ذكر لله تبارك وتعالى، وكان يقول: { تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }^{٦٠} لأنه مشغول بذكر الله، الشيخ كمال الدين الأحميمي ﷺ، وكان من كبار علماء السادة الحنيفية وكان من أهل البصيرة والكشف والنورانية، ذهب ليزور سيدي عبد الرحيم القنائي في ضريحه المبارك بعد وفاته، فيقول ويحكى: عندما ذهبتُ إليه خرجت يده الشريفة من القبر فصافحته وسلّمتُ عليه، وقلت له: يا سيدي أوصني، قال: يا بُنيَّ لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين، ولكني أقول: يا حسرتي على ما فرطتُ

٥٨ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٥٩ الطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة ﷺ

٦٠ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

في جنب الله!! هل هناك أحد يدخل الجنة ويندم؟! نسأل حضرة النبي؟ قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } ٦١

فالمؤمن الذي يُحبه الله، ويريد أن يستزيد من فضل الله وإكرام وعطاء الله، لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك قال الله: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ عندما يقول لنا الله: "كثيراً" فهل كثيراً هذه لها حدود؟! ليس لها حد أبداً، فالإنسان مهما يذكر الله، هل يذكر الله ذكراً كثيراً؟ مستحيل، ولكن يكفيهِ أن يكون من: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (١٣٥ الأحزاب) وهذا في المقام الأعلى عند الله.

سيدنا رسول الله ﷺ فرضت عليه صلاة الجمعة عندما هاجر إلى المدينة المنورة، وأثناء صلاة الجمعة كان هناك رجل من الصحابة البررة الكرام اسمه دحية الكلبي، وكان تاجراً، فجاءته تجارة من بلاد الشام وقت الصلاة، وكانت تجارة كبيرة، وكانت المدينة في وقتها في شدة شديدة، يعني يحتاجون إلى هذه البضاعة، وكان من عادتهم أن يستقبلوا التجارة القادمة من بلاد الشام بالطبول والأغاني الطيبة فنادى جماعة: التجارة وصلت، فخرج الذين في المسجد ليستقبلوا هذه التجارة وتركوا سيدنا رسول الله على المنبر، ولم يبق معه إلا حوالي اثني عشر فرداً، وهناك رواية تقول: أنهم أربعين فرداً، الإمام مالك أخذ بالرواية التي تقول: إنهم اثني عشر، وقال: الجمعة لا تنعقد إلا إذا حضر اثني عشر مُصلياً قبل أن يصعد الإمام المنبر، فإذا لم يتم الإثني عشر يصلونه ظهراً، والإمام الشافعي أخذ الرواية الثانية، فقال: لا تنعقد الجمعة إلا بأربعين مُصلياً، جاءت بعد ذلك تجارة أخرى في جمعة أخرى، وجمعة ثالثة، فتكرر الموقف، وكان سيدنا رسول الله في هذا الوقت يصلي صلاة الجمعة كصلاة العيد، يعني يُصلي أولاً وبعدها الخطبة، وهم لأنهم صلُّوا الجمعة فهموا أن الأمر مُباح وخرجوا على هذا الأساس، فعاتبهم الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ التَّجَارَةِ﴾.

فلما نزلت هذه الآية قدّم سيدنا رسول الله ﷺ خطبتي الجمعة أولاً وأخر الصلاة، فأصبح الوضع كما نسير عليه الآن، الخطبة أولاً وصلاة الجمعة بعد ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا
رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصَّدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ وَلَنْ
يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (المنافقون)

٤. المسارعة إلى الصالحات^{٦٣}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الفتاح العليم الوهاب الرزاق الكريم، والصلاة والسلام على نبينا سيدنا محمد الذي وصفه ربه في القرآن الكريم فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ١٢٨) صلى الله عليه وعلى آله الرحماء، وأصحابه الأتقياء الأنقياء وكل من تابعهم على هذا الهدى والنور حتى انتظم معهم في سلك عباد الله السعداء، واجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم العرض والجزاء أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

لا بد لكل إنسان انتسب إلى دين الإسلام من جهاد، والجهاد يكون على حسب نوايا العباد، منّا من يُجاهد ليدخل الجنة، ومنّا من يجاهد ليحصل على كمال المنّة وهي القُرب والوداد من رب العباد تبارك وتعالى ... ولكل جهاده، لكن لا بد من الجهاد للجميع، أما الطالبون للجنة فسمّاهم الله أهل اليمين، لأنهم يعملون عمل أهل اليمين، وأهل الشمال عملهم يؤدي إلى البوار وإلى جهنّم وبئس القرار.

جهاد أهل اليمين

فأهل اليمين يُجاهدون في العمل بفرائض الله التي فرضها الله تبارك وتعالى علينا كما يُحب ويرضى، ودرجاتهم عند الله على قدر محافظتهم على العمل الموافق لرضا ربه، فيحافظون على الصلوات الخمس، لكن ليس من أدائها في أول الوقت كمن أخرها عن أول الوقت في القدر وفي المقام وفي الرتبة عند الملك العلام: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة ٢٣٨).

جعل الله ﷻ ميقاتاً للصلاة، وبين الحبيب فضائل هذه المواقيت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء ١٠٣) وقال النبي ﷺ في بيان درجات المحافظين على الصلاة:

{ أَوْلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَأَخْرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ }^{٦٤}

٦٣ الأقصر - ساحة الشيخ حسن الدح بالبياضية - ٢٧ من صفر ١٤٤٠ هـ / ١١/٥ / ٢٠١٨ م

فجهد أهل اليمين في المحافظة على ما فرضه علينا رب العالمين، بالطريقة المرضية الإلهية التي ذكرت في القرآن المبين، والتي كان عليها سيد الأولين والآخرين لينال أعلى الدرجات في جنات النعيم عند رب العالمين تبارك وتعالى.

وتفصيل هذا الأمر لا يعيننا كثيراً، لأني أرى أن معظم الحاضرين إن لم يكونوا من المقربين، فأراهم يقدمون طلبات بأرواحهم وقلوبهم ليلحقوا بركب المقربين، نسأل الله أن نكون من المقربين أجمعين: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ﴿ الواقعة ﴾ لهم راحٌ ولهم ريحان فضلاً عن جنة النعيم، والراح بغير قداح من يد الكريم الفتاح، والريحان أنواع المواصلة الإلهية التي تتوالى على أرواحهم التقية النقية من المشاهدات والتجليات والتنزلات والأسرار العاليات الغاليات التي لا يستطيع الإنسان كشفها بالكلمات، ولكن كما يقول أهلها: ذُق تعرف.

جهاد المقربين

هؤلاء المقربون لهم جهاد فضلاً عن جهاد أهل اليمين، يعني هم أسبق الناس في جهاد أهل اليمين، وبالإضافة إلى ذلك لهم جهاد خصَّهم به ربهم ليكون لهم شرف أن يكونوا من المقربين. .. سنأخذ بعض أنواع هذا الجهاد، وأنا أرى أنها عمُد هذا الجهاد لمن يريد أن يكون من المقربين، ولذلك ينادي الله ﷻ علينا فيقول: ﴿ يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتِيَهُمُ الْإِيمَانُ ﴾ وكلمة آمنوا يعني صدَّقوا، صدَّقوا بالله، وبرسول الله، وبكتاب الله، وبدين الله تبارك وتعالى.

﴿ لَا تَلْهَمُكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فهموا الحكمة العالية من فرائض الله، فقد فرض الله الصلاة لحكم لا تُعد ولا تُحَد، ومن جملتها في آية واحدة من كتاب الله: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ﴿٤٥﴾ العنكبوت) ولكن الحكمة الأعظم منها: ﴿ وَالذِّكْرُ لِلَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ﴿٤٥﴾ العنكبوت) وفيها معاني: فقد يكون ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة، لأن الصلاة في أوقات محدودة، لكن ذكر الله على الدوام، وإذا تذكَّر العبد مولاه حبس نفسه عن معصية الله، وكان دائماً مُوفقاً لطاعة الله تبارك وتعالى في عُلاه.

وقد يكون ذكر العبد لمولاه في الصلاة أكبر من الصلاة: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤ طه) فذكر الله الذي تُردده في الصلاة أكبر من الصلاة.

وقد يكون ذكر الله لعبده إذا ذكره في الصلاة، وهذا لا شك أعظم وأكرم، قال الله تعالى في الحديث القدسي:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }^{٦٥}

أيهما أعظم، ذكرك لله، أم ذكر الله ﷻ لك!!؟ وذكر الله تبارك وتعالى لك ليس معناه أن ينطق باسمك، ولكن يقضي لك الحوائج التي تطلبها من حضرته، فإذا ذكرته تبارك وتعالى طالباً الشفاء، يذكرك ﷻ فيمنحك الشفاء، وإذا ذكرته ﷻ هَمَّ ملكك، يذكرك ﷻ فيكشف عنك هذا الهم، وإذا ذكرته ﷻ لضيق رزق، يذكرك ﷻ بتوسيع هذا الرزق، فذكر الله على الدوام هو أن يقضي لك، ويستجيب لك فيما يراك تعرضه على حضرته، وتتوجه إليه تبارك وتعالى وأنت في الصلاة، فالحكمة الأعلى من الصلاة ذكر الله، وفريضة الحج: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴾ (١٩٨ البقرة) فالغاية العظمى من الحج هي الذكر: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (٢٨ الحج) ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٢٠٣ البقرة) كل عبادة الحج الغاية العظمى منها ذكر الله تبارك وتعالى.

المداومة على ذكر الله

عرف المقربون أن الغاية العظمى من جميع العبادات - ولا نستطيع سردها وعدّها - هي ذكر الله، فعلموا أن الأصل الأول الذي به يبلغ العبد مناه، وبه يبلغ درجة القرب ويكون من المقربين عند الله، أن يُديم على ذكر الله في كل الأحوال: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١ آل عمران) في كل حالاتهم يذكرون الله تبارك وتعالى.

هل لذكر الله ﷻ عددٌ محدد حدّده الله ﷻ للذاكرين؟ يعني هل ورد في ووردك في اليوم

٦٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

والليلة أن نذكر الله - مثلاً - ألف مرة أو أكثر أو أقل؟ نسأل كتاب الله؟ يقول الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١: الأحزاب) وكثيراً هذه من يستطيع أن يعرف حدودها؟!، هل يوجد أحدٌ من الأولين أو الآخرين يستطيع أن يذكر الله الذكر الكثير؟!، أبداً لأن الذكر الكثير لله ليس له نهاية.

الذكر الكثير

ومعنى الذكر الكثير يقول فيه سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله وأرضاه: أخذتُ في ذكر الله ﷻ حتى أخذتُ عن نفسي، فرأيتُ العين تذكر، والأذن تذكر، وكل شعرة تذكر، وكل حقيقة من حقائق ذكر الله بلسان عربي مبين، وهذا هو الذكر الكثير، لأننا نذكر باللسان، لكنه يذكر بكل الأعضاء، وإياك أن تُنكر هذا الأمر، لأن هذا أمر الكُمَّل من العارفين، يذكرون الله بكل أعضائهم، وبكل شيء لهم حتى يتأثر بذلك من حولهم، فيذكر الله تعالى معهم ... وسيدنا رسول الله ﷺ ضرب مثلاً في ذلك لصحبه المباركين، يقول سيدنا أبو ذر رضي الله عنه:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصِيَّاتٌ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّخَنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبَّخَنَّ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } ٦٦

ليُعرفنا أن هؤلاء الذين بلغوا هذا المقام الذي يقول فيه الله في كتابه وقرآنه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٤٤: الإسراء) نحن لا نفقهه، لكن هناك أناسٌ يفقهون هذا التسبيح، فكل ما في الوجود يذكر الله، وكل ما في الإنسان يذكر الله، فإذا وصلت إلى الحالة التي تستمع فيها إلى ذكر الله فيك وفي الآفاق، فهذا هو الذكر الكثير، لأن الكل يذكر الله تبارك وتعالى ... لكن الذكر باللسان ذكرٌ يسير وبسيط، ومع ذلك هو

٦٦ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه

البداية، فلذلك لا بد أن نبدأ بهذا الأمر المبارك، ولذلك كان يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله: لا تترك الذكر لوجود الغفلة فيه، فربَّ ذكر مع وجود غفلة ينقلك إلى ذكر مع حضور، وذكر مع حضور ينقلك إلى ذكر مع شهود وجه المذكور تبارك وتعالى.

فأنت لا بد وأن تسير في هذه الدرجات، سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله لما أراد خاله سيدي منصور الباز البطاحي رحمه الله أن يستخلفه، وكان عنده أولاد، فروجته غضبت وقالت: كيف يترك أولاده ويستخلف ابن أخته؟! مع أنه كان يتيماً وخاله الذي ربَّاه.

فكلمت كبار الحبين المحيطين به ليستخلف أحد أبناءه، فكلَّموه، فقال لهم: اتنوني بالإثنين وقال لهما: أنا أريد أن يأتي كل واحدٍ منكما بحمل حشيش من الجبل، فخرج ابنه مسرعاً وجمع الحشيش وأكثر منه وحمله على ركوبة وأتى به.

وسيدي أحمد الرفاعي لم يأت حتى انتصف النهار، فقال: أين أحمد لم لم يحضر؟! اذهبوا إليه وأتوني به، فذهبوا وأتوا به وليس معه شيء، فقال له: لم لم تأتي بما أمرتك؟ قال: ياسيدي كلما أردتُ أن أقطع نبتةً من الأرض سمعتها تذكر الله فأستحي من الله رحمه الله أن أقطعها وهي تذكره، فقال لهم: هل رأيتم الفارق بين الإثنين؟! فقالوا: سلّمنا ... وصل إلى مقام يسمع فيه الكائنات وهي تذكر مكوّن الكائنات، ومُبدع الأرض والسموات.

الانشغال بالله عما سواه

أهل اليمين ينشغلون أحياناً بطاعة الله في المناسبات الطيبة، كشهر رمضان، وفي يوم عرفة، وفي يوم عاشوراء، وبعد ذلك يركنون للأولاد، والمصالح التي تجلب الأموال، والمشاكل التي يتعرضون لها، وهذا الذي يُؤخرهم عن الرتبة العلية، فقال الله تعالى للذين يُريدون المراتب الهنية وأن يكونوا من المقربين: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يعني لا تشغلکم ... إياکم أن يشتغل أحدکم بجمع حطام الدنيا الفاني عن ذكر الله تبارك وتعالى، وخاصة أن الله رحمه الله يسّر الذكر للذاكرين، فما التعب والعناء الذي تتحملة لتذكر الله؟! .. في البداية حركة اللسان وهي سهلة، ولا يطلب منك في ذكره رحمه الله الوضوء، ولا الجلوس في المسجد، ولا الإتجاه للقبلة، ولا حتى الطهارة، يعني حتى الإنسان إذا كان في حالة الجنابة ينبغي عليه أن لا يسهو عن ذكر الله وهو في هذه الحالة ! يعني لا يقول أنتظر

حتى أغتسل وأذكر! لأنها لا تمنع عن ذكر الله ومن الاستغفار ومن الصلاة على حضرة النبي ﷺ ... فما الذي يعني أن أذكر الله وأنا أسير في الطريق؟! أو وأنا أحمياً للنوم، أو وأنا في أي مواصلة من المواصلات، هل يوجد مانع؟! المانع هو عدم توفيق الله تبارك وتعالى، لكن علامة التوفيق هي ذكر الله على الدوام، سئل أحد الصالحين: كيف أعرف أن الله يُجيبني؟ فقال رضي الله تبارك وتعالى عنه: إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره! ... الذكر على الدوام، حتى أنه من كثرة ذكر الله بلسانه ينام وهو يذكر الله، فيستيقظ من النوم فيجد قلبه وهو يذكر الله، ويسمع القلب وهو يذكر الله، وإذا تكلم مع أحد فيتكلم معهم باللسان وهو يسمع وجيب القلب بذكر حضرة الرحمن!! وهذا حال الصالحين.

أعلى المقامات في سورة الأحزاب لمن؟ ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٣٥) لنعرف أن هذا المقام ليس خاصاً للرجال فقط، ولكن للرجال وللنساء معاً.

لحظة مفارقة الدنيا الإنسان يحزن حزناً شديداً جداً على كل لحظة مرّت عليه دون ذكر الله، لأنه لن يستطيع تعويضها، ويقول: لم أستزد من طاعة الله؟! ولم أوقعت نفسي في هذه الغفلة في هذه اللحظة عن ذكر الله؟! حتى أن الحبيب ﷺ قال:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } ٦٧

فعندما يروا في الجنة الدرجات والقربات والخيرات فيقولون: لم كنا نقصر في طاعة الله؟! ولم كنا نقضي الوقت في الغفلات!..!!

الاستعانة بذكر الله على إمام الأعمال

فالإنسان الذي يريد مقامات المقربين يلهج لسانه بذكر الله على الدوام، ولا يدع شيئاً من أمور دنياه يشغله عن ذكر الله، والذي يُريد أن يتم له أي عمل سريعاً، وتأتيه المعونة من الله، عليه أن يستقبل هذا العمل بذكر الله، وهذا ما ذكره الله في أكثر من موضع من كتاب الله، حتى الحرب:

٦٧ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥ الأنفال)

تريدون الفلاح في الحرب اذكروا الله على الدوام.

وكانت وصية الدكتور عبد الحليم محمود رضوان الله تبارك وتعالى عليه لجنودنا في ١٩٧٣ وكان في وسطهم هناك، فقال لهم: إياكم أن تتركوا التكبير، فأهم شيء أن تكبروا الله، وكان سلاح التكبير كأنه سلاح الرعب الذي ألقاه في قلوب أعدائهم اللطيف الخبير، عندما يسمعون التكبير تنزل الأرض من تحت أرجلهم ويحدث لهم هلع وخوف شديد وجبن ويفرون، من أين هذا؟ من التكبير، فلا بد للإنسان حتى لو يريد أي أمر من أمور دنياه أو معاشه أو معاده أن يستكثر من ذكر الله، كان ﷺ ماشياً من المدينة وذهب إلى مكة وبجواره جبل اسمه (جمدان) فقال:

{ سِيرُوا هَذَا جُمدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
 قَالَ: الدَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالدَّاكِرَاتُ }^{٦٨}، وفي رواية أخرى قال:
 { سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: المُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ
 اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }^{٦٩}،
 وبين ﷺ فائدة كلمة التوحيد ولو لمرة واحدة، فقال ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا طُمِسَتْ مَا فِي
 صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }^{٧٠}

إذا قال العبد (لا إله إلا الله) ذهبت إلى صحيفته، فماذا تفعل؟ تمحو كل السيئات إلى أن تجد حسنة تقف بجوارها: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ ﴾ (١١٤ هود).

إذا الإنسان الذي يريد أن يلحق بمقامات المقربين ... لا يسمح لأي شيء ولو كان عزيزاً عنده أن يشغله عن ذكر الله ﷻ، والله ﷻ ذكركم بأعز ما نملك وهو المال، ..

٦٨ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٦٩ جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٧٠ مسند أبي يعلى الموصلي واتفق الخيرة المهرة للبوصري عن أنس ﷺ

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمَرَةٌ }^{٧٣}

كان يقول سيدي أحمد بن عطاء السكندري رحمته الله: (صَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ تُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ فِي دِيْوَانِ الْقَائِمِينَ، وَأَنْفَقْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَوْ دَرَاهِمٌ تُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَصَدِّقِينَ).

فالأمر ليس بكثرة ولا بقلّة، ولكن بالنية، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصدقة ذات يوم، فجاء رجلٌ بألف درهم، وجاء بعده رجلٌ بدرهم، فقال صلى الله عليه وسلم:

{ سَبَقَ دَرَاهِمَ مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دَرَاهِمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا }^{٧٤}

لماذا؟ صاحب الألف درهم عنده آلاف كثيرة والألف لا تساوي شيئاً بالنسبة له، والذي جاء بالدرهم لا يملك غيره، فهل هذا يتساوى مع ذلك، فالأعمال هنا بالنية:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }^{٧٥}

لكن لا بد للمرء من دليل وبرهان على صدق الإيمان بأن يفكّ يده ويكون من أهل الإحسان حتى يحظى بقول الرحمن: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٦٠ الرحمن).

أنا أرى أن مرض الشُّح زاد في مجتمعنا مع كثرة الخيرات، وأيام آباءنا وأجدادنا كان الخير قليل لكن العطاء كان كثير، كان الناس لا يقيمون للدنيا وزناً، ويتصدقون يرجون ما عند الله تبارك وتعالى لليقين.

ما الدليل على اليقين؟ أن الإنسان لا تكون الدنيا في قلبه، ولكنها في يده، فإن كانت في يده سهل عليه أن يُنفقها هنا أو هنا، لكن إن كانت في قلبه صعب عليه أن ينفق، حتى مع المواعظ، ومع الإرشادات، ومع الحكم، وحتى مع الطلب، تجده يُفكر ويُدبر كيف يُخرج

٧٣ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه
٧٤ سنن النسائي وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٧٥ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هذا القرش!!؟ لكن كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: (اللهم اجعلها في أيدينا، ولا تجعلها في قلوبنا) ولذلك كانوا يجودون بها في غاية السهولة.

كان التجار منهم كسيدنا عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ﷺ، تأتيه التجارة وقد يربح منها ما لا يُعد ولا يُحد من الأرباح الدنيوية، لكن تأتي في حالة قحط أو شح فيتصدق بها كلها على فقراء المسلمين ولا يبغي بها إلا رضاء رب العالمين .

فالجهد الثاني الذي يُوصَل إلى رتب المقربين:

- الجهاد في البذل، أي بذل ما يستطيع الإنسان بذله مما رزقه الله من أي رزق طلباً لمرضاة الله.

إذا الإنسان وفقه الله هذين الأمرين نبشره ويشره مولاه بأنه سيكون يوم القيامة، وفي الدنيا قبل الآخرة: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩ النساء).

ومن لم يُوفَّق لهذا الجهاد عندما يأتيه أمر الله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ يقول لملك الموت: أجلي يوم، فيقول له: ليس لك يوم، فيقول: أجلي ساعة، يقول له: ليس لك ساعة، جاء أمر الله ولا تغيير لقضاء الله جل في علاه:

﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ حتى أَعْوَضَ ما فات، ولكن:

﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده المقربين، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين لله ذكراً كثيراً، وأن يجعلنا من عباده المنتصدين والمنفقين، وأن يوفقنا للأعمال التي ترفع قدرنا عنده وتجعلنا من المقربين، وأن يكتب لنا في الدنيا السداد والتوفيق في كل أحوالنا وكل أعمالنا أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَٰلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمٌ

التَّغَابُنِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (التغابن)

٥. أركان الإيمان^{٧٦}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بجهده، وزاد في أكرامنا فأرسل لنا حبيبه ومصطفاه، وأنزل لنا خير بيان أنزله إلى خلق الله وهو كتاب الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل في حديثه النبوي:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَأَخْرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }^{٧٧}

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه ومشى على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

علم البدء وعلم النهاية

كانت أول علوم يُعلِّمها سيد الأولين والآخرين ﷺ للمبتدئين في الإسلام علم البدء وعلم النهاية، إذا عرف الإنسان بدايته، وعلم الإنسان نهايته، وعلم بعد ذلك سر خليقته، فإنه يمشي في الدنيا كما أمر الله، ويستقيم على منهج الله تبارك وتعالى.

خلق الله ﷻ أرواح الخلق أجمعين، وجمعهم وأخذ عليهم ميثاقاً أشار إليه في كتابه المبين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢ الأعراف).

قبل خلق جسم آدم من عناصر الأرض خلق الله ﷻ الأرواح كلها جملةً واحدة، ما ظهر منها وما لم يظهر إلى يوم القيامة، وأعطى لكل روح صورتها، وخصوصيتها التي خصَّها بها الله تبارك وتعالى، وبعد ذلك جاء إظهار الأرواح في أجسام تتكون من عناصر الأرض، وكان أول جسم يظهر هو جسم سيدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

أشار إلى هذا التدريج الإلهي قول الله تبارك وتعالى، واسمعوا معي وعوا:

٧٦ الأقصر - مسجد سيدي يوسف الحجاجي - ٢٧ من صفر ١٤٤٠ هـ ١١/٦/٢٠١٨ م
 ٧٧ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ جميعاً ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ جميعاً، وثم للتراخي يعني بعد فترة طويلة ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف) فأرواحنا كلنا قد خلقت وصورت قبل خلق آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وأخذ الله ﷻ علينا عهداً وميثاقاً كما ذكر في مُحكم القرآن: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ لم يقولوا: سمعنا، ولكن قالوا: (شهدنا) شهدنا جمال الله، وسمعنا كلام الله، وأجبنا خطاب الله، بحقائق روحانية أوجدها فينا الله تبارك وتعالى وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وهذا خطاب الله، ونحن شهدناه وسمعناه، فأطلق الله التحذير الإلهي: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف).

ولذلك عندما جاء الأنبياء والمرسلون وإمامهم وسيدهم ﷺ سيدنا محمد، لم يقل الله تبارك وتعالى له: (وعلم)، بل قال له: ﴿وَذَكِّرْ﴾ (٥٥ الذاريات) أي فكرهم بالعهد الذي أخذ عليهم في الميثاق الأزلي قبل خلق الأكوان، وقبل وجود جسد آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، .. وبين حقيقة هذا العهد سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه، كان يحج بيت الله الحرام مع أمير المؤمنين في زمنه عمر بن الخطاب ﷺ، وعمر بن الخطاب كان له هُجْ إلهي؛ يريد أن يُباعد بين العرب وبين الشرك الجلي، لأنهم كانوا حديثي عهدٍ بالأصنام والأوثان، فالشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه تحتها وهي بيعة الرضوان، وجد الناس يذهبون إليها ويتمسحون بها ويجلسون حولها، فقطعها حتى يكون الإنسان على صلة مباشرة بحضرة الديان، فجاء إلى الحجر الأسود واستلمه وقبله، ثم قال له:

{ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ } وكان عمر في مشهد عالٍ، فلا يشهد الضار النافع إلا الله تبارك وتعالى، ولا يرى الأسباب لرؤيته بالكلية لمسبب الأسباب، فقال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: { إنه يضر وينفع، وذكر أن الله لما أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رق، وألقمه الحجر، قال: وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد }^{٧٨}

٧٨ حديث (إن لأعلم ..) صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه، والثاني من شرح البارى في حديث البخارى وفيه (وروى الحاكم من حديث أبى سعيد أن عمر لما قال هذا، قال له على بن أبى طالب: وذكره).

مُسجَلٌ فيه الكتاب الذي وقَّعنا عليه أجمعين، كتاب الأزل القديم بوحداية الله، ومعاهدة الله جل في علاه، لأننا إذا جننا إلى الدنيا نُوحده ولا نُشركُ به شيئاً، ونُطيعه ولا نعصاه، ونذكره ولا ننساه، ونشكره ولا نكفر نُعماه، وهذا مُجمل العهد الأزلي.

فكل إنسان له زمنٌ للإمتحان في العهد الذي أخذه عليه حضرة الرحمن، وعندما يأتي ميعاد الإمتحان يُهَيئُ الله ﷻ له بدنًا (جسمًا) من عناصر الأرض، يتغذى من عناصر الأرض، ويلبس من عناصر الأرض، ويبني بيتاً يُكُنُّه من الحر والبرد من عناصر الأرض، ليحمل الساكن وهي الروح التي هي حقيقة الإنسان التي أقرت بالوحدانية لحضرة الرحمن .

ويمشي في الأكوان لكي يأتي بالدليل والبرهان علي صدق الإيمان الذي عاهد عليه الرحمن: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣ الأحزاب) وهنا يظهر صدق الإيمان في هذه الحياة الدنيا ... أما الكافرون والمشركون والجاحدون فقد أقرؤا لله تبارك وتعالى بالوحدانية في يوم الميثاق قهراً، لأنه واجههم بجلاله، فلما ظهروا في الدنيا تمرّدوا، وبدأ يظهر منهم ما يدل على نكرانهم للجميل، وكفراهم لهذا السبيل، ولذلك حادوا عن الطريق الذي رسمه الله ﷻ لعباده المؤمنين.

دحض حجج الكافرين

وفي الآيات التي معنا يُخاطب الله الفريقين؛ الفريق الأول وهم الملحدون، وهؤلاء كانوا منذ بدء الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن البعض يقول: ظهر الملحدون في هذه الأيام، لكن الملحدون منذ الأزل، فكان هناك ملحدون أيام حضرة النبي، وكان هناك ملحدون أيام الأنبياء السابقين، هو أمر الله ولا بد منه، لأنه قال: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧ الشورى) وكل واحدة لها أهلها، قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷻ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً يَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي يَمِينِهِ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ }^{٧٩}

٧٩ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

وليس معنى يمينه أن له يمين كيميننا، حاشا لله!! ولكنه تقريبٌ للحقيقة، فلا بد أن يكون فريقٌ هنا، وفريقٌ هناك، أهل النار كذبوا المرسلين وقالوا: هذا النبي بشرٌ مثله كمثلنا، فلماذا خصَّه الله بالرسالة؟ ولماذا لم يرسل لنا الرسالة مباشرة؟ وهذا اعتراض على الألوهية لأن الله يقول في قرآنه:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ سَجَّلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الأنعام ١١٢٤)

يختار ما يراه صالحاً في تنفيذ رسالات الله.

اعترضوا على الرسول، وقبله على المرسلين، مع أنهم يعلمون أنه أفضلهم وأكرمهم في كل النواحي والميزات!! ولذلك يقول الله تعالى لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَأَيُّكُمْ لَا يُكَدِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِقَايَتِ اللَّهِ تَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام ٣٣) كان إذا سُئِلَ أي واحد منهم عنه فيقول: أفضلنا نسباً، وأكرمنا خلقاً، وأعلانا شرفاً، إذا كان كذلك فلماذا لا تتبعوه وتصدقوه!!.

وهو ذاته ﷺ عندما بُعث بالرسالة جمعهم كلهم وقال:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ثُرَيْدٌ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: ثَبَّأ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ إِلَهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ ٨٠

ما هذا!؟!

طبيعة الإنسان في كل زمان ومكان: أنه يُريد أن يمشي على هواه، ويفعل ما يتمناه، ولا يريد من أحد أن يقول له: هذا حلال وهذا حرام، بل يريد أن يفعل ما يريده ولا يوجد حلال ولا حرام.

ولذلك لو بحثت عن كل الحركات الإلحادية قديماً وحديثاً نجد أن هذا هو السبب!! لأنه يريد أن يمشي على هواه، ويرى أن الدين قيده، لأن الدين يقول له: هذا حلال فكل منه!، وهذا حرام فلا تقره.

٨٠ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

والدين لم يُحرّم شيء أبداً، ولكن نظّم، فلم يُحرّم النساء ولكن جعل هناك تقنين وتشريع إلهي لحفظ الأنساب، فالزواج يكون بطريقة كذا، ولكنه لا يُريد ذلك التشريع، بل يُريد أن يمشي على هواه، وهذا سرُّ تكذيب المكذبين للأديان التي نزلت من رب العالمين على أيدي الأنبياء والمرسلين.

وبعد أن اعترضوا على النبي، عادوا فاعترضوا على جزئية مهمة وقالوا: هل إذا متنا سنُبعث مرة ثانية ونُحاسب؟! كيف يكون ذلك؟ حتى أن أحدهم جاء للنبي ﷺ بعظم جمل وكان على وشك أن يذوب، وقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَرَى اللَّهَ يُخَيِّي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخَيِّي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ٨١

فكذبوا بالبعث بعد الموت، وكذبوا بالقيامة، لماذا؟ ما الذي يجعل الإنسان يمشي متزناً في حياته الدنيا؟ إذا عرف أنه في يوم سيُعرض على الله، وسيُحاسب على كل ما فعلت يده، لكن لو لم يكن هناك حساب ولا حقوق، فإن كل إنسان سيمشي على هواه، والقوي يأكل الضعيف، والغني يأكل الفقير، وتكون الأمم كلها همجية أكثر من الحيوانات في البرية.

لكن ما الذي يُنظم العالم؟ عندما يعلم الناس أن هناك حساب، وهناك بعث، ومن يستطيع بحيلة من الحيل أن ينفذ في الدنيا من قضية، كيف ينفذ يوم لقاء رب البرية؟!.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ وهنا الحكم الإلهي أن كل من يُنكر البعث بعد الموت يكون كافراً: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يجمع الخلق جميعاً في يوم الدين، والكيفية أمرٌ يطول شرحها، ويصطَفُ الخلائق أجمعين في أرض الموقف التي يُجهزها الله لهذا الأمر في الوقت والحين ليبدأ الحساب، ولذلك قالوا:

فلو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي
ولكننا إذا متنا بُعِثنا فنسأل بعدها عن كل شيء

روشتة النجاة

ثم عرَّج الله ﷻ على المؤمنين لكي يُعطينا الروشتة التي فيها النجاة في هذا اليوم المبين، ما روشتة النجاة؟ ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نحن مؤمنون، فلماذا قال لنا: آمنوا بالله ورسوله؟ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٤الفتح) يعني نزيد جرعات الإيمان.

نحن نحتاج في كل وقت وحين إلى زيادة جرعات الإيمان، فهي التحصين الذي يُحصِننا ويحصِن أولادنا وبناتنا من فتن هذا الزمان، جرعات من القرآن، وجرعات من سنة النبي العدنان، وجرعات من علوم العلماء العاملين، حتى يصل الإنسان إلى مقام اليقين: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١٩٩الحجر).

فلا بد أن يستزيد الإنسان على الدوام من جرعات الإيمان، والإيمان يحتاج لأن نتعلمه من العلماء العاملين أهل الخشية الذين ذكرهم الله وأثنى عليهم في كتابه المبين: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (٣٩الأحزاب).

والإيمان بالله يقتضي أن يعمل المرء بما أمره به مولاه، وهذه واحدة، وأن يراقب الله في حركاته وسكناته ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، فإذا علم أن الله تبارك وتعالى يطلع عليه ويراه يستحي أن يعصى الله حتى ولو كان لا يراه أحد من خلق الله، لأنه يرى أن الله ﷻ معه، ... والإيمان بالرسول ﷺ يقتضي الاقتداء به في كل أحواله، حتى لا يخرج الإنسان عن طريقه في قليل ولا كثير، فقد قال الله في شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢١الأحزاب) هو قدوتنا.

نحن نفتدي بالرسول ﷺ في صلاتنا وصيامنا وعباداتنا، لأنه قال لنا:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } ٨٢

وقد نزيد قليلاً، لأنه كان يُصلي الصلاة الوسطية، ولكن نحن نطيل في القراءة، ونطيل في الركوع، ونطيل في السجود، ظناً منا أن هذا أمرٌ حسن.

الافتداء بالنبي في أخلاقه ومعاملاته

لكن كثيرٌ من المسلمين في زماننا تركوا الافتداء به ﷺ في أخلاقه وفي معاملاته، وهي التي نحتاج إليها الآن.

فالعبادات بينك وبين الله، لا شأن لنا بها ولنسبنا في حاجة في أمرها، وإنما فيها كما قال الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥ الجاثية).

أنت تُصلي في الليلة ألف ركعة، فهذا لك ولن تأخذ منك شيئاً، فلا تفتخر بهذا العمل، ولا تعتزّ وتظن أنك أحسن من فلان وفلان، لأنك لم تضمن القبول!، ولو حججت كل سنة مرة فهذا لك، أو تصوم طوال العام فهو لك، لكن كل ما يهمني كيفية تعاملك معي، وهي التي كان حريص عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

فنحن نحتاج أن نقتدي برسول الله في أخلاقه، كان ﷺ لا يُرى إلا باسماء، إذا كان جالساً أو ماشياً أو يتكلم لا يُرى إلا باسماء، ويقول لنا كلنا:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }^{٨٣}

فبعد أن يقول هذا الكلام فهل ينبغي على مسلم أن يُكشّر في وجه أخيه؟! أو يعبس في وجه أخيه؟! هل تُحرم نفسك من الصدقة، والافتداء بأمر الأنبياء والمرسلين ﷺ!!؟ وإذا تكلمنا مع بعضنا يكون الميزان كما قال لنا ﷺ:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }^{٨٤}

لا يخرج من لساني كلام غير ذلك، كالقواميس التي نسمعها في الطرقات! فهذه ليست من الإسلام، ولا تُحسُّ المسلمين، ونهى عنها النبي الأمين فقال:

{ لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبُذِيِّ }^{٨٥}

بعد أن يقول أن المسلم ليس كذلك، فهل نكون كذلك!!؟ شيء غريب يعجب له

٨٣ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

٨٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٨٥ معجم ابن الأعرابي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الإنسان عندما يرى المسلمين في كل زمان ومكان يتفوهون بالسب واللعن والشتيم والألفاظ التي لا تليق، وهذا كله مخالف لهدي النبي ﷺ على التحقيق.

إذا قابلت أخاك، فقال لنا:

{ إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَيْسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ }^{٨٦}

كل مسلم يقابل مسلماً أياً كان لا بد أن يكون باسم الوجه، لأنها كانت السمة التي كان عليها النبي العدنان ﷺ.

كيف نتعامل مع بعضنا؟ بالتواضع واللين والمودة والشفقة والرحمة والعطف والحيان، وهذه أخلاق رسول الله ﷺ، ونسمع الله يقول عنه: ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن تَأْتَوْا كُنْتُمْ فِطْرًا غَلِيظًا غَلِيظًا لِّأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَنْفُضُ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران).

كثير من المسلمين في هذا الزمان ترك الأوصاف التي أثنى الله على النبي بها، وأخذ بالأوصاف التي برأ الله النبي منها، كالفظاظة والغلظة والشدة والقسوة، إن كان مع زوجته، أو مع أولاده، أو مع جيرانه، أو مع إخوانه المسلمين، وهذا وضع عجيب في هذا الزمان، ويظن أنه ما دام يؤدي الفرائض المفترضة عليه، يكون قد أدى ما عليه نحو مولاه، وأصبح مسلماً صادق الإيمان!!، لكنك أخذت ناحية، وتركت بقية النواحي!!.

لكن بماذا تقتدي بهذا النبي؟ في العبادات والأخلاق والمعاملات، ثلاث أمور يجب أن نتابع رسول الله ﷺ فيهم، وبعد ذلك نتابعه في أحواله القلبية؛ في خشوعه، وفي حضوره وفي صفائه مع الله .. وعندما نرى كثير من المؤمنين في التعاملات إن كانت تجارية أو غيرها، وتقول له: الشريعة تقول كذا، يقول لك: هذه نقرة وهذه نقرة!!، من الذي قال هذا الكلام؟! وهل القرآن ترك شيئاً للإنسان يعمله في أي زمان أو مكان ولم يُبين حكمه الشرعي؟! وهل النبي ﷺ ترك أي أمر من أمورنا ولم يُبين الكيفية السديدة الرشيدة له؟! لا.

حتى أنه بين كيف نمشي؟ وكيف نتكلم؟ وكيف نجلس في الشمس؟ فلم يتركنا على هوانا، قال لعلي بن أبي طالب ﷺ:

٨٦ الحاكم في المستدرک والمطالب العالیة لابن حجر عن أبي هريرة ﷺ

{ يَا عَلِيُّ، لَا تُسْتَقْبَلِ الشَّمْسُ، فَإِنْ اسْتَقْبَلَهَا دَاءٌ، وَاسْتَدْبَارَهَا دَوَاءٌ }^{٨٧}

علمنا كل شيء إن كان صغير أو كبير، حتى أن السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كان أحدهم لا يعمل أي عمل صغير أو كبير إلا بعد أن يتيقن من حديث صحيح كيف فعله البشير النذير، فسيدنا أحمد بن حنبل رحمه الله توقف عن أكل البطيخ، فقالوا له: لم لا تأكل البطيخ مع أنه زوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب البطيخ؟! قال ورد بالرواية الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب البطيخ، لكن لم يرد إلي برواية صحيحة كيف كان يأكل البطيخ، فأخاف أن آكله على غير هديه الشريف!.

انظروا ماذا بلغت درجة الحرص! لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (النور) ومن يخالف أعطاه انذار شديد: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (النور) الذي يخالف تأتية فتنة، أو عذاب أليم في الدنيا من الهم والغم والمرض والوباء وغيره، غير العذاب الأليم في الدار الآخرة، حفظنا الله أجمعين، فالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم - باختصار شديد - يقتضي الاقتداء به في عباداته لله، وفي أخلاقه مع خلق الله، وفي تعاملاته في كل أحواله مع جميع عباد الله، ليكون هذا حسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

حال المؤمن مع القرآن

﴿ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ النور هنا هو القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ (الشورى) فالقرآن الكريم نور ... والقرآن الكريم كتاب حياة، لم ينزله الله صلى الله عليه وسلم لنتلوه آناء الليل وأطراف النهار لأخذ الحسنات وكفى، ولكن أنزله إلينا الله لنتدبره ونعمل بما فيه: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (٢٩ ص)، ليس المطلوب من المسلم أن يقرأ القرآن كل يوم مرة، ولكن يتدبر ثم يعمل، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروى عنهم يتدبرون القرآن، فكان سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه يقول عنهم: (إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من

٨٧ المطالب العالية لابن حجر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار) لا بد من جانب عملي للقرآن، هنا كجزء نظري وهو القراءة والتدبر، والجزء العملي هو تنفيذ ما أمر به الله ... فكان الرجل الذي يحفظ منهم سورة البقرة يُدعى (عظيماً) أي يُعطونه لقب عظيم، لماذا؟ لأنه حفظ البقرة، وكيف حفظها؟ كان لا ينتقل من آية إلى آية إلا إذا تدبرها وعمل بها، وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه (لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبر؛ خيرٌ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة) ^{٨٨} وهذرمة يعني تقرأ بسرعة أو بتخليط.

فالقرآن يحتاج إلى تدبر وفهم، ومن إعجاز الله تعالى في القرآن أن أي إنسان - حتى ولو كان أمياً - لو سمع القرآن وحضر قلبه يُرسل الله له من عنده سهماً على قدره في كتاب ربه، فعندما نحضر أي عزاء، والقارئ يقرأ، صحيح أنه تتفاوت الأفهام، لكن الكل يفهم، وكل واحد يُرسل له الله فهم في آيات الله، لأنه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ (٢٢ القمر) وليس للتلاوة والذكر يعني التدبر والفهم، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢ القمر) لم يقل هل من تالٍ ... فالقرآن يحتاج التلاوة والتدبر والفهم، وعندما جعل المسلمون كتاب الله للمآتم، وحتى لو تعبدوا فيه يريدون أن يعدوا كم ختمة قرءوها، بدون فهم ولا عمل فحدثت النكسات التي نحن فيها الآن ... لكن أصحاب حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله تبارك وتعالى عنهم كانوا واعين لمعاد الرحمن في القرآن، لأن الله عاتب الذي يقرأ ولا يتدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤ محمد) ولماذا لا يتدبر هؤلاء الناس القرآن؟! القلوب عليها أقفال فلا تفهم معاني القرآن مع أنه مُيسر من الرحمن .

والله يا جماعة المؤمنين لو تدبر المؤمنون في عصرنا في آيات القرآن التي تتلى عليهم فقط في صلاة المغرب والعشاء والفجر وعملوا بها لسعدنا سعادة لا يستطيع إنسان منا وصفها!. نحتاج فقط للتدبر ثم العمل بكتاب الله تعالى، وخاصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تحدث عما يحدث في هذا الزمن الذي نحن فيه، فقال:

{ سَتَكُونُ فِتْنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ

٨٨ أورده إسماعيل حقي في تفسير روح البيان عن ابن عباس رضي الله عنه، وروى أبو حمزة عن ابن عباس في تفسير أبي منصور السمعاني، أن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلاً أحب إلى من أن أقرأ جميع القرآن هذرمة).

الذَّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ
الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْفُضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ
الَّذِي لَمْ يَنْتَهِهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْعَانًا عَجَبًا﴾، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ
عَمَلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { ٨٩

فالقرآن هو الشفاء لكل ما نحن فيه الآن من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية وغيرها لأن الله قال فيه: ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾
(٨٢ الإسراء) فقط يحتاج إلى التدبر والتفكر والفهم ثم العمل.

مراقبة الله

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ هذا هو المقام الذي يُصلح كل الأحوال، إذا وصلنا
إلى مقام مراقبة الله، واعتقدنا آناء الليل وأطراف النهار أن الله يطلع علينا ويرانا كما كان
أصحاب رسول الله، والصالحين من بعدهم من عباد الله، سينصلح حال المجتمع، ولن نحتاج
إلى متابعين ولا مخبرين ولا مديرين، لأن كل واحد منا في أي عمل سيعمله أمامه اللوحة
الإرشادية القرآنية: ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥ التوبة).

لو استأجرت أحداً ليعمل عندي، فلا يحتاج أن يتابعه أحد، لأنه يعرف أن الله يراقبه
ويطلع عليه ويراه ... وإذا وظفنا جماعة في أي عمل، سيعملون ويتقنون لأنهم يعرفون أن الله
يطلع عليهم في هذا العمل ... فلما أصبحنا نراقب بعضنا، والناس تراقب الناس، تخطفنا
الشياطين ونسينا مراقبة رب العالمين، وأصبحت أحوالنا كما نرى يا جماعة المؤمنين.

ما الحل؟ نراقب الله، ونعلم علم اليقين أن هناك يوماً يقول فيه رب العالمين:
﴿ يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ إياك أن تظلم أحداً في الدنيا وتظن أنك
ستفتر، لأنه سيأتي يومٌ وكل واحد سيأخذ حقه.

كان ﷺ ماشياً ورأى كبشين ينتطحان، أحدهما له قرون، والآخر أجلع ليس له قرون،

فقال لسيدنا أبي ذر: { يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتُدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٩٠} ، وفي رواية أخرى: { لَيَقْضَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ }^{٩١}

وورد في الخبر أن الإنسان بعد أن ينتهي من الحساب، و تكاد الملائكة تأخذه إلى الجنة يُنادي مناد الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج الخصوم، فمنهم من يتعلق برقبتة، ومنهم من يتعلق بذراعه، ومنهم من يتعلق بحقوقه، والكل يقول: يا رب خذ لي بحقي من هذا، فيأمر الله ﷻ الملائكة أن لا يدخل الجنة حتى يرضي خصماءه .. وكل واحد منهم يذكر مظلمته، سبَّ هذا، وشتم هذا، واغتاب هذا، وخدع هذا ... فيجلس معهم ويتفاوض معهم، لعمل محاضر الصلح، أين هذا المكان: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ (٤٦ الأعراف)، لو اغتابني أحد في الدنيا ولم يصلني الخبر ولا أعرفه، فسأعرفه هناك، تعرفهم بسيماهم وليس باسمه ولا بنسبه ولا بلقبه، حتى تُؤدَّى الحقوق إلى أهلها كما قال ﷻ في هذا اليوم: { لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٩٢}

فإذا كان المؤمن يعرف أن الله يطلع عليه ويراه، وأنه سيقف بين يديه وسيؤدي الحقوق كلها التي عليه لعباد الله، فكيف يكون حاله في الدنيا؟ سيكون كما قال الله: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ حتى لو كان له بعض الهفوات أو بعض الذنوب الصغيرة والسيئات سيغفرها له الله: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ وفي الحديث القدسي أن رسول الله ﷺ قال عن رب العزة: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُ لَكُمْ مِنْذُ خَلْقِكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَسْمِعْ كَلَامَكُمْ وَأَبْصِرْ أَعْمَالَكُمْ ، فَالْيَوْمَ أَنْصِتُوا إِلَيَّ ، إِنَّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، وَأَعْمَالُكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ غَيْرَ نَفْسِهِ }^{٩٣} ، ونحن مع بعضنا ماذا نعمل في هذا اليوم؟ لا شيء، لأن كل إنسان يبحث عن

٩٠ مسند أحمد وأبي داود الطيالسي عن أبي ذر ﷻ

٩١ الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر ﷻ

٩٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷻ

٩٣ عن أبي هريرة في أهوال الآخرة لابن أبي الدنيا وتماه للفائدة: { ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ عُنُقًا مِنْ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ سَاطِعًا مُظْلِمًا ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ : أَيُّهَا النَّاسُ ، ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٦٣ يس) ، فَيَمِيزُ اللَّهُ النَّاسَ وَتَحْتُو الْأُمَمَ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَبَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨ الحانية) ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ ، إِنَّ اللَّهَ لَيَقْبِذُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنْ ذَاتِ الْقَرْنِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ تَبْقَ تَبَعَةٌ لَوَاحِدَةٍ عِنْدَ الْأُخْرَى ، قَالَ اللَّهُ : كُوَيْبِ تَرَابًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ (٤٠ النبا) }

حسناته التائهة هنا وهنا، لأنه يوم شديد!!

فالإنسان المؤمن العاقل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظالم ولا حقوق للعباد، الذي له حق عندك وأنت في الدنيا سهل التعويض، حتى ولو كانت ملايين الجنيهات، لكن لا يوجد هناك غير الحسنات، فتعطي هذا حسنات وهذا حسنات، وإذا انتهى الرصيد وأعلنت الإفلاس ولا يزال هناك مطالبين، فيقولون له: احمل عنا ذنوبنا وسيناتنا، قال ﷺ:

{ أَنْذِرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ وَلَا مَتَاعٌ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }^{٩٤}

لو أن المؤمن وضع هذا في اعتباره، فعلى الفور: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنَّا سَيِّئَاتِهِ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ..

كم سنة ستمكث في الجنة؟ لو كان هناك يوم سنخرج منها لحفنا، لكنه طمأننا وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ما مقدار خالدين فيها؟

لن يخرجوا منها أبداً: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

نسأل الله أن نكون من الفائزين الفوز العظيم، وأن يُصلح أحوالنا، وأن يُذهب فساد نفوسنا، وأن يُصفي قلوبنا، وأن يُحببنا في بعضنا، وأن يرزقنا حُسن الاتباع لنبينا في أخلاقنا ومعاملاتنا، وأن يجعلنا من الذين يراقبون الله ويخشونه حق خشيته، ومن الذين يعملون بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٩٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ

قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا

عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ

جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا ۗ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ (الطلاق)

فهنيئاً لكم ولنا أجمعين هذا الجمال الإلهي:

﴿ ذَلِكُ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤ الجمعة)

ولذلك حرص العلماء العاملون، وأئمة الصالحين في كل وقت وحين، أن تكون هذه حالة جلساتهم مع المريدين والسالكين والمحبين.

كان سيدي عبد الرحيم القنائي رحمه الله من العلماء العاملين، وكان لا يفوته يومٌ إلا ويجلس في بيت الله تارة بعد صلاة العصر، وأحياناً بعد صلاة العشاء، يتلو آية من كتاب الله تعالى، ثم يأخذ في تفسيرها للأجباب، وجمعت هذه الآيات وتفسيرها في تفسير عظيم له، لكنه للأسف ضاع مع تراثنا الذي ضاع، ولعل الله سبحانه يحدث بعد ذلك أمراً، ويظهره بعد الضياع لينتفع به إخواننا المؤمنين أجمعين.

لكن الشاهد أنه كان لا بد في كل يوم يأخذ آية من كتاب الله يُفسرها ويوضحها للحاضرين، لأنه لا يستغنى الإنسان المؤمن في أي زمان أو مكان عن القرآن، والقرآن يقول الله تعالى فيه في مُحكم التبيان:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٤٩ العنكبوت).

آياتٌ في المصحف نقرأها، وقد نتدبرها، لكن معانيها العالمة، وأسرارها الإلهية الراقية، يُنزهاها الله سبحانه بفضلها على صدور أولي العلم الذين آتاهم الله من عنده العلم: ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ (٦٥ الكهف) فيشرحون القرآن كأنه غصّاً طرياً للحاضرين، فيكون لهم أنسٌ في قلوبهم، ويكون لهم صفاءً لأرواحهم، ويكون لهم بعد هذا الشرح تعلقٌ شديداً بكتاب ربهم وبالعمل به ليفوزوا بمُرادهم.

وهذا هو القرآن الذي يدفع الإنسان للعمل لما يُرضي حضرة الرحمن سبحانه.

والآيات التي معنا اليوم نأخذ بعض معانيها باقتضاب شديد، لأن تفسير آيات القرآن على حسب عطاء الرحمن، لا يستطيع الإنسان أن يُذيع بعضه في أي زمان أو مكان، لكننا نقتطف منه زهرات من رياح المعاني الإلهية، ومن بساتين المعرفة القرآنية على قدر ما يتحمّل الحاضرون والسامعون.

تقوى الله والخوف منه

أول أمر يأمرنا به الله تعالى أجمعين، وفيه النجاة، وفيه علو الدرجات، وفيه رفعة المكانة في الدنيا وفي الجنات، يقول لنا الله كلنا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ﴾ إياك أن تترك تقوى الله طرفة عين ولا أقل.

وتقوى الله الكلام فيها كثير وكثير، لكن نختصرها في كلمة واحدة وهي الخوف من الله ، والإمام علي عليه السلام سرد البيان فيها وقال فيها: (التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل) وهذا كلام عال لأن سيدنا علي كان باب مدينة العلم، كما قال عليه السلام: {أنا مدينة العلم وعلي بابها} ٩٨، لكن هذه الحكمة الطويلة قد لا يستوعبها معظمنا ولا يدركها، فنقول له: يكفي عليك أن تأخذ أولها، بأن تقوى الله هي خوف الله؛ أن الإنسان يخشى الله ويتقي الله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور، ٥٢).

إذا خاف الإنسان من مولاه، فإيا هنا: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦ الرحمن) الذي يخاف الله له أربعة جنان، لأن الله قال بعدها: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ (٦٢ الرحمن) وفسرها النبي العدنان عليه السلام فقال:

{ جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا } ٩٩

جنتان قصورهما وآيتهما وأكوابهما كلها من ذهب، وجنتان قصورهما وآيتهما وأكوابهما كلهم من فضة، فمن خاف مقام ربه له أربعة جنان، وهذا في الدار الآخرة.

لكن إذا كان الخوف معه خشية الله، ومراقبة الله، فهذا تكون له جنة عاجلة في الدنيا، لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين وصفها ولا نعتها، لأنها جنة شهودية؛ يشهد فيها من أطياف الله، ومن خفايا عوالم الله، ومن أوصاف قدرة الله، ومن أنوار حضرة الله، ما لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين ذكره لأنه أمر خاص بينه وبين مولاه.

٩٨ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن ابن عباس رضي الله عنهما

٩٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس عليه السلام

علامات العقلاء

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَى إِلَيْهِ ﴾ وأولي الألباب يعني أصحاب العقول السديدة الرشيدة، فمن هم العقلاء في هذه الحياة الدنيا؟ أعطانا الله الإجابة، فأهل تقوى الله الذين خافوا من الله، واتقوا الله في كل أحوالهم، وفي كل أعمالهم، لأنهم يخرجون من الدنيا وقد ضمنوا النجاة، وقد ضمنوا الفوز بالمراتب العلية في جنة الله .

وليس لنا شأن بالمقاييس الكونية التي يطبقها بعض الناس على الآدميين، لكن نريد المقاييس القرآنية، لأن بعض الناس يظن أن العقلاء هم الذين استطاعوا أن يجمعوا الأموال وأصبحوا أغنياء وأثرياء في الدنيا، أو أن العقلاء هم الذين استطاعوا أن يكون لهم وجهة ومنصب عظيم في هذه الحياة، أو الذين استطاعوا أن يكون لهم ذرية كثيرة يتفاخرون ويتباهون بها بين الناس.

لكن الله قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١١٣ الحجرات) ليس لي شأن بالمكرم عند الناس، فالناس لا تعلم شيئاً، لكن المكرم عند رب الناس التقى، ولم يقل الله: إن أكرمكم عند الله التقى، وإلا كانت درجة واحدة وكل من وصل إليها يكون مكرماً، ولكن أتى بها بصيغة المبالغة (أتقاكم) يعني كلما زاد في التقوى، كلما زاد في التكرم والدرجة عند المولى، وكان ﷺ يختبر إخوانه المباركين في هذه التقوى، فكان أحياناً يسألهم، عن أحوالهم مع الله أو الدليل على ما يقولون. وفي هذه الأحوال العلية قال ((سيدنا أبو بكر الصديق: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، وقال سيدنا عمر: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه، وقال سيدنا عثمان بن عفان: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده، وقال سيدنا علي بن أبي طالب: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه، ﷺ أجمعين))^{١٠٠}

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران)

درجات على حسب تقوى الله .

وذكر الله تعالى لنا فضله الذي لا نستطيع شكره عليه، والذي خصنا به نحن فقط بين الأنام، فكثير من الناس في هذا الزمان ينظرون إلى الظواهر المحسوسة، والنعم الملموسة،

١٠٠ شرح الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الكريم الجيلي بتصرف.

ويقولون: نحن يا رب مؤمنون ومصلون وصائمون، فلماذا أعطيت أهل أوروبا وأهل أمريكا وأهل اليابان وغيرهم من الكافرين هذه النعم المادية الكثيرة؟! ومن كثرتها يختارون أين يذهبوا بها، وعندما يجدونها كثرة كاثرة والمخازن تعجز عن حملها، يقولون: لو بعناها لرُخصت السلعة، فيلقون بعضها في البحر يأكلها السمك حتى يظل سعرها متوازناً!! .. أهل أمريكا يرمون القمح والذرة في البحر، وأهل هولندا والسويد والنرويج يلقون بالزبد في البحر من كثرتها، فيقول البعض: هؤلاء عندهم الخيرات لذلك فضّلهم الله علينا!! سبحان الله!! سيدنا عمر دخل على رسول الله ﷺ وكان نائماً على الحصير وأثر الحصير في جنبه الشريف، فبكى عمر، وقال رسول الله ﷺ:

{ مَا يُبْنِيكَ يَا عُمَرُ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَرْتَنِي وَقَيَّصَرْتُ عَدُوًّا وَاللَّهُ يَفْتَرِ شَانَ الدِّيَابِجِ وَالْحَرِيرِ وَأَنْتَ نَيْبُهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَرْضِ إِلَّا الْحَصِيرُ وَوَسَادَةٌ مَخْشُوءَةٌ لِيَفَا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَوْلَيْكَ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ١٠١

يعني عجل الله لهم كل شيء في الدنيا هنا ليخرجوا من الدنيا من العمل الصالح والخير والبر مُفلسين، فهل أحد منا يريد أن يكون على هذه الشاكلة؟! يعيش هنا في النعيم ويخرج من الدنيا مُفلساً من عمل الخير والبر والصالحات! فهؤلاء كذلك، لكننا على غير هذه الشاكلة.

نعم الله الخاصة للمؤمنين

نحن يُحبنا الله، فأعطانا نعماً خاصة، نعماً باطنة كلهم يتهافتون عليها ولكن لا يدرون قيمتها إلا يوم لقاء الله، مثل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ وهل توجد نعمة أعلى أو أبهى أو أرقى من الذكر الحكيم وهو القرآن الكريم؟ هذه نعم خاصة لنا نحن فقط، نسمعه ونستوعبه ونفهمه، ونريد أن نقرأه على الدوام ولا نمل من سماعه، فهل يوجد نعمة أعظم من هذه النعمة؟!.

وماذا أيضاً؟ ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ﴾ :

أرسل لنا خير رسول، يتلو القرآن ويبين لنا ما لا نعلمه في القرآن، يتلو علينا آيات الله ولكن معها بيان، فَيُبين لنا البيان لكي نعمل العمل الذي يُحبه حضرة الرحمن، فلا تُوجد نعمة في الدنيا أعظم ولا أكرم من نعمة القرآن، ومن نعمة اتباع النبي العدنان ﷺ.

كم دفعنا في هذه النعمة؟ وبكم اشتريناها؟ وبأي شيء حصّلناها؟ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤ المائدة) هل يوجد أحدٌ منا كلنا جعل لنفسه الإيمان في تجاوب قلبه؟! أبداً، فكيف دخل الإيمان في قلوبنا؟ نسأل الله في كتاب الله؟ قال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (٢٢ المجادلة) من الذي كتب الإيمان؟ الله.

ولذلك كان إمامنا الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: (قلامتة ظفر المسلم - الجزء الزائد الذي نُقِصَهُ من الظفر - خيرٌ عند الله من ملء الأرض كُفَّاراً) لأن هذا قد كتب في قلبه الإيمان، لكن الآخر قد أعطاه نعماً حسية فشأنه شأن الحيوانات التي تعيش في البرية، مع أن الحيوانات تذكر الله، ولكنه مسكين لا يشكر الله على عطاياه ولا يشكر الله على نعمه التي أعطاهها الله إياه، ولذلك يقول الله في شأنهم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (١٧٩ الأعراف)، هم كالأنعام ولكنهم يلبسون خلل جميلة، ويذهبون للكوافير لِيُنسِقُوا شعرهم، ولكنهم في الأصل أشرُّ من الأنعام، لأنهم غفلوا عن ذكر الله، وعن شكر الله ﷻ على عطاياه، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ } ١٠٢

هل عرفتم لماذا يحبكم الله؟ لأنه خصَّكم بهذا الدين القويم، وكتب في قلوبكم الإيمان. ما الذي يجعلني أنا وأنت نذهب لِنُصلي في المسجد؟! ونريد أن ندفع ما نملك لنُحج بيت الله!، ونريد أن نستمتع بالعلم النافع!، ونريد أن نتذوق طعم العمل الرافع!، لماذا؟ هل بشطارة منا أو مهارة؟ أبداً، ولكن: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ (٧ الحجرات) هو الذي حَبَّبَ إلينا الإيمان لأنه يُحبنا، وهو الذي زَيَّنَهُ في قلوبنا، وهذا كله فضل الله وإكرام الله .

١٠٢ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

رسول النور والهداية

فأكبر نعم من الله بما علينا أجمعين هي نعمة القرآن، ونعمة النبي العبدان ﷺ.

﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

هل هو سيُخرجنا من المكان المظلم إذا انطفأ النور إلى النور؟! لا، ولكن من ظلمات الكُفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الشكِّ إلى نور اليقين في حضرة الرحمن، ومن ظلمات اليأس إلى نور الرجاء في فضل الله وكرم الله على الدوام، والظلمات كثيرة والنور واحد، وظلمة الكُفر، وظلمة الجهل، وظلمة النفس، وظلمة الشيطان، وظلمة الشرك بالله، وظلمة الوسوس والهواجس .. ظلمات كثيرة، والنور نورٌ واحدٌ، وهو نور الواحد الأحد تبارك وتعالى.

من الذي قام بهذه الأشياء بأمر ربه؟ وعلى نور من ربه؟

نبينا وحبينا سيدنا رسول الله ﷺ ... فدائماً المؤمن يتذكر، انظر ماذا أعطاك الله؟

وماذا أخذ منك؟ وبماذا خصَّك؟ لتعلم فضل الله تبارك وتعالى عليك.

هل يوجد أحدٌ مثلنا من أهل أمريكا أو اليابان أو روسيا أو غيرها؟ لا أحد، لأنه

سيخرج من الدنيا إلى جهنم وبئس القرار، ولو كان عنده ناطحات سحاب، أو عنده

ترليونات، ماذا يفعل بهذا كله؟! عندما يخرج من الدنيا سيقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾

(٢٨ الحاقة)، الذي يُهدد العالم كله ويقول: سأفعل في هؤلاء كذا، وهؤلاء كذا، فماذا يقول؟

﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩ الحاقة).

لكن أنت والحمد لله ستقوم من هنا إلى ملائكة الرضوان يستقبلونك بأمر الله،

وتذهب كما قال الله في كتاب الله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (٣٢ النحل) عندما

تخرج من الدنيا تأتي ملائكة الرضوان من الجنة: ﴿يَقُولُونَ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢ النحل) وحضرة النبي ﷺ يحكي لنا مشهداً يحدث يوم القيامة، فيقول:

{ يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْعَقُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ

يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ:

لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتِي بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ { ١٠٣

حال أهل الجنة

نحن لا نستطيع وصف الوجهاء والأغنياء في الجنة، ولكن نريد أن نرى آخر رجل يدخل الجنة، والذي أخبرنا عنه سيدنا رسول الله ﷺ، فيقول:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُحْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُحْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْحَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً { ١٠٤

إذا كان هذا آخر إنسان يدخل الجنة بعد أن خرج من النار ونفذ الحكم وجاءه قرار العفو، فما بال القوم الذين دخلوها قبل ذلك كيف يكونون؟ هؤلاء لهم فيها كما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ { ١٠٥

لذلك أعطانا الله هذه الروشنة وحدّثنا من تركها: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ لا بد من الاثنين معاً، الإيمان بالله والعمل الصالح، فالإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة ولا لرضا الله، والعمل الصالح من غير إيمان لا ينفع صاحبه، لأنه سيكون كهؤلاء الآخرين الذين ذكرناهم، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

١٠٣ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس رضي الله عنه

١٠٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٠٥ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّجَمَ،
وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا:
رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }^{١٠٦}

عبد الله بن جُدعان كان زعيماً من زعماء العرب، وكان له دار ضي كبيرة ضيافة مكة يُطعم فيها الضيفان، ويقوم فيها الغرباء، ويحل فيها المشاكل، لكن ما دام لم ينطق بالشهادتين ولم يؤمن بالله، فلن ينفعه ذلك.

البعض يعترض ويقول: إن الأوروبيين والأمريكيين يقدمون معونات، لكن لماذا يُخرجون هذه المعونات؟ هذه المعونات يُخرجونها حتى يمشي الناس في ركابهم، ولذلك من لم يمش في ركابهم وفي سياستهم يمنعون عنه هذه المعونات، لأنها ليست لله.

مروشة دخول الجنة

لا بد من الإيمان ومعه العمل الصالح، وكل آيات القرآن هكذا:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٣٠ الكهف).

وقال ﷺ:

{ لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِّي وَلَا بِالْتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ }،
وفي رواية: { لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ، إِنْ قَوْمًا
أَلْتَهُمْ أَمَانِي الْمَغْفِرَةَ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَحْسِنُ
الظَّنَّ بِاللَّهِ وَكَذَبُوا، لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لِأَحْسَنُوا الْعَمَلُ }^{١٠٧}.

فروشة دخول الجنة تحتاج إلى صنفين اثنين من الأدوية القرآنية؛ الإيمان الصادق بالله، والعمل الصالح الذي يبغى به صاحبه وجه مولاه، إذا كان العمل الصالح يبغى به الشهرة بين الناس، فهذا عملٌ للرياء وللشُهرة وللشُّمعة، ولا يقبله الله تبارك وتعالى.

وإذا كان يعمل العمل الصالح ليتباهى به، فكلما جلس في مجلس يقول: ...

^{١٠٦} صحيح مسلم ومسنند أحمد عن عائشة ﷺ

^{١٠٧} الحديث الأول رواه ابن النجار عن أنس ﷺ، والحديث الثاني أخرجه البخاري في التاريخ عن أنس بن مالك ﷺ.

أنا عملتُ كذا، وأنا فعلتُ كذا، ويفرح عندما يقول الناس: أنت رجلٌ فيك خير لإنك تفعل كذا وكذا، فهذا أيضاً رياءٌ وشُعبةٌ ولا ينفعه ذلك عند رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠ الكهـ—ف) ... أهم شيء الإخلاص.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أين يذهب؟

﴿يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ليست جنة واحدة، ولكن جنات، وهذه الجنات من مظاهر المنعة الإلهية التي أشار لنا فيها في الآيات القرآنية رب البرية؛ أنهم سيكونون ساكنين في قصور عامرة بالخور والنور، وتحتها الأنهار: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (١٥ محمد) وكل هذه الأنهار تجري في مجرى واحد، ولا يختلط هذا بذلك، فلا يوجد نهر للماء ونهر للبن!! لا بل كلها مع بعضها وتمشي بأمر ربها ولا يختلط البعض ببعض الآخر، لأن الذي تولى ذلك رب العالمين تبارك وتعالى.

هذه الجنة كم سنة ستمكث فيها؟ وكم مدة العقد؟

قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ على الدوام، لأن الله لو وعدنا بالجنة، وعرفنا أننا سنأخذ فيها مدة ونخرج فلن ننتهي بالجنة، لأننا عرفنا أننا ستمكث فيها مدة ثم نتركها، كما يحدث في الدنيا، ولكن الجنة ليست كذلك، وإنما خالدين فيها أبدًا.

الأرزاق الحسنة

﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾

أتي الله فيها بالأرزاق الحسنة، والأرزاق الحسنة قل فيها ما شئت، والناس في الدنيا ظنوا أن الأرزاق الحسنة كالمأكولات والفواكه والمشروبات، وهذه أقل مُتَع الجنة الحسية التي ستكون لجميع الداخلين فيها.

لكن فيها أرزاق أحسن من هذه، على سبيل المثال: المؤمنون سيكرموا بأن يكونوا مع النبي الأمين في درجته وفي جواره في الجنة، فيكون في الحي الذي يسكن فيه سيدنا رسول

الله، يراه ويجالسه ويحضر جلسات الأنس مع حضرته صلوات الله وسلامه عليه، وهؤلاء رزقهم يقول فيه الله:

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (٦٩ النساء)

مع هؤلاء المنعمين.

وهناك جماعة أخرى يقول فيهم ﷺ:

﴿ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثَرِيدُونَ شَيْنًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ نُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْجِبَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْنًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ۝١٠٨﴾

فيدخلون في قول الله:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۝١٠٨ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝١٠٩ ﴾ (القبامة) قال ﷺ:

{ فَمَا أُعْطُوا شَيْنًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ } ١٠٩

لا يوجد شيء أنعم ولا ألد ولا أبحج ولا أبهى من لذة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى. الأرزاق الحسان الإلهية لا نستطيع أن نُفصلها، ولا أن نُبيِّها ويكفيها ما ذكرناه.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يلهمنا ذكره، وأن يُوفقنا لشكره، وأن يرزقنا العمل الصالح الخالص لوجهه، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الرضا عن حضرته، وفي الآخرة من الناظرين إلى جمال طلعتة، وأن يُكرمنا في الدنيا والآخرة برفقة سيد أهل بريتة، وأن يجعلنا أجمعين تحت لواء شفاعته، وأن يرزقنا جواره في جنته

وصلی الله وسلّم وبارک على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

١٠٨ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ
١٠٩ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ ۗ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ
لَنَا ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

(٨ التحريم)

٧. النوبة النصوح ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الغفور الرحيم التواب الجواد الكريم، الذي يُحب عباده التوابين ويُحب عباده المتطهرين، ويفتح أبواب السماوات لقبول توبة عباده التائبين في كل وقت وحين ..

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الذي أعطاه مولاه ما لم يُعط سواه من الأنبياء والمرسلين، وعصمه من الذنوب والآثام، وجَمَله بالأخلاق الإلهية العظام، وكَمَله بأخلاق القرآن، وجعله قرآناً يمشي بين الناس، ومع ذلك كان يقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَثُوبُ إِلَى اللَّهِ،
وَاسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ } ١١١

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله الكرام، وعلى صحابته البررة الأتقياء الأتقياء، وعلى كل من تابعهم على هذا الدين إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

موقف المؤمن من الذنوب

الرحمن تبارك وتعالى يعلم ضعفنا وعجزنا، وأن النفس قد تُسول لنا معصية الله، وأن الشيطان قد يُوسوس لنا لنخالف ما أمرنا به الله في كتاب الله، حتى نستوجب في ظنه غضب الله تبارك وتعالى ... فطلب منا الله، وأوصانا رسول الله ﷺ أجمعين حتى من كان منا من العابدين، ومن كان لسانه لا يكفُّ عن الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن لرب العالمين، أن نكون على الدوام مُنتبهين للتوبة إلى الله في كل وقت وحين.

لا يوجد إنسان خُلِق معصوماً من الذنوب إلا الحبيب المحبوب ﷺ، ولذلك قال:

١١٠ الأقصر - أرمنت - المسجد العتيق بأولاد الشيخ - ٢٩ من صفر ١٤٤٠ هـ / ١١/٨ / ٢٠١٨ م
١١١ مسند أحمد والنسائي

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ } ١١٢

وخطأ بصيغة المبالغة يعني لن يخطأ مرة واحدة فقط، بل مراراً وتكراراً، قد يعلم وقد لا يعلم، فهناك ذنوبٌ قد نعلم أننا فعلناها، وذنوبٌ نعملها ولا يعلم بحقيقتها إلا الله تبارك وتعالى، فماذا نفعل؟ نكون دائماً جاهزين للتوبة إلى رب العالمين في كل وقت وحين.

وإياك أن تفعل كما يفعل المفتونين والمغرورين، فتوَجَّل التوبة وتقول: أنتظر إلى يوم الجمعة وأتوب، أو أنتظر حتى يأتي رمضان وأتوب، أو أنتظر حتى أجمع المال وأذهب للحج وأتوب!!.

لكن من حُب الله ﷻ للعبد المؤمن أن يُسارع فوراً عند ارتكاب الذنب إلى التوبة لحضرة علام الغيوب، ولا يكون عنده تسويق ولا تأخير.

التوبة النصوح

ولذلك يقول لنا الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الذُّبُرُ ءَامِنُونَ﴾ لبيك اللهم ربنا وسعديك، ما الذي تطلبه منا يا رب؟ ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ تتوب إلى الله دوماً التوبة التي وصفها الله بأنها نصوحاً، ونصوح يعني خالصة لله، أو توبة صادقة، لأنه قد أتوب بالكلام وبعد لحظة أرجع إلى الوقوع في الذنب، فهذه توبة ليست خالصة ولا توبة نصوح.

فالتوبة النصوح هي الخالصة لوجه الله وصادقة، لأن الإنسان يعزم فيها أولاً أن يتخلى عن هذا الذنب فوراً... ومن يقل أنا تبت وما زال يفعل الذنب فهذا - والعياذ بالله - كمن يستهزئ بربه!، فكيف تقول أنك تبت وأنت لا زلت تفعل هذا الذنب؟!، فلكي تكون التوبة مقبولة عند رب العزة تبارك وتعالى يجب أن تتخلى فوراً عن هذا الذنب.

وأندم على فعله، وأشعر بداخلي بالأسف والخجل من رب العزة تبارك وتعالى، لأني ماذا أقول لربي وهو يراني وأنا أفعل الذنب؟! وماذا أقول للنبي ﷺ وأعمالي تُعرض عليه عندما يرى ديواني وفيه هذا الذنب؟! عندما يُحدِّث الإنسان بذلك يشعر بالندم، وفي هذا الندم قال ﷺ:

فحقوق العباد إذا كانت حقوق مالية فلا بد من ردّها، وإذا كانت غيبية، يعني تكلم في حقه بكلام، لا بد وأن يستسمحه، لكن ربما لو قال له: أنا قلتُ في حَقك كذا وكذا قد تزيد الفرقة، ولكن يحاول أن يكونا جالسين في جماعة فيقول: ما رأيكم يا جماعة لو نسامح بعضنا إذا كان أحدهنا قد أخطأ في حق الآخر، فيكون الكلام عام ولكن فيه مسامحة على هذا الخطأ.

فحقوق العباد إذا كانت مظالم معنوية كالغيبية، فلا بد من الاستسماح منها، وإن كانت حقوقاً عينية فلا بد من ردّها لأهلها، فإذا لم يردّها إلى أهلها فلا يقبل الله ﷻ منه هذه التوبة، حتى ولو حجَّ بيت الله الحرام، لكن ما شأن الحديث الذي يقول:

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَزِفْهُ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ } ١١٥

يعني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فالعلماء قالوا: هذه الذنوب التي ليس فيها حقوق للعباد، لكن التي فيها حقوق للعباد لا بد أن يسامحوه، أو يُعطيهم حقوقهم مرة أخرى... ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ عندما تحدث عن الدار الآخرة وعن جهنم، وذكر أن جهنم لها سبعة جسور، وكل جسر منهم ألف سنة صعود، وألف سنة استواء، وألف سنة هبوط، وبذلك يستغرق المرور على هذا الجسور واحد وعشرين ألف سنة، لأن اليوم فيه خمسين ألف سنة: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤ المعارج).

من حافظ على الصلاة سيعبر من الجسر الأول كالبرق الخاطف، ومن حافظ على الصيام سيعبر من الجسر الثاني كالبرق الخاطف، ومن وجبت عليه الزكاة وأداها كما يحب الله سيعبر من الجسر الثالث كالبرق الخاطف، ومن استطاع للحج وحجَّ بيت الله الحرام سيعبر الجسر الرابع كالبرق الخاطف، ومن برَّ والديه سيعبر من الجسر الخامس كالبرق الخاطف، ومن كانت عقيدته ليس فيها زيغٌ ولا شبهات فيعبر من الجسر السادس كالبرق الخاطف!

والجسر السابع وعامة نزول أهل الموقف في جهنم منه وهذا لمن لم يؤدي حقوق العباد، .. لأنه ﷻ قال:

١١٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ١١٦

لابد لرب العزة أن يُعطي كل واحد حقه يوم القيامة، وروى سيدنا أبو ذر فقال:

{ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ١١٧ ، وروى: { لَيَقْضَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ (بدون قرون) مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ } ١١٨

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ (٤٤ الكهف) فلا بد للإنسان أن يؤدي ما عليه من الحقوق للعباد، ولا تصح التوبة إن كان عليه شيء من الظلم أو غيره لعباد الله.

وهذا هو المقام الذي يظهر فيه ورع الصالحين، وتقوى الأتقياء من العارفين، أحد الصالحين الصادقين واسمه الشيخ الشبلي رحمته الله، أبوه كان حاجب عند الخليفة العباسي، فعينوه والياً - يعني حاكماً - على إقليم من الأقاليم، ثم جاءت عناية الله، وترك الحكم وتفرد بالكلية لطاعة الله وعبادة الله، وهو في النزاع الأخير طلب أن يوضئوه، لأنه كان قد عجز قليلاً عن الحركة، فالذي كان يوضئه نسي تخليل اللحية، فأمسك بيده وأشار إلى لحيته، فقالوا: حتى في هذه اللحظة لم ينس تخليل اللحية.

فسأله كيف حالك؟ .. قال: أنا والحمد لله لم أفعل ذنباً إلا وتبُّت منه الله، ورأيت علامات قبول التوبة من الله، غير أن ما يُهمني أي أخذت ديناراً ظلماً من رجل أثناء ولايتي، وبحثت عن هذا الرجل طويلاً في كل أرجاء المملكة فلم أجده، فتصدقت عنه بألوف، وأخشى أن يُوقفني بين يدي الله يوم القيامة للمطالبة بحقه، فيقول: .. يا رب خذ لي بحقي من هذا!!..

فهذه أحوال الصالحين، وأحوال المتقين ... الذين مشوا على سنن سيد الأولين والآخرين رحمته الله.

١١٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رحمته الله
١١٧ مسند أبي داود الطيالسي عن أبي ذر رحمته الله
١١٨ الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر رحمته الله

قبول التوبة

فإذا تاب الإنسان التوبة النصوح إياك أن تجزم بقبول التوبة، لأن الله يقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعسى يعني جائز أن يتوب عليك، حتى لا تطمئن، وتظل تتوب إلى حضرة علام الغيوب.

وعسى أيضاً بمعنى لعل، يعني لعل الله أن يتوب الله عليك، فليس معنى أنني ثبت، أن أطمئن تمام الاطمئنان أن الله قبل التوبة مني، ولكن لا بد أن يكون الإنسان على وجل من قبول العمل من الله .

إذا تاب الإنسان وقبله الله يا بشره، فأنا وأنت معنا شهود، الشاهد الأول هم الكرام الكاتبين الذين معنا ويسجلون الأعمال بالصوت والصورة، ومعها يسجلون النية التي بداخلك.

ومعك بعد ذلك الشاهد الثاني وهي جوارحك التي عملت، فهي التي ستشهد هناك وتقول: أنا عملت كذا وكذا: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥يس) ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢١فصلت) فالجوارح ستشهد.

والشاهد الثالث الأرض وعالم الأرض التي نحن عليها، فالمكان الذي نحن فيه الآن سيشهد لنا يوم القيامة بأننا جلسنا فيه لسماع درس العلم، وهي شهادة تكون في صحف حسانتنا وتأييداً لنا عند ربنا وإلهنا تبارك وتعالى.

المكان الذي تذكر اسم الله عليه سيشهد لك عند الله يوم القيامة، ولذلك العلماء قالوا: نوع في مكان أداء صلاة السنن، فأصلي ركعتين هنا، وركعتين هنا، لكي تشهد الأرض كلها لك.

وعندما تذهب لأي أرض في أي زمان ومكان أو لأي مسجد، صل ركعتين، حتى يشهد لك هذا المكان عند رب العالمين .

فالأرض ستشهد على الإنسان بما عمل عليها: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٦﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٨﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٩﴾ (الزلزلة).

فمن تاب الله عليه كما قال حضرة النبي:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتُهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ } ١١٩

يحدث محو تام لهذه الذنوب والآثام من كل الشهود لكي يكون الإنسان يوم القيامة ليس له عتاب، ولا حتى لوم ولا حساب أمام الحسيب تبارك وتعالى، لأن الله تقبل توبته وغفر له.

جزاء النائبين

ومن كان مثل هذا فعلى الفور: ﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ﴾ وليست جنة واحدة، ولكن: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦ الرحمن) ثم ذكر بعدها: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢ الرحمن) يعني أربع جنان على الأقل لمن تاب وأتاب إلى الله .

إذا تاب واستقام، ولم يرجع إلى الذنب أبداً، فإن رب العزة يُخصه سبحانه: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠ الفرقان) لأنه لم يرجع نهائياً، ومكان كل ذنب تكون حسنة، فما هذا الفضل العظيم؟! وما هذا الكرم العميم؟! هذا لنا من أجل حضرة النبي ﷺ.

﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ومتى ذلك؟ في اليوم العظيم، الذي سيكون يوم الخزي والفضيحة لكل الأمم السابقة ما عدا أمة النبي المختار.

والفضيحة عندما يُحاسب المرء على المألأ والكل يشاهده ويشاهد ما عمله، ولذلك خصنا الله ﷻ بحساب خاص اسمه حساب الفضل الإلهي، وغيرنا من الأمم يحاسبون بحساب

العدل: ﴿ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (٤٩ الكهف).

أما نحن: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١٦ الأحقاف) ولذلك كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

{ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السِّلَاحَ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ وَتَمَنَّى ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ جَعَلْتَ أُمَّتِي أَقْصَرَ الْأُمَمِ أَعْمَارًا وَأَقْلَهَا أَعْمَالًا؟ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَقَالَ: ﴿ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ الَّتِي حَمَلَ فِيهَا الْإِسْرَائِيلِيُّ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ { ١٢٠

فمن يُحْيِي هذه الليلة ينال عمل وثواب ألف شهر مقبولة تامة عند الله تبارك وتعالى، وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى:

{ يَا حَبِيبِي يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ، قَالَ: هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لَا، قَالَ: يَا حَبِيبِي، فَهَلْ غَمَّ أُمَّتَكَ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الْأُمَمِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لَا، قَالَ: أَبْلَغَ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الْأُمَمِ؛ لِأَفْضَحِ الْأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلَا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الْأُمَمِ { ١٢١

أمة الحبيب ﷺ لا يطول مُكثهم في القبور!!!، ويطلعوا على مساوي الأُمَمِ، ... ولا يطلع على مساوئهم أحدٌ غير الله ...

فنحن نقرأ في كتاب الله ما فعله اليهود مع سيدنا موسى، وما فعلوه مع سيدنا عيسى، وما فعله إخوة يوسف معه مع أنهم كانوا أنبياء!، وغيرهم وغيرهم، لكن هل يأتي أحد بعدنا ويرى ما عملناه؟ لا أحد، وهذا فضل الله تبارك وتعالى.

١٢٠ تفسير البغوي

١٢١ تاريخ دمشق لابن عساکر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ

فضل الله على المؤمنين في الآخرة

نحن آخر الأمم، فكيف يكون الحساب؟ قال ﷺ:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ١٢٢

فيبدأ بنا أولاً، لأننا أول فوج سيدخل الجنة من فضل الله تبارك وتعالى، فسيبدأ بنا الله ويكون حسابنا بيننا وبينه، والأمم الأخرى لا ترى ما في هذا الحساب حتى لا نتعرض لخزي ولا فضيحة ولا شيء من هذا القبيل.

هذا الحساب الذي سيحاسبنا الله عليه، كان الأنبياء يطلبونه، ولكن من أجل خصوصيته لم يطلبه أحد منهم لابنه أو لأمته، فسيبدأنا إبراهيم أبو الأنبياء كان يقول: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧ الشعراء) فلم يُقَلْ: ولا تُخْزِنَا، يعني هو والذين معه، لكن وحده فقط، لأنه يعلم أن هذا مطلب عزيز، فيكفيه أن ينجو، والباقي ينال نتيجة ما عمله.

لكن الله يقول لنا: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ لن يفضح النبي ولا المؤمنين الذين معه، ومن الذين معه؟ الذين كانوا في زمانه إلى يوم الدين، يعني نحن من جملتهم، فليس الذين معه من كانوا في زمانه فقط، ولكننا كلنا معه ﷺ، فأخذنا من الله ﷻ فضلاً منه وكرماً عفوًا عامًا من الحساب أمام الأنام، فكيف يُحاسبنا؟ حضرة النبي ﷺ وضح هذا الأمر فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ:

أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ،

فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ } ١٢٣

هل رأى أحدٌ فضائحه التي فعلها؟ لا، وهل رأى أحدٌ المصائب التي ارتكبها؟ لا، وهذه خصوصية لنا من أجل حضرة النبي.

١٢٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٢٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

أهل النكير من الكرم

ولذلك أعظم فرحة لأي مؤمن عندما يقرأ: ﴿يَوْمَ لَا تُخْزِي آلَ اللَّهِ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ فنحن معه، فهل يوجد شيء أعظم من ذلك؟! ومن كان معه فياهناه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢٩ الفتح).

هؤلاء الذين سيكونون معه يوم القيامة: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ سيكون لهم نوران: نورٌ أمامهم، وهذا نور الإمام الأعظم، والسيد السند الأكرم ﷺ، لأنه آلى على نفسه أن يمشي أمامنا في كل ساحات العرض والحساب، وهؤلاء لمن كان لهم حساب

لأن هناك جماعة سيخرجون من القبور إلى القصور - وإن شاء الله نكون منهم - وهؤلاء ليس لهم علاقة بهذا الحساب لا من بعيد ولا من قريب، ويجلسون في القصور: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣ المطففين) يشاهدون أهل الموقف: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (١٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿١٥﴾ (المطففين) جالسين فرحين يشاهدون أهل الموقف، ويُسْقَوْنَ مِنْ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أو شراب الله: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١ الإنسان) ... وهناك جماعة يخرجون قدام عرش الرحمن، وكل واحد منهم له منبر من نور، وهؤلاء الذين يقدمهم رسول الله، ويُعْطِيهِمْ تَفْوِيزَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِيَكُونَ لَهُ كَشْفٌ يَشْفَعُ فِيهِ لِعَدَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ عَلَى حَسَبِ دَرَجَتِهِ وَمَقَامِهِ، وعلى حسب ما يُحَدِّدُهُ لَهُ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ ... والآخرون الذين في الموقف سيكونون النور أمامهم، وهو سيدنا رسول الله، سيدنا أنس بن مالك يقول:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِ أَطْلُبُكَ، قَالَ: أَطْلُبْنِي أَوْلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنِ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ } ١٢٤

يُرِيدُ أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى الْأُمَّةِ، فَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ يُرِيدُ أَنْ يَطْمَئِنَّ أَهْمُ كُلِّهِمْ أَخَذُوا الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإنشقاق) ... وعند الميزان يقف مع كل واحد منا حتى يطمئن أن ميزانه ثقل، قال ﷺ: {مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَأَقْفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ، وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ} ١٢٥، ويقف عند الصراط إلى أن يتأكد أننا مررنا، وهذا لأهل اليمين الذين يتعرضون للحساب فهؤلاء سيكون أمامهم سيدنا رسول الله: ﴿نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

ولهم نور آخر في أيديهم اليمنى، وهو نور العمل الصالح: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ فيكون لهم نورين، كما في الآية القرآنية في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (١٢ الحديد) فيكون نور رسول الله أماننا، ونور العمل الصالح في إيماننا.

الجماعة المنافقون - نسأل الله الحفظ والسلامة - والذين نطقوا كلمة التوحيد بألسنتهم، ولأنهم نطقوا كلمة التوحيد مرة فسيظهر لهم نور يوم القيامة، ولن يستمر ولكنه سينطفئ لأنهم قالوها بألسنتهم ولم تطمئن بها قلوبهم، فنورهم سينطفئ، وعندما يرى المؤمنون هذه الحالة يخافون، ويقولون لربهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا﴾ تم لنا النور إلى أن تنتهي من هذه المتاهات والمواقف: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

المقربين يقولون: نريد تمام النور، وتمام النور أن تأذن لنا بعد أن تجهز قوانا لنتمتع بالنظر إلى وجهك الكريم، وهذا هو النور الأتم، والنور الأعظم، وهو: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٧٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٧٨﴾﴾ (القيامة).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا على الدوام من عباده التوابين الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بقلوبهم بين يديه في كل وقت وحين، وأن يتفضل علينا ويضع في قلوبنا خشيته، وأن يجعلنا من أهل الخوف من جلال حضرته، وأن يرزقنا مراقبته في كل وقت وحين حتى نحظى أجمعين بقول رب العالمين: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٤ الحديد)

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٣﴾
 وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً
 ﴿٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٥﴾ وَأَنْشَقَّتْ
 السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى
 أَرْجَائِهَا ﴿٧﴾ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ
 ثَمَنِيَّةٌ ﴿٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ
 خَافِيَةٌ ﴿٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
 فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي
 مُلْكٌ حِسَابِيَةَ ﴿١١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٢﴾
 فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٣﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٤﴾ كُلُوا
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
 الْخَالِيَةِ ﴿١٥﴾ (الْحَاقَّةُ)

تذكر الموت والدار الآخرة

العلامة الثانية: ذكرنا الله بها في كتاب الله في الآيات التي معنا، أن يتذكر الإنسان على الدوام أن الدنيا ليست دائمة، وأنه ستركها أو تتركه آجلاً أو عاجلاً، وفي نفس أو أقل يكون بين يدي من يقول للشيء كن فيكون وسيأتي يوم يجمع الله الناس فيه للعرض والحساب والثواب والعقاب.

إذا تذكر المؤمن أيضاً هذا اليوم على الدوام، فلن تستطيع النفس ولا الشيطان ولا قُرءاء السوء أن يُمِيلوه إلى معاصي الله، أو يدفعوه إلى الغفلة عن ذكر الله، لأنه في كل لحظة يتقرب لقاء الله، والله ﷻ قال لنا في هذا اللقاء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (١١٨ الحشر).

يوم القيامة كأنه غداً، كأنه على وشك الدخول في أي لحظة من لحظات الإنسان.

هذه هي الأحوال التي ركز فيها سيدنا رسول الله ﷺ مع أصحابه المباركين أن يستحضروها على الدوام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ مَنْ يَذْكُرِ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً { ١٢٧

يعني مَنْ تذكر الموت في اليوم واللييلة عشرين مرة، طبع بطابع الشهداء، فلو مات يأخذ لقب شهيد عند الحميد المجيد ﷻ.

ويوم القيامة يوم مشهود كلنا سنشهده: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣ البروج) شاهد وهو ﷻ، ومشهود وهو يوم القيامة، فكلنا سنحضر فيه أجمعين، لذلك لا بد أن نعرف بعض تفصيلاته، وبعض أحداثه وملابساته، حتى نُجهز أنفسنا لهذا اليوم.

القيامة كما حددها الله في كتاب الله، لا يعلمها إلا الله جل في علاه، حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي علمه ربه ما لم يكن يعلم:

١٢٧ ذكره الغزالي في الإحياء والقرطبي في التذكرة والسيوطي عن عائشة رضي الله عنها

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء)

سأله أمين الوحي جبريل:

{ أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ } ١٢٨

لذلك أرجو من أحبائي أن لا يلتفتوا إلى المخرفين الذين يريدون عمل كتب لبيعوها وبيوزعوها، ويقولون: أن الساعة ستقوم، وعلامات القيامة كذا وكذا، ويحدوا سنين وأيام!! من أين هذا الكلام!! هي من العلوم الخمسة التي لا يعلمها إلا الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤ لقمان) هذه اسمها العلوم الخمسة الغيبية التي لا يعلمها إلا الله .

لكن أحداث الساعة الكبرى ... وعلاماتها ظهرت منها بعض العلامات الصغرى، والعلامات الكبرى لا زالت في الطريق، ونحن لا يعيننا هذه ولا هذه، وإنما يعيننا قول الحبيب ﷺ:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ } ١٢٩

ما شأني وشأن القيامة العامة التي تحدث للأنام؟! تأتي بعد مليون سنة، أو بعد ألف سنة، أو بعد مائة سنة، لا شأن لي بها، لكنني لي قيامة ... قد تأتي في أقل من لمح البصر وهي الموت.

تجهيز أرض القيامة للحساب

بعد أن يُقَدَّرَ الحق ﷻ نهاية الحياة الدنيا يُؤهل أرض الموقف العظيم للعرض والحساب، ويكون معها سماء الدنيا بما فيها ومن عليها.

وأول علامة من هذه العلامات الكبرى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾  والصور بعض المفسرين والمؤولين على قدرهم فكرباً قالوا: هو كبوق ينفخ فيه إسرافيل.

١٢٨ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ
١٢٩ رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

ولكن سمعنا من أهل اليقين أن الصور عالم يحوي كل ما في السماوات وما في الأرضين، عالم واسع جداً فيه كل ما في السماوات وما في الأرض، ويسع كل هذه الخلائق والكائنات، وهذا ما يُحيط بهذه الكائنات كلها.

والذي ينفخ هو إسرائيل، وأذكر نفسي وإخواني بحديث حضرة النبي في هذا الباب، فقد دخل سيدنا عمر على سيدنا رسول الله وهو نائم على حصير، والحصير قد ترك أثراً في جنبه الشريف، فبكى عمر، فقال ﷺ:

{ مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَرَى وَقَيْصَرُ عَدُوًّا لِلَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَيْبُهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَرْضِ إِلَّا الْحَصِيرُ وَوَسَادَةٌ مَخْشُوءَةٌ لِيَفَا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَوْلَيْكَ عَجَلْتُ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ١٣٠، وقال ﷺ: { كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَتَّى جَبْهَتُهُ وَأَصْعَى سَمْعُهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ } ١٣١

وانظر إلى يقين سيدنا رسول الله كيف كان؟! إسرائيل جاهز لتلقي الأمر، وهذا معناه أن الساعة قريبة أقرب من لمح البصر.

نفخات الصور

هذا الصور سينفخ فيه إسرائيل كما ذكرت آيات كتاب الله وأحساها السادة العلماء الأجلاء ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٨٧ النمل) وتسمى نفخة الفرع والهلع والجزع من الحياة الدنيا لكل كائن فوقها.
النفخة الثانية: ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ

١٣٠ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة ﷺ
١٣١ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ولكن ربح يوسف، لأن يوسف له رائحة معينة خصّه الله بها، وكل واحد فينا له رائحة معينة خصّه الله بها... وعرفنا حديثاً أن كل واحد له بصمة في الأصابع، وله بصمة في العين، وله بصمة في الأضراس، وله انفراد في الدم، فالحمض النووي له لا يُشابه أحد من الأولين ولا الآخرين، فكل واحد له حقائقه الخاصة به.

فتتجمّع حقائق الإنسان في الموضوع الذي وضعناه به في أرض حضرة الرحمن، وإذا أراد الله ﷻ أن يحيي الناس للعرض والحساب، قال ﷻ:

{ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرَّجَالِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا يَنْبُثُ الْبَقْلُ } ١٣٥

لأنه أخذ عينة من كل واحد من الماء الذي تكون منه وصعدت إلى صحائف المُنزّل، ليتحقق قول الله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩ الأعراف) تنزل العينة التي تكوّن منها جسم الإنسان، ويتلقّى بعد ذلك النفخة الثالثة:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (٦٨ الزمر).

النشأة الأخرى

تخرج الأرواح من مستقرها إلى بيتها الذي كانت تعيش فيه في عالم الدنيا، فلا توجد روح تنوّه عن الإنسان الذي كانت فيه في حياته الدنيا مع أنه بنيان أي جسم، لكن الأجسام ستكون على حسب ما أعدّ الله ﷻ للإنسان في عالم الغيب المصون.

فإن كان من أهل الجنان ونسأل الله أن نكون منهم أجمعين، تكون له هيئة خاصة بها، وإن كان من أهل النيران ونسأل الله الحفظ والسلامة، تكون له هيئة خاصة بها، وهذه اسمها النشأة الأخرى، تأخذ صورة الإنسان، فمن يراه يعرف أن هذا فلان، لكن الهيئة تناسب متعة الجنان، أو تناسب عذاب النيران.

فإذا كان من أهل الجنان يكون كما قال ﷻ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَىٰ طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سِتُونَ ذِرَاعًا } ١٣٦

١٣٥ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﷺ

فيكون جسمه ولكنه ليس فيه جهاز إخراج، لأن أهل الجنة الذين يدخلون الجنة لا يتبولون ولا يتمخطون، سألو سيدنا رسول الله ﷺ: كيف تخرج فضلات الطعام؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }^{١٣٧}

تخرج رشحات عرقٍ رائحته كرائحة المسك، لكنهم لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يهرمون، ولكن يظلون شباباً فيها:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }^{١٣٨}

أهل الجنة لا يبلى شبابهم ولا يسقمون ولا يتنخمون، فليس هناك زكام ولا رشح ولا صداع ولا غير ذلك، فيصير جسماً آخر جهزه الله للنعيم، فيه ما يساعده على التمتع بلذة النعيم، وليس فيه كل ما يخشاه الإنسان في عالم الدنيا، مما يتألم منه ويشتكي منه، لأنه عندما يدخل الجنة يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر).

لا يوجد في الجنة حزن ولا ضيق ولا غضب ولا أي شيء من الأشياء التي لا تُعجبنا في هذه الحياة الدنيا، فكلهم يومئذ يكونون أهل رضاً تاماً عن النعيم الذي يتولاه لهم الله ﷻ في عالم الجنان.

أما أهل النار . نسأل الله الحفظ والسلامة .

لا بد أن يكون جسمه يلائم عذاب النار، فالعذاب يكون لأي شيء في جسم الإنسان؟ وما الذي يتألم في الإنسان؟ الجلد، فعندما يُشكُّ إنسان بإبرة يتألم، فإذا دخلت الإبرة داخل الجسم لا يشعر بشيء، لكن الألم يكون في مركز الإحساس وهو الجلد، لذلك يقول الله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (٥٦ النساء) وكيف تكون هيئة جلد الكافر؟ قال ﷺ:

١٣٦ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ

١٣٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

١٣٨ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

﴿ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾

وهاءوم يعني خذوا كتابي ها هو واقرأوه كلكم، لأنه فرح بالكتاب الذي فيه الأعمال الصالحة.

وهذه الأمة المجتابة من فضل الله تبارك وتعالى علينا إذا كتب للإنسان أنه من أهل اليمين يحذف منه كل الأعمال التي عملها ولا تُرضي رب العالمين، وتكون على هيئة عتاب أو لوم بينه وبين الله، ولا يطلع عليها أحد من خلق الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }^{١٤٢}

لكن الكتاب الذي يتباهى به ليس فيه هذه الأشياء، لأن الله سيحاسبنا بفضله ولن يحاسبنا بعدله، لماذا؟ لأنه أعطانا وعد: ﴿يَوْمَ لَا نُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ (٨التحريم).

وإذا أظهر هذه الأعمال سيكون فيها خزي وفضيحة لنا، فيمسحها ويعاتبنا فيما بيننا وبينه فيها فقط، ويعفو عنا بركة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فيكون المؤمن سعيداً، ويقول:

﴿ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَقِّي حِسَابِيَةَ ﴾: أنا كنت مجهز نفسي

لهذا اليوم، فاجتهدت في الطاعات، وتبئت من الذنوب والزلات، وعلمت أنه سيأتي يوم تُعرض فيه أعمالي على من يقول للشيء كن فيكون.

وتأتي الملائكة لترد عليه، فتقول:

﴿ فَهَوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾: ليس فيها إلا الرضا عن الله ﷻ:

١٤٢ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾

لأن أشجار الجنة وكل ما في الجنة يفهم ويعقل، ويعلم الخواطر التي في القلوب وفي النفوس، فكل ما في الجنة له بصيرة، فلا يذهب الإنسان إلى أشجار الجنة ويصعد ويقتطف منها ما يُريد، لكن بمجرد أن يخطر على باله ويشتهي ثمرة من ثمار أشجار الجنة، يجد الشجرة تتحرك نحوه، والفرع يسقط في حجره ليقطف ما يريد وما خطر على باله من ثمار طيبة وعده بها الحميد المجيد .

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾

يعني قريبة، فلا يحتاج أن يمد يده حتى ولا يصعد إليها ولا يأتي بسلم، فعلى الفور تأتي إليه لأن كل ما في الجنة يعقل عن الله، ويعرف بما عرفه مولاه ما في قلوب أهل الجنة فيستجيب لهم تنفيذاً لأمر الله .

فإذا أكرموا بدخول الجنة يأتيهم النداء من الله ومن ملائكة الله الذين يمرون عليهم ويدخلون عليهم من كل باب:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

الأيام الخالية من الذنوب، والأيام الخالية من الظلم، والأيام الخالية من المخالفات، والأيام الخالية من الغفلة عن الله، والأيام التي قضيتها ذاكراً لله وطائعاً لله، وتجتهد في الاقتداء بسنة حبيب الله ومصطفاه، فهي التي أوصلتك لهذه المنزلة العالية.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الجنان العالية، والدرجات الراقية ...

وأن يجعلنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر ...

وأن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ...

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى في جوار خير النبيين، وأن يُمتعنا بأجمل متعة في الجنة وهي النظر إلى وجهه الكريم

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٦﴾ لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمِ الَّذِينَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٢﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ سُحَّافُونَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (المعارج)

٩. أهل النكريم في الجنة^{١٤٣}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بخير كتاب أنزله الله إلى خلق الله، ومَتَعَنَا بأفضل نبي وأكرم رسول اجتباه الله تبارك وتعالى واصطفاه، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الرحمة المهتدة، والنعمة المسداة، الذي خصَّه مولاه بما لم يُخص به أحداً من أنبياء الله ورسول الله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

كان رسول الله ﷺ جالساً بين صحبه المباركين، فأجلى الله تبارك وتعالى له ما يحدث لأمته إلى يوم الدين

فنظر إلى الزمن الذي نحن فيه وقال:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ }^{١٤٤}

وفي رواية أخرى:

{ سَتَكُونُ فِتْنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلَ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَسِنَّةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْعَانًا عَجَبًا ﴾، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ }^{١٤٥}

١٤٣ الأقصر - المسجد العتيق بمدينة أرمنت - ١ من ربيع الأول ١٤٤٠ هـ ١٠/١١/٢٠١٨ م

١٤٤ معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله ﷺ

١٤٥ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

الأشفية القرآنية

والله ﷻ يكشف لنا دوماً عن سر إعجاز القرآن، فقد قال لنا في محكم التبيان: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢ الإسراء) وكلمة (ونزل) يعني إلى يوم القيامة من معاني القرآن، وأسرار بيان القرآن، ما فيه شفاءً لأمراض المؤمنين المعنوية والجسمانية والنفسية والاقتصادية، وفي كل الأحوال من كتاب الله .

من هذه الأشفية الإلهية ما ذكرنا الله تبارك وتعالى به في هذه الآيات القرآنية، فقد ظهر في عصرنا هذا كثيرٌ من الأمراض الناتجة عن التوترات العصبية والنفسية واستشرت حتى كادت تزيد عن الحد، كالسكر والضغط وتصلب الشرايين، وغيرها من الأمراض التي لم يكن أجدادنا ولا آباؤنا يسمعون عنها من قريب ولا من بعيد.

هذه الأمراض والحالة الذي ظهرت فيها ذكرها الله في كتاب الله في آيات القرآن الكريم التي معنا، ما سرها؟ وما سببها؟: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ لم يقل المؤمن ولا المسلم، ولكن (الإنسان) أي إنسان في عالم الإنسانية، خلق وطبيعته الخوف من الفقر، والخوف من المستقبل، والخوف من المجهول، والخوف من كذا وكذا إلى ما لا نهاية، دائماً شديداً الخوف مما يُحيط به من أمور دنياه.

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ إذا جاءه ابتلاء صغير، والابتلاء نوه به علينا خالق الأرض والسماء لنكون مستعدين وجاهزين، وقال لنا كلنا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَكَثِيرٍ مِّنَ الْأَصْبَابِ ﴾ (١٥٥ البقرة) الذين سيأخذون فيتامينات الصبر من سيد الأولين والآخرين، سيكون عندهم مناعة ربانية يستطيعون بها أن يقاوموا بها هذه الأمور والفتن التي تحدث لهم في أمورهم الدنيا.

لكن الإنسان العادي، أو الإنسان الذي لا يمشي سويًا على الصراط المستقيم، ولا يستطيع متابعة نبينا الرءوف الرحيم لا بد أن يكون فيه شيء مما ذكره الله في الآيات.

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ أَحْيَرٌ مِّنْهُوعًا ﴾ عندما يأتيه خير من مال أو زرع أو ضرع تجد البخل وهو طبيعة في الإنسان، فيبخل عن الإنفاق، أو عن التصرف فيما آتاه الله لعباد الله الذين أمره الله أن يتواصل معهم: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالرَّحْمَةِ ﴾ (١٧ البلد).

المناعة الإيمانية

هذه الأمراض تأتي لكل بني الإنسان: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾:

الذين يُحسنون أداء الصلاة لله، ويُتمُّون ركوعها وسجودها، ويستحضرون في قلوبهم عظمة الله فيخشعون عند أدائها، ويُخلصون في التوجه لله في النوايا قبلها وأثناءها وبعدها، هؤلاء يأخذون اعفاءً من ملك الملوك ﷺ أنهم لا تأتيهم هذه الأمراض العصرية أبداً. وسبحان الله!! يُقبض الله ﷺ في كل زمان ومكان من يزيدنا برهاناً في كتاب الرحمن، ويكشف لنا إعجاز الله تبارك وتعالى في هذا البيان.

فالأوروبيون يقفون عند مثل هذه الجزئيات، ويقولون: لماذا المصلين؟ وهم لا يقتنعون إلا بالبحوث العلمية التي تراها العيون، فبحثوا في هذا الأمر فوجدوا أن الإنسان من تقدير حضرة الرحمن ﷺ له حوالي مائة مليار خلية عصبية بالمخ ومتصلة بجميع أعضاء الإنسان توصل إليه الأخبار في الوقت والحين، فإذا حدث للإنسان أي وخزة حتى من إبرة في جسمه فعلى الفور يصل الأمر إلى المخ، ليبدأ في تدارك هذا الأمر ويستعد ويتجهز للقاء هذا الأمر الهام.

فإذا دخل ميكروب ليهاجم الجسم، فعلى الفور يأمر القوات المجهزة في كل الأوقات لجميع الأمراض والعلات أن تخرج الفرقة التي تقاوم هذا الداء فوراً بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الخلايا متصلة بكابل واحد في عنق الإنسان، وهو الحبل الشوكي، فيصل بين المخ وبين كل حقائق الإنسان، بحثوا علمياً فوجدوا أن الحبل الشوكي عندما يذكر الإنسان الله يقوى ويتسع، وعندما يُسبِّح الله يقوى ويمتد، وعندما يشتغل بالصلاة - وكلها تسبيح ودعاء وذكر وتلاوة لكتاب الله - يتسع ويمتد، فيمتص الإنسان الصدمات التي يتعرض لها، ولا يتأثر بها، ويكون عنده مناعة ضد هذه الأمراض التي أشرنا إليها بسبب التوتر العصبي، كالأمراض النفسية والأمراض العصبية، والأمراض الجسمانية كالضغط والسكر وغيرها.

إذا كان الإنسان بعيداً عن طاعة الرحمن كما قال القرآن:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (١٢٤ طه) ... معيشته كلها

ستكون همّ وغم ومشاكل لأنه بعيد عن طاعة الله، وعن ذكر الله .

حتى أن الهنود عندهم عبادة خاصة بهم - هداهم الله - اسمها اليوجا، ويعملون على نشرها في أمريكا وغيرها، ويقولون لهم: إن كنتم تريدون أن يكون عندكم حصانة من هذه الأمراض فداوموا على اليوجا فيكون لكم تحصين من هذه الأمراض الجسمانية والنفسية والعصبية.

المداومة على الصلاة في وقتها في جماعة

وسبحان الله!! فرض الله ﷻ علينا الصلاة ليحفظنا بما يحفظه تبارك وتعالى من كل ما نخشاه في هذه الحياة، ولكنها تحتاج إلى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ لا يواظب عليها فترة ويتكاسل عنها فترة، أو يواظب فترة على أداء الجماعة في أول وقتها في بيت الله، ثم يترك صلاة الجماعة ويصليها بمفرده، كما يفعل كثير من المسلمين، ويشتكون!!

تسأله: لماذا يا فلان لا تُصلي في المسجد؟ يقول: إن الماء في البيت، وعندني المصلاة، فما الذي يجعلني أذهب للمسجد وهو بعيد؟! فأنا أصلي في البيت!! وهذه مصيبة كثير من المسلمين في هذا الزمان ... وكانت هذه المصيبة في البداية في المدن، ولكنها وصلت الآن إلى القرى، بعدما أصبحت البيوت بها سخانات وكل شيء في البيت، فيريد أن يُصلي هناك.

الرءوف الرحيم ﷻ كان خائفاً علينا، فكان عندما يسمع الأذان يقول لهم:

{ إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَىٰ نَيْرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَاطْفُؤُوهَا } ١٤٦

يعني أطفؤوا النار التي ستقضي عليكم، !! نار الهوموم والعموم والمشاكل التي لا تنتهي ولا حد لها .. ولا نهاية لها، ... أطفؤوها بالصلاة.

وعندما وجد أن قوماً يتباطأون على صلاة الجماعة قال ﷻ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطَبٍ فَيُحَطَبُ، ثُمَّ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَدَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُؤَمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ }^{١٤٧}

لماذا يجرمون أنفسهم من هذه المناعة الإلهية، وهذه الحصانة الربانية التي جعلها الله ﷻ لمن يُصلي في بيت الله في جماعة على الدوام؟!.

فضائل صلاة الفجر

وعندنا نموذج أذكّر به فقط، فكلنا متوارثين ونعرف أنه من حافظ على صلاة الفجر في جماعة في بيت الله يظل شاباً إلى أن يلقي الله، لا يُصاب بأمراض الشيخوخة، ولا يُصاب بالزهايم الذي أُصيب به شبابنا في هذا العصر!!، فأصبح كثير من الشباب - وليس الكبار - عندهم آفة النسيان، وما علاجه؟

﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ١٧٨).

لحظة الفجر يكون الكون كله كغرفة إنعاش لمن يخرج من بيته للقاء ربه تبارك وتعالى، فالمرضى الذي يكون في غيبوبة، وعندما يدخل غرفة الإنعاش يفيق وينتعش وتسري فيه الحياة؛ هواء الفجر من الجنة، وهواء الفجر ليس فيه عادم من السيارات ولا المصانع ولا غيره، لذلك أنقى هواء يتنفسه صدر الإنسان هو الهواء الذي يهبُ في ساعة الفجر بأمر حضرة الرحمن .

فمن يحافظ على صلاة الفجر لا تأتيه أمراض الشيخوخة، ولا ينحني ظهره، ولا تسقط أسنانه، ولا يحدث له في عينه كذا، ولا في جسمه كذا، ولا يُصاب بالزهايم أو آفة النسيان، وحتى لو مرض بعد ذلك بأي مرضاً جسماني، لكن عقله يظل منتبهاً حتى يخرج للقاء الله تبارك وتعالى وهذا يُعرِّفنا قيمة الصلاة في بيت الله في وقتها في جماعة :

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢﴾ ﴾

أتصدقين بمثل هذا؟! فقالت: إن فيه لمناقيل كثيرة من الحسنات لو تعلمون، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّئُهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } ١٥١، وفي رواية أخرى:

{ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا } ١٥٢

إن العبد ليتصدق بالصدقة لا يلقي لها بالاً، ولا ينتبه إليها لأنها بسيطة، فيجدها يوم القيامة كجبل أحد، فيقول: يا رب من أين لي هذا؟ فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا، أخذناها وربيناها لك فصارت كما ترى!!.

محاسن الصدقة

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٦١﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ حق عملوه على

أنفسهم، يقول بعض المفسرين إن هذا في الزكاة، مع أن هذه الآيات نزلت في مكة، والزكاة لم تُفرض إلا في العام الثاني من الهجرة.

لذلك يجب أن نُوسع الدائرة في أي مالٍ يتفضّل الله تعالى به على الإنسان، فاجعل منه شيئاً لله، إن كان راتباً، أو إن كان دخلاً من أي جهة من الجهات، فاجعل منه شيئاً ولو قليلاً لله، تمنع عنك الكروب والنكبات والأمراض والعاهات، وتجعلك في رعاية الله ﷻ في كل الأوقات، واسمعوا لهذا الحديث العظيم، قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } ١٥٣

الصدقة تدفع سبعين باباً من البلاء وقيل: أقلها الهم، وهل يستطيع أحدٌ منا أن يتحمل الهم؟! فالهم لو أصاب إنسان سينتهي، لا يتمتع بمنام، ولا يتذوق طعام، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ:

١٥١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١٥٢ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

١٥٣ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ

(تصدَّق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين) .

يعني لو أخرج الإنسان كل يوم ولو رُبع جنيه لفقير، مع أن ابنه لن يأخذه إذا أعطاه له!!، لكن الفقير سيأخذه ويفرح به، ويدفع الله به عنك الكثير، المهم في هذا الأمر المداومة على هذا العمل لله .

يُعطى للسائل الذي يسأل، والمحروم العفيف النفس الذي يحتاج ولكنه لعفته يستحي أن يسأل، لأن الله أوصى أكثر بالثاني وقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣ البقرة) وهذا هو الأولى الذي أبحث عنه، لكن لو وجدتُ سائلاً وتوسمتُ فيه أنه يحتاجُ أعطيه لأعمل بقول الله.

استشعار يوم القيامة

هؤلاء الأقسام لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا إذا اتصفوا بما قال الله:

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ أَحْسَنُ مَنَاجِرًا ﴾

القيامة كأنها معالم بين أعينهم لا يغيبون عنها طرفة عين ولا أقل، وهذا حال المؤمنين والذي كان يسألهم عنه سيدنا رسول الله ﷺ، فيروى أحدهم وهو سيدنا حارثة، فيقول:

{ أتيت النبي وقد أخذ رداءه، فلبَّته، فوضعه تحت رأسه، فسلمت عليه، فقال لي : كيف أنت يا حارثة؟ فقلتُ : رجل من المؤمنين . فقال : انظر ماذا تقول؟ قال : قلت : نعم، رجل من المؤمنين حقاً . فاستوى نبي الله جالساً، ثم قال : قال : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فما حقيقة ذلك؟ قَالَ : عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي، وَلكَأَنِّي أَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا، فَقَالَ : عَرَفْتُ فَالزَّمْ، عَبْدُ نَوْرَ اللَّهِ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ { ١٥٤

فالإيمان عندما يُبَيِّر القلوب، ويشرح الصدور، يجعل الإنسان دائماً يتذكر الآخرة

وأهواها ومشاهدها وأحداثها ليستعد لها، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (الزمر ٢٢) وقال ﷺ مبيناً للآية:

{ إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصُّدْرَ، انْفَسَحَ } ١٥٥، وفي رواية أخرى:

{ إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انشَرَخَ وانْفَسَحَ، فقيل: فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَن دَارِ العُرُورِ، وَالتَّاهِبُ لِمَوْتٍ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ } ١٥٦

الحسنية من عذاب الله

ومن شدة استحضارهم: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾

خائفين من عذاب الله، ولا يطمنون مهما كان عملهم الصالح في هذه الحياة، لماذا؟

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ بشره الرسول بالجنة،

ومرة وضع النبي يده اليمنى على كتف أبي بكر، ويده اليسرى على كتف عمر وقال ﷺ:

{ هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ } ١٥٧ .. هل توجد بشرى بعد ذلك؟! لا، لكنه كان

يقول: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة) يعني أنا لا أطمئن إلا بعد حُسن الختام، لأنه رأى في القرآن أن أنبياء الله ورُسل الله يطلبون من الله حُسن الختام، فسيدنا يوسف الصديق يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١ يوسف).

العبد الذي ملئ قلبه بنور الإيمان عنده رهبة من لقاء حضرة الرحمن، ... ويخاف من النفس الأخير الذي سيقضيه في هذه الأكوان، لأنه يُريد أن يخرج منها بحُسن الختام، ويُريد أن يُقال له:

﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٢٧ إبراهيم).

١٥٥ الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن مسعود ﷺ

١٥٦ رواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

١٥٧ الحاكم في المستدرک والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

الأمان من الأمراض الجنسية العصرية

والذين يُريدون أن يأمنوا من الأمراض العصرية نتيجة الاتصالات الجنسية غير السوية - وما أكثرها في زماننا - فالأوروبيون وصلوا لحالة الآن أن الرجل يخاف أن يعاشر زوجته إلا بعد أن يكشف عليها طبيب ويأتيه بتقرير صحي كامل أنها غير مصابة بمرض الإيدز، فأراد الله أن يقينا من كل هذه الشرور والآثام، فقال لنا:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۗ ﴾

والذي يقع في الاتصالات الجنسية الأخرى، إن كانت والعياذ بالله زنا، أو عمل قوم لوط، أو كل أنواع المتع الجنسية العصرية التي اخترعها الشباب على الإنترنت الآن ..
فماذا قال فيها الله؟

﴿ فَمَنْ أَجْتَنَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

الذي عادى نفسه، والذي تعدى حدود الله مع نفسه:
﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۗ ﴾ (١١ الطلاق).

فأصبح الأمان في هذا الزمان في كل الكون في السير على هدي الإسلام في الاتصالات الجنسية، والإسلام ضُرب به المثل في حياتنا العصرية في هذا الباب.

فأحد علماء اليهود في أمريكا، وكان متخصصاً في أمراض النساء، ووصل بخبرته إلى أنه اكتشف بالأجهزة التي معه أن الرجل عندما يأتي المرأة يكون له بصمة في فرجها، وبذلك يستطيع أن يعرف أن هذه المرأة ضاجعت واحداً أو أكثر، وهو نفسه يحكي ويقول: وجدت في زوجتي أكثر من بصمة، فعرفت أنها كانت تتجامع غيري، ولم أعرف من أين أتى أولادي؟! فيقول: لم أجد أنقى ولا أظهر من نساء المسلمين.

متى تضيع هذه البصمة؟ قال: بعد أربعة أشهر وعشرة أيام تنتهي هذه البصمة تماماً وتكون المرأة جاهزة لبصمة أخرى، وهي فترة العِدَّة التي فرضها الله .

الشهود العدول

بقي جزء يُذكرنا به الله، ونحن نحتاجه لصلاح أحوال مجتمعنا:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: أين نجد الآن الشاهد الذي يشهد بما يراه ويقول الحق لوجه الله؟! قد يرى الشيء رأي العين، فتقول له: ستشهد يا فلان على ما رأيت؟! فيخاف من الآخر ولا يخاف من الله ﷻ!!.

لو ذهبنا للمحاكم الإسلامية نجد أن معظم الشهود بخمسين جنيهاً أو بمائة جنيهاً، ويشهد شهادة زور ويخرج، وأين الذين لا يشهدون الزور؟! قليل!!.

عدم كتم الشهادة لو انتشر بين المؤمنين ستنتهي كل القضايا بين المسلمين فوراً، فلا يحتاجون إلى قضاة، ولا إلى محاكم، ولا إلى محامين، لأن النبي ﷺ قال:

{ قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا } ١٦٠

وفي رواية أخرى: { وَقُلِ الْحَقُّ وَلَوْ عَلَىٰ نَفْسِكَ } ١٦١

أما الذي يكتم الشهادة فهذا نوع من الشرك الأكبر القلبي: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَاسٌ قَلْبُهُ﴾ (٢٨٣ البقرة) فنحتاج أن نصلح الجيل الماضي، وأن نعوّد أولادنا، ونعوّد بناتنا، ونعوّد أنفسنا على قول الحق ولو كان مرّاً، وإياك أن تخاف أن يضرك أحدٌ من خلق الله، واعلم قول حبيب الله ومصطفاه:

{ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ } ١٦٢

لكن لا تنسى أن هذه الشهادة ستُسال عنها يوم الجمع الأكبر، لم كتمت هذه الشهادة؟! ولم لم تقل الحق وقد طلب منك؟! تذكر هذا جيداً .

١٦٠ صحيح ابن حبان ومسنند الشهاب عن أبي ذر
١٦١ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب
١٦٢ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

والشهادة لا بد أن أكون قد رأيت وسمعتُ، فلا تنفع الشهادة عن طريق السماع فقط، كأن تقول: قد سمعتُ فلان يقول عن فلان كذا، لكن يجب أن تكون أنت الذي سمعت بنفesk من فلان أولاً، ورأيت، فهذه اسمها شهادة الحق، وليست شهادة الزور: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

المحافظة على أركان الصلاة وخشوعها

ومن العجب لأهمية الصلاة يكررها الله مرةً أخرى في هذا الموضوع: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال فيها أولاً (دائمون) ودائم يعني محافظ على مواقيتها، يحافظ على الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء في بيت الله في جماعة.

لكن الذي يُحافظ على الصلاة نفسها، فيحافظ على خشوعها، وعلى الحضور مع الله فيها، وعلى أركانها، وعلى سننها، وعلى السنن السابقة لها واللاحقة لها.

جنات الأكرام

الذين أكرمهم الله بهذه الأوصاف الكريمة - ونسأل أن نكون منهم - ما جزاؤهم؟ ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ سيكون لهم إكرام لا يعلم مداه إلا الله ..

لأنهم في الجنة، والجنة:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ } ١٦٣

فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من ألوان التكريم، وأصناف الفضل الإلهي والجود الرباني من النعيم جزاءً وفاقاً.

نسأل الله ﷻ أن يُخَلِّقنا بأخلاق القرآن، وأن يرزقنا حُسن الاتباع للنبي العدنان، وأن يرزقنا خشيته ومراقبة حضرته في كل وقت وآن، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي
الَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ
مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ عَلِمَ أَن لَّنْ
نُحْصِيهِ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۗ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِّنَ
الْقُرْآنِ ۗ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ
وَأَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِّنْ
فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۗ وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۗ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ (المزمل)

١٠. أهل المعية^{١٦٤}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الفتح العليم، الهادي برسوله إلى كل مقامات التكريم، والجاعل حبيبه ومصطفاه هو الأسوة الطيبة والقُدوة الحسنة لكل من أراد أن يكون له شأنٌ عند ربنا الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، خير من قام لله وصلَّى وصام، وأحيا الليل في جُح الظلام والناس نيام، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والظل الممدود، والشفاعة التي بغير حدود، صلَّى الله عليه وعلى آله الكرام البررة، وصحابتة الأتقياء الأنقياء، وكل من مشى على هديهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين بِمَنِّكَ وفضلِكَ وجودِكَ يا أكرم الأكرمين.

لا بد لكل سالك يُريد القُرب من مولاه أن يأخذ جولة في أحوال وأفعال وأعمال سيدنا رسول الله، ليتأسى به، ويمشي على هديه، ويقتدي بهُداه، فإنه كما قال سيدي مُحَمَّد مصطفى البكري الصديق وقيل لغيره ﷺ:

وأنت باب الله أيما امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

فهو باب القرب من القريب ﷺ، والصحابة المباركين هم أسرع الناس في متابعة سيد الأولين والآخرين، ولذلك نفتدي بهم في حُسن اقتدائهم بحضرة النبي، ونشاطهم في العمل بما كان يعملهُ، والسمع والطاعة في اللحظة والساعة، وعدم التماس الأعذار للنفس، أو تبرير الموافق، لأن من تعودَ التماس الأعذار تأخر عن ركب الأقطاب الكبار.

عمل طلاب المقامات العالية

أراد الله ﷻ أن يبين لنا في شخص حبيينا العمل الذي نعمله بتوفيق الله ومعونة الله، ليرتفع قدرنا ومقامنا عند الله، فقال له ﷺ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩ الإسراء) الذي يُريد أن يكون له مقام كريم لا بد أن يكون له ولو سنة - لحظة - من قيام الليل.

فجعل الله ﷻ قيام الليل على حبيبه ﷺ في هذه الآية نافلة يعني سنّة، وأي نافلة من النوافل من قام بها فاز بأجرها، ومن لم يقم بها فليس عليه وزر ولا إثم لأنها نافلة.

ثم تدرج الله ﷻ مع حبيبه ومصطفاه في سورة المزمل فقال:

﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ (المزمل)

فأصبح قيام الليل عليه فرضاً... الصلوات المفروضة علينا خمس صلوات، الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والصلوات التي فرضها الله على حبيبه ومصطفاه ست صلوات، لأنه أضاف إليه قيام الليل وجعله فريضة.

﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ (المزمل)

الصحابة كانوا مباركين، فقالوا: ماذا يحب الله أكثر، هل النصف الأول أم الثاني؟ أو هل الثلث الأول من الليل أم الثاني أم الثالث؟ فقالوا: نقوم الليل كله، حتى نضمن أننا عملنا بما يُحبه ويرضاه، فكانوا يقومون الليل كله ابتغاء وجه الله، ومتابعةً لحبيب الله ومصطفاه، وطلباً لدرجات القرب العلية عند حضرة الله تبارك وتعالى.

واستمروا على هذا الحال اثني عشر شهراً، يعني سنة، ثم خفف الله تبارك وتعالى عنهم للأعداء التي ذكرها في الآية التي معنا، فمنهم من يجاهد في سبيل الله، ومنهم من يجاهد جهاداً شديداً طوال النهار في طلب الرزق والمعاش، ومنهم المريض، ومنهم المسافر.

وعندما تنظر إلى الآيات تجد فيها ثناءً عطرًا من الله على حبيبه ومصطفاه:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ :

يعني أنا أرى ما تفعله، وأعرف ماذا تفعل طوال الليل، وكان ﷺ يُحيي الليل كله على قدم واحدة زيادة في التذلل والتبتل والتضرع إلى حضرة الله، إلى أن خفف عنه مولاه، وقال في أول سورة طه: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾ (طه) وفي قراءة أخرى: (طأها) وطأها يعني أنزلها، لأن رجله كانت تتورم من طول الوقوف بين يدي من يقول للشيء كن فيكون ،،،

وكانت تقول له السيدة عائشة ؓ:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا } ١٦٥

كون الله قد غفر لي ما تقدم من الذنب وما تأخر فهذا يقتضي أن أشكر، وأكون من الشاكرين: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٧ إبراهيم) فكان يُصليها شكراً لله على عطاء الله الذي عمَّه به في نفسه، وفي أمته في الدنيا ويوم لقاء الله تبارك وتعالى.

وبشَّرَ الله ﷺ في نفس الآية أهل العناية، الذين سيتوجههم بتاج الولاية، والذي يُريد أن يتوج بتاج العناية والرعاية والولاية ماذا يفعل؟ يدخل مع حضرة النبي في هذا الباب حتى يُفتح له الرحاب، كما ورد في بعض الأثر أن الله تعالى نادى داوداً أو أحد أنبيائه فقال:

(إِنَّ لِي عِبَادًا مِنْ عِبَادِي يُحِبُّونِي وَأُحِبُّهُمْ، وَيَشْتَاقُونَ إِلَيَّ وَأَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ، وَيَذْكُرُونِي وَأَذْكُرُهُمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ حَدَّثَتْ طَرِيقُهُمْ أَحْبَبْتُكَ، وَإِنْ عَدَلَتْ عَنْهُمْ مَقْتُكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا عَلَامَتُهُمْ؟ قَالَ عَزَّوَجَلَّ: يُرَاعُونَ الظَّلَالَ (الظلال أي أجسامهم) بِالنَّهَارِ كَمَا يُرَاعِي الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ، وَيَحْتَنُونَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ كَمَا يَحْنُ الطَّيْرُ إِلَى أَوْكَارِهَا عِنْدَ الغُرُوبِ، فَإِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَفُرِشَتِ الفُرُشُ وَنُصِبَتِ الأَسْتِرَةُ وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ نَصَبُوا لِي أَقْدَامَهُمْ، وَافْتَرَشُوا لِي وُجُوهَهُمْ، وَنَاجَوْنِي بِكَلَامِي، وَتَمَلَّقُونِي بِإِنْعَامِي؛ فَبَيْنَ صَارِخٍ وَبَاكِ وَمُتَأَوِّهِ وَشَاكٍ، وَبَيْنَ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَبَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، بِعَيْنِي مَا يَتَحَمَّلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَبِسَمْعِي مَا يَسْتَكُونُ مِنْ حُبِّي، أَوَّلُ مَا أُعْطِيهِمْ ثَلَاثًا: أَقْدَفُ مِنْ نُورِي فِي قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أَخْبَرُ عَنْهُمْ، وَالثَّانِيَةُ: لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا فِي مَوَازِينِهِمْ لَأَسْتَقَلَّتْهَا لَهُمْ، وَالثَّلَاثَةُ: أَقْبَلُ بِوَجْهِ عَلَيَّ؛ أَفْتَرَى مَنْ أَقْبَلَتْ بِوَجْهِ عَلَيَّ؛ يَعْلَمُ أَحَدًا مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ؟) ١٦٦.

١٦٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

١٦٦ ورد في إحياء علوم الدين للغزالي مع زيادات ونقص وورد في التهجد للأشبلي ولكن لم نقع على تحريجه.

هذا أول عطاء لهؤلاء الذين يقول فيهم الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (٧) وبالأشجارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾ (الذاريات) عندما ينام أحدهم إن كان في أول الليل، أو في منتصف الليل، أو في آخر الليل، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يعني لا تريد النوم، وماذا يريدون؟ يريدون أن يتمتعوا بلذة مناجاة الواحد الأحد الفرد الصمد على الدوام.

نحن في هذا الزمان قُومَ الليل كثير، ولكن على الفيس بوك والإنترنت، وليس على طاعة الله جل في علاه، وهذه من الكوارث التي حلت بنا جماعة المؤمنين، كبار وصغار رجال ونساء، حتى أن كثير من الرجال والنساء يسهرون طوال الليل، وينامون طوال النهار، فغيروا نظام الله، وجعلوا الليل هو النهار، والنهار هو الليل، وماذا يفعلون؟! سبحان الله!!

لكن هؤلاء كانوا: ﴿ يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (٦٤ الفرقان) الله ﷻ، فأدخلهم الله مع النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ وطائفة يعني جماعة، فالجماعة الذين سيكونون معك هنا وهناك، لا بد أن يكون لهم نصيب في قيام الليل.

كيفية قيام الليل

وقيام الليل ليس شرطاً أن يكون فيه الصلاة فقط، المهم أن يكون الإنسان فيه على صلة فيه بمولاه، فنفرض أنني لا أستطيع الصلاة بسبب ارهاق أو تعب، فأذكر الله، وهذا قيام لله، أو أستغفر الله، أو أصلي على رسول الله ﷺ، فقيام الليل للعباد الصلاة والركوع والسجود، وقيام الليل للعارفين احياء وقت الليل بالقلب مع رب العالمين ﷻ، ولذلك حضرة النبي ﷺ كان يقول:

{ رَبِّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ } ١٦٧

ليس له من قيامه إلا السهر والتعب، فيصلي لكن العقل سارح، والقلب مشغول، والصالحون قالوا: (رَبِّ نَائِمٍ خَيْرٌ مِنْ قَائِمٍ) لأنه نائم ولكن القلب هائم!!

المسجد النبوي لم يكن له فرش أيام رسول الله، ولكن كان تراب فقط، ولما أرادوا أن يفرشوه ذهبوا إلى مكان اسمه العقيق بجوار المدينة وأحضروا منه حصى صغير وفرشوا به

١٦٧ سنن ابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

المسجد، فهذا كان الفرش، فكانوا يصلون على الحصى أو على التراب، ولذلك حضرة النبي ذات مرة أيقظ الإمام علي وهو نائم في المسجد وأصابه التراب، فقال له:

{ قُمْ أَبَا ثَرَابٍ، قُمْ أَبَا ثَرَابٍ } ١٦٨

فأخذ اللقب من رسول الله ﷺ، وورد في الخبر أن النبي دخل ذات مرة المسجد وكان علي نائماً في المسجد، فأحد أصحابه قال له: هل أوقظه؟ فقال ﷺ كما جاء ببعض الآثار: (دعه، علي وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملا الأعلى) .. الجسم هنا صحيح، لكن القلب في الملا الأعلى، سائح سياحة ملكوتية عند رب البرية ﷻ.

وكان الشباب مجتهدين في هذه العبادات من الركوع والسجود والقيام وتلاوة القرآن، مثل عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والأكابر مثل أبي بكر، وعلي، وعمر كان شغلهم في سياحة القلب في ملكوت الله مع حضرة الله تبارك وتعالى، وكل ذلك اسمه قيام الليل ... فقيام الليل معناه أن أكون في هذا الوقت مع الله ..

فالإمام الشافعي رحمه الله عندما زار الإمام أحمد بن حنبل في بغداد، وكان من عادتهم أن يضعوا بجوار الضيف ابريق من المياه وطست، حتى إذا استيقظ في الليل يتوضأ ليتهدج، لأنه كان عندهم أن الذي لا يتهدج لا يُحسب من الصالحين، فكانوا يمشون على هذا النهج وهذه الأصول، وفي الصباح قال الإمام أحمد بن حنبل لابنته: ما رأيك في الشافعي؟ فقالت: رأيتُ فيه ثلاثة خصال ليست في الصالحين، فقال لها: وما هن؟ فقالت له: صَلَّى الفجر بدون وضوء فالإبريق كما هو، يعني لم يتوضأ للفجر، ولم أره قام لصلاة الليل، وعندما قدّمنا الطعام أكل كثيراً، وعلامة الصالحين قلة الطعام - فعلامات الصالحين عندهم كانت قلة الطعام، وقلة الكلام، وقلة المنام، وذكر الله على الدوام، فهذه علامات وموازين كانوا يزنون بها - فقال لها: نسأله، فسأله، فقال: أما صلاة الفجر بدون وضوء لأني على وضرتي مذ صليتُ العشاء حتى صليتُ الفجر، وأما قيام الليل فقد وفقني الله فحللتُ في هذه الليلة ثلاثين مسألة كلها تمّ المسلمون - فالذي يُصلي يُصلي لنفسه لكن هذه منفعة للمسلمين - وأما الأكل كثيراً فلأن طعامك حلال، وقد سمعتُ قول بعض الصالحين: (من ملاً بطنه من طعام الصالحين، ملاً الله قلبه إيماناً وحكمة)! أي الطعام الحلال قليل في كل زمان

١٦٨ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد

ومكان، وهذه فرصة أنني وجدتُ طعاماً حلالاً، فأردتُ أن أعطي نفسي حقها....،
لأنهم كانوا في جهاد دائم.

فقيام الليل يتحقق إذا كنتُ سأطلب العلم لنفع المسلمين، وإذا كنتُ في ميدان القتال وأحرس الحدود فهو قيام الليل، وإذا كنتُ من رجال الشرطة وأحرس المكان الذي أنا فيه من قُطاع الطريق وغيرهم فهذا قيام الليل، وقد رأينا رجالاً من الصالحين في عصرنا وهو الشيخ عبد المقصود سالم رحمة الله عليه، كان مساعد شرطة في أسبوط، وكان يجتار وردية الليل، وطوال الليل أثناء مشيه يُصلي على حضرة النبي ﷺ، إلى أن أكرم برؤية النبي مناماً، ورؤية النبي يقظةً، وفتح الله عليه بفتوح العارفين، فكان قيام ليله في المشي في دُرْكه والصلاة على حضرة النبي ﷺ... المهم أن يكون للإنسان المؤمن قومة، ولو تفكيراً في مصالح المسلمين وحلِّ مشاكل المؤمنين، فهذا قيام ليل.

أعمال أهل المعية أولاً: قيام الليل

فالمطائفة التي مع رسول الله في الدنيا والآخرة يقول فيهم الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢٩الفتح) لا بد أن يكون لهم قيام ليل، وسيدنا رسول الله ﷺ خَفَّفَ علينا العبء حتى لا يكون لأحدنا عُذراً، وسمعوا مني لهذا الحديث النبوي وعوه، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا،
كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } ١٦٩

وهي أعلى مقام في المقامات العشرة في سورة الأحزاب:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَدِيعِينَ وَالْخَدِيعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيْمِينَ وَالصَّيْمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (١٣٥الأحزاب)

أعلاهم الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

أنا أقوم لصلاة الفجر، فهل يصعب عليّ أن أقوم قبل الفجر بثلاث ساعة وأصلي ركعتين لأكون من أهل هذا المقام العلي؟! لا بد للإنسان أن يكون كما قال ﷺ:

{ أَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا } ١٧٠

الله لا يحتاج لهذه العبادة، ولكن لا بد أن أريه أنني طامع، بالدليل والبرهان، لكن إذا قلت أنا أطمع في فضل الله وإكرام الله، والقرب من رسول الله، وأنا نائم على الدوام، فأين الدليل والبرهان على هذه المحبة؟! **{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي }** والنتيجة: **{ يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ }** (٣١ آل عمران).

الكبار، والأعلام، والمتوجين بتاج معية الحبيب المصطفى، لا بد لهم من هذا القيام، ولكن الله ﷻ خفف عن بقية الأمة: **{ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ }** لن تستطيعوا أبداً أن تقوموا الليل على الدوام، لأن الإنسان ليس له سلطان على صحته، ولا على جسده، ولا حتى على ملكة النوم، فلو جاء النوم للإنسان من الذي يستطيع دفعه؟! ولذلك لن يستطيع أبداً إلا بمعونة من الله، وتوفيق من الله، ورعاية من الله ﷻ.

{ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ } يعني لن تستطيعوا، فبشرهم وقال: **{ فَتَابَ عَلَيْهِمْ }** يعني لا تخافوا، تيسيراً لأمة البشر النذير ﷺ.

ثانياً: قراءة القرآن

{ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ } اجعل لنفسك بعض آيات من القرآن تقرأها كل ليلة، ولن أقول لك اعمل كما كان يعمل سيدنا عثمان بن عفان لأن هذا أمر خارق للعادة، فقد كان يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره في ركعتين بين المغرب والعشاء، هل يستطيع أحد منا أن يفعل ذلك؟! لا يقدر على ذلك أحد إلا بمعونة الله، لأنه أين اللسان الذي يستطيع استيعاب القرآن كله قراءة بين المغرب والعشاء؟! لذلك قال الله: **{ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ }** ما يتيسر لك قراءته، كم آية؟ سيدنا رسول الله ﷺ قال:

١٧٠ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ،
وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ } ١٧١

من قرأ كل يوم ليلة عشر آيات لم يكتب من العافلين، ومن قرأ كل يوم ليلة مائة آية كُتِبَ من القانتين، والقانتين يعني الطائعين العابدين، ومن قرأ كل يوم ليلة ألف آية كُتِبَ من المقنطرين... كيف نُحَصِّلُ هذا الأجر؟ نحن نقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة ما تيسر من آيات كتاب الله، إما أنك تقرأ، أو الإمام يقرأ وأنت تستمع، والقارئ والمستمع في الأجر شريكان. ١٧٢

لذلك الأئمة الكرام يستنبطون الأحكام الفقهية من آيات القرآن، فالإمام أبو حنيفة رحمه الله استنبط من هذه الآية أنه ليس شرطاً أن يقرأ الإنسان الفاتحة، بل يقرأ ولو آية من كتاب الله، لكن الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وابن حنبل أخذوا بالحديث الذي قال فيه رحمه الله:

{ كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ بِهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ } ١٧٣ ، وخِدَاجٌ يعني ناقصة،
وفي رواية أخرى: { لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ } ١٧٤

يعني لا بد وأن نقرأ الفاتحة، واجتهادهم رحمة، فنحن هنا نحفظ الفاتحة فنقرأ الفاتحة، لكن المسلمين الجدد في البلاد الأجنبية يصلح معهم رأي سيدنا أبو حنيفة رحمه الله وأرضاه، فنقول له: اقرأ ولو بآية من كتاب الله، فتصح الصلاة على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله وأرضاه، حتى لا نختلف، ونعرف أن اختلاف الأئمة رحمة.

الإمام الشافعي شدد بعض الشيء عن الإمام مالك، فالإمام مالك قال: الإمام يقرأ الفاتحة ونحن نقول وراءه آمين، فقراءة الإمام قراءة للمؤمنين، أما الإمام الشافعي فقال: الأفضل أن الإمام ينتظر بعد الفاتحة حتى يقرأ المصلين الفاتحة، ويبدأ بعد ذلك في التلاوة:

وكلهم من رسول الله ملتتمسٌ غرماً من البحر أو رشفاً من الدير

١٧١ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٧٢ إشارة إلى الحديث الشريف ، قال رحمه الله: ((الداعي والمؤمن في الأجر شريكان ، والقاري والمستمع في الأجر شريكان ،
وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ شَرِيكَانِ)) ، (فر) عن ابن عباس رحمه الله .
١٧٣ معجم الطبراني ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
١٧٤ مسند أبي حنيفة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

كلهم على الهدى النبوي الكريم، المهم أننا عندما نقرأ، أو نسمع في الصلاة فهي من جملة التلاوة، ولكننا نحاول بعد ذلك في الركعات التي نصليها في الليل أن نصل إلى مائة آية على الأقل حتى لا نكون من الغافلين ونكون من القانتين:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ؛ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ؛ كُتِبَ مِنَ الْقَائِتِينَ }^{١٧٥}

تريد أن تزيد قليلاً فاجعلهم مائتين، ويجوز لك وأنت تُصلي بمفردك أن تقرأ من المصحف، والإمام لو صَلَّى النوافل كصلاة التراويح في رمضان، يجوز له أن يقرأ من المصحف تيسيراً... فإن كنت غير حافظ فضع أمامك مصحف وحامل، وصلي كل يوم بقراءة صفحتين أو ثلاثة من القرآن في ركعتين في الليل من بعد العشاء حتى الفجر في أي وقت من هذه الأوقات.. فإذا لم تستطع أن تقوم قبل الفجر اجعلهم قبل أن تنام، توضأ كسنة الحبيب المصطفى، وتُصلي الركعتين، وتقرأ فيهما ما تيسر من كتاب الله ثم تنام،.. وأظن من ينام بهذه الطريقة فيمجرد أن تُغمض العين تسافر الروح إلى ملكوت رب العالمين، ومعها تأشيرة دخول فتدخل على الفور هناك، لماذا؟ لأنه نَقَدَ سنة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

تيسير الله للمؤمنين

لماذا يسّر الله لنا ذلك؟

﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضٌ ﴾ والمريض لا يستطيع أن يقوم، ومن فضل الله على هذه الأمة أن الإنسان المؤمن المحافظ على أعمالٍ تعبدية لله، إذا مرض كما قال ﷺ: { إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا }^{١٧٦}

لأن الذي منعه المرض، وليس شيئاً آخر، فالذي منعه الله واللعب ليس لنا شأن به، لكن الذي منعه عن هذا العمل المرض يجرون له الأجر على هذا العمل كما كان صحيحاً، ويظل عمله مستمراً على الدوام.

١٧٥ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٧٦ صحيح البخاري ومسنده أحمد عن عبد الله بن قيس

القرآن القرآن يا أحمد، ولماذا نذهب بعيداً!!، قال ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } ١٧٨

فلماذا الذكر؟ لأنه لكي أقرأ القرآن القراءة التي أقرأها بها مع الرحمن، لا بد أن أظهر الفؤاد بذكر الله، قال ﷺ: { الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلاؤُهُ؟ قَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى } ١٧٩، وفي رواية أخرى: { إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجِلاؤُهَا الْاسْتِغْفَارُ } ١٨٠

فأجلي القلب بالاستغفار، وأظهره بالأذكار، وبعد ذلك أقبل على تلاوة القرآن، فهي خير عبادة تُقَرِّبُ الإنسان من حضرة الرحمن ﷻ.

ثانياً إقامة الصلاة

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

المحافظة على الصلاة، والمحافظة على الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله، قد يقول قائل: أنا أصبحت من الصالحين، فلا يهم أن أتأخر عن الصلاة، أو أجمع بين فرضين أو ثلاثة معاً، ولا يهم أن أحافظ عليها كما ينبغي!!، لكن نحن بمن تقتدي؟ بسيدنا رسول الله ﷺ، والله ﷻ قال لنا:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣)

كل مسلم أياً كان قدوة لمن حوله، ولو لاحظ هذه سنكون كلنا في أحسن حال، أكون على الأقل قدوة لأهل بيتي؛ زوجتي وأولادي، فإذا رأوني محافظاً على الصلاة في وقتها في جماعة فهل يتخلف أحد منهم؟! .. لكن إذا رأوني أتكاسل في الصلاة، وأؤخر صلاة الظهر حتى يحل وقت صلاة العصر، أو أتكاسل عن الفرائض وأجمعهم في آخر اليوم، فسيفعلون مثلي ... لكن المؤمن قدوة لأهل بيته، فما بالنا إذا كان شيخاً وحوله مريدين؟! فلا بد أن يكون أكمل الناس اقتداءً بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

١٧٨ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﷺ
١٧٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٨٠ معجم الطبراني والبيهقي عن أنس ﷺ

يقول: أنا وصلت، وعلى صلة بالله، وهل الوصول له نهاية؟! والذين حولك بمن يقتدون؟! يرون الشيخ لا يُصلي فيفعلون مثله، فيجب أن تلاحظ أنك قدوة، ولذلك يجب أن تحافظ على الصلاة من أجل الذين يقتدون بك، وحتى تنجوا من قول حبيب الله ومصطفاه: { مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ لَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا } ١٨١

سيدنا رسول الله ﷺ في مرض موته رقد في البيت، وجاءه ألمٌ شديدٌ في رأسه، فسمع الأذان فربط رأسه، ونادى على سيدنا علي وسيدنا العباس، ووضع يده على كتف سيدنا علي، ويد علي كتف سيدنا العباس، ومشى بصعوبة حتى وصل إلى المسجد ليؤدي الصلاة مع المسلمين، لأنه القدوة الأولى التي أرسلها لنا رب العالمين تبارك وتعالى، وكانت آخر كلمات خرجت من فيه قبل مغادرته الدنيا: { الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } ١٨٢

والله ﷻ عندما ذكر الصلاة لم يقل الصلاة فقط، ولكن قال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ وإقامة الصلاة يعني ظاهراً بالمحافظة على حركاتها الشرعية، وباطناً بالمحافظة على أحوالها القلبية، من الخشوع والحضور والخشية لله ﷻ.

ثالثاً: إيتاء الزكاة وإخراج الصدقات

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ومن الغرائب أن هذه السورة نزلت في مكة، والزكاة لم تُفرض إلا في العام الثاني من الهجرة، فكيف ذلك؟! فرض الله الزكاة في هذه الآية، لكن لم يفصل أنصبة الزكاة وفروض الزكاة إلا في المدينة المنورة في العام الثاني من الهجرة.

والزكاة حق الله الضروري، ولا يكتفي بها من يُريد أن يكون لله ولي، فالذي يريد أن يكون ولياً لله لا بد أن يزيد في هذا الباب، كالقرض الحسن والصدقات لعباد الله: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

دعا سيدنا رسول الله الصحابة للتبرع للجهاد، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه جمع كل ما في البيت وأتى به، فقال له ﷺ:

١٨١ معجم الطبراني وورد في صحيح مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم بصيغ مختلفة عن جرير بن عبد الله
١٨٢ سنن ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ١٨٣

فلم يعترض عليه، ولم يأمره أن يرد شيئاً منه، ومعنى ذلك أن هذا اقرار بأن هذا العمل صواب، لأن من يجعل كل ماله لله فيا هنا، لأنه حوّله إلى بضاعة رابحة، وتجارة هائلة مع حضرة الله تبارك وتعالى.

فلا بد من الزكاة، والزكاة قرط الناس فيها في هذا الزمان كثيراً، ويأتون لأنفسهم بعلل وأعدار أنه ليس عليه زكاة، لكن لا بد أن تدرس الزكاة، فالذي يملك مساحة من الأرض ويزرعها بمحاصيل الجبوب، فليس الشأن بالمساحة ولكن بالإنتاج، فلو كانت حتى ست قاريط وأنتجت خمسين كيلة، فعليك زكاة.

وكيف أخرجها؟ الإسلام يسر ذلك، فإذا كنت تسقي بالآلة فعليك نصف العُشر (٥٠%)، وإذا كان الري بالراحة فعليك العُشر (١٠%).

عندي فدان أو فدانين ولكني لست خبيراً جيداً في الزراعة فأخرجت الأرض ٤٠ كيلة، فليس عليّ زكاة، وليس لها شأن بمساحة الأرض.

والزكاة هل على المالك أم على المستأجر؟ على الزارع، فالذي يزرع ويحصد هو الذي عليه الزكاة سواء المستأجر أو المالك ... المالك إذا كان عنده مساحة أرض كبيرة، وجملة الإيجار تساوي ثمن ٨٥ جرام ذهب فعليه زكاة مال، ومقدارها ٢,٥% لكن ليس عليه زكاة زرع لأنه لم يزرع ولم يحصد، أنا زرعت الأرض مشاركة بالثلث أو بالنصف أو بغيره، فأخرج نصيبي، والزارع يُخرج نصيبه إذا بلغ النصاب ستون كيلة.

إذا كانت الزراعة خضار كالطماطم أو فاكهة كالعنب والمانجو والجوافة، وبلغ الإنتاج ٦٠٠ كليوجرام، فعليّ زكاة، وإذا كان أقل من ٦٠٠ كيلو فليس عليّ زكاة.

فأنصبه الزكاة لا بد أن أعرفها، وأخرج ما عليّ من زكاة، لماذا؟ لأن الله يقول: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت) رأيت شدة الوصف!! يشبهه بأنه مشرك، وحضرة النبي حذرنا من عدم إخراج الزكاة، فقال:

{ مَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا ابْتُلَاهُمْ اللَّهُ بِالسَّنِينَ } ١٨٤

وفي بعض الأثر: (ما منع قوم الزكاة إلا سلط الله عليهم آفات الزراعة) فينفق المال على المبيدات، لأن حق الله لا بد أن يخرج، فإذا أخرجته فأنت مأجور، وذنبك مغفور، ولك عند الله مقام كريم موفور، وإذا لم تُخرجه يُسلط عليها الفئران والآفات، لتأخذ حق الله، واسمك باق كما هو تُحاسب عليه في الدنيا أولاً، ويوم تلقى الله تبارك وتعالى.

إذا أخرجت الزكاة فلا بد أن يكون لي باب صدقة ولو قليل، سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رحمته الله يقول للمصاحبين للصالحين: (تصدق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين، وصل كل ليلة ولو ركعتين تُكتب في ديوان القائميين).

من لديه طفل صغير الآن لا يقل مصروفه في اليوم عن خمسة جنيهات، فلو جعلت منهم جنيهاً واحداً وأخرجته لله، فهل هذا صعبٌ على الإنسان؟! الصعب عليه في المداومة، وهي مشكلة الإنسان، يستطيع أن يُخرج يوم وإثنين وأسبوع، ولكن لا يُديم على ذلك، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وانظر إلى الصدقة ماذا تفعل؟ نسمع ونصلي على رسول الله رحمته الله، قال رحمته الله:

{ الصَّدَقَةُ تُسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } ١٨٥

الصدقة تدفع سبعين باباً من البلاء، وقيل: أدناها الهم، وهل فينا أحدٌ يتحمّل الهم؟! لو أُصيب أحدنا بالهمّ قد يموت، فلا ينام ولا يأكل ولا يشرب، لكن كل هذه الأمور تذهب بالصدقة، ولو بشيء قليل، فإن القليل عند الله كبير، قال رحمته الله:

{ مَنْ نَصَدَّقَ بَعْدَ لِمَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } ١٨٦، وفي رواية: { حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا } ١٨٧

١٨٤ معجم الطبراني عن عبد الله بن بريدة رحمته الله
 ١٨٥ معجم الطبراني عن رافع بن خديج رحمته الله
 ١٨٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رحمته الله
 ١٨٧ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة رحمته الله

الرجل يتصدق بالصدقة لا يلقي لها بالاً - يعني شيئاً بسيط - فيجدها يوم القيامة كجبل أحد، فيقول: من أين لي بذلك؟ فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها يوم كذا، أخذناها وربيناها لك حتى صارت كما ترى.

العمل الوحيد الذي يريبه الحميد المجيد الصدقة، فأنت تُصلي ركعتين فهل تجدهم يوم القيامة أربعة؟ لا، بل هم اثنين، أو تحج حجة فهل تجدها هناك خمسة؟ لا، أو تصوم شهر رمضان فهل تجده هناك مائة وخمسون يوماً؟! لا، لكن العمل الوحيد الذي يزيد زيادة غير طبيعية الصدقة، لماذا؟ لأن الصدقة معناها أن هذا الإنسان وقاه الله شُحَّ نفسه، فالإنسان مستعد أن يُصلي طوال الليل، ويصوم طوال النهار، لكن خروج القرش أهون عليه من خلع الضرس!!، وهذه مصيبة الإنسان: ﴿وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٢٠ الفجر).

إذا كان الله يقول: (حُبًّا جَمًّا) فكون الإنسان تغلّب على نفسه، وأخرج هذا القرش، سيأخذه الله وينميه ويزيده ويبارك فيه، حتى أن النبي قرّب الأمر وقال:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } ١٨٨

نصف تمرة!!، أحد الفقراء مرَّ على السيدة عائشة وطلب منها صدقة، وكان معها قُطْفٌ من العنب، فأعطته ثلاث أو أربع حبات، فقيل لها: يا أم المؤمنين هل هذه الصدقة تنفع؟! قالت: إن فيها مثاقيل كثيرة من البر والحسنات لو تعلمون!! كونك تتصدق فهذا دليلٌ على أنك وُقيت شُحَّ نفسك، وأصبحت تحاول أن تُرضي الله جل في علاه.

رابعاً: أعمال البر وسبل الخيرات

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾:

انظر إلى سُبُل الخير كلها، وحاول أن تتوسع فيها إذا أردت أن تكون مع رسول الله، وسُبُل الخير إن كان للجيران، أو إن كان لذوي الأرحام، أو إن كان للفقراء والمساكين، أو إن كان للأيتام، وأهمها في هذا الزمان الصُّلح بين المتخاصمين، وهذا أمرٌ ... فرط فيه كثيرٌ من المسلمين.

قال ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ } ١٨٩

وفي رواية أخرى:

{ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: هِيَ تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ } ١٩٠

فالإنسان يبحث عن أي سبيل للخير ليفتح لنفسه أبواب الخيرات، وسيجد هذه الخيرات أعظم في الأجر، وأعظم في الثواب عند الله ﷻ.

خامساً: الاستغفار

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

بعد أن يعمل الإنسان أي عمل صالح يستغفر الله من رؤية هذا العمل، أنه هو الذي عمل، فأنا عملته بمعونة الله، وبتوفيق الله، كان ﷻ عقب كل صلاة هو وأصحابه يستغفرون الله، وقال لهم:

{ مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَثُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الرَّحْفِ } ١٩١

أي وإن كان حتى قيد فرّ من ميدان القتال، فلا بد للإنسان المؤمن كما رسم لنا الله البرنامج: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

يستغفر الله عقب أداء أي عمل، لماذا؟ حتى لا يشعر أنه الذي عمل، ولا أن ذلك بحوله، أو بطوله، أو بمهارته أو بقوته، وإنما بفضل الله، وبمعونة الله، وبتوفيق الله عمل هذا العمل لوجه الله، فنستغفر الله من كل قول وعمل.... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

١٨٩ سنن أبي داود ومسنند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ

١٩٠ سنن أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ

١٩١ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْنَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

(الإنسان)

١١. النعيم والمملك الكبير ١٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي منَّ علينا بهُداه، وأكرمنا باتِّباع حبيبه ومصطفاه، وخصَّنا بخير كتاب أنزله إلى خلق الله وهو القرآن الكريم، والصلاة والسلام على نبي الختام، ماحي الظلام، وناشر النور في قلوب الأنام، والشفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام، ومفتاح الجنة وساكن دار السلام؛ سيدنا مُحَمَّد وآله الأعلام، وصحابته الكرام، وكل من مشى على هديه وصار على دربه إلى يوم الزحام، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بِمَنِّكَ وفضلِكَ وجودك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا اليوم تشرح لنا وتوضح لنا الجنة، التي نسأل الله ﷻ في كل وقت وحين أن يبلغنا إياها، ونتأسى بقول سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ
 أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } ١٩٣

نعيم الجنة ونعيم الدنيا

الكلام عن الجنة في كتاب الله يقتضي منا جميعاً أن نعي جيداً قول حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي دعا له النبي ﷺ وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ } ١٩٤

يُعطينا حقيقة يجب أن نعيها أجمعين، فقال ﷺ: كل ما ذكر في القرآن عن الجنة مما له شبيهة في الدنيا، فهو يشاركه في الاسم فقط، إذ الذي في الجنة أشرف وأعلى.

يعني إياك أن تظن أن القوارير مثل القوارير التي في الدنيا، والكأس هناك ليست كالكأس التي في الدنيا، لكن يشاركه في الاسم فقط، وطبعاً يقره الحبيب ﷺ:

١٩٢ الأقصر - إسنا - القرايا ٢٧ من جمادي الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

١٩٣ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٩٤ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } ١٩٥

ولم يستثن أحد، فلا يوجد أحدٌ من أول الدنيا إلى آخرها رأى شيئاً مما في الجنة إلا النفر القليل الذين أخذ الله أرواحهم إلى الملاء الأعلى وامتّعهم بالسياحة في الجنة.

وحق هؤلاء لا يستطيعون التعبير، ولا يستطيعون تصوير ما رأوه، لأنه شيء لا تدركه العقول، ولا تتعقله عقول بني آدم أجمعين، فهو شيء فوق الوصف وفوق الخيال، هذه الحقيقة التي يجب أن نعلمها أجمعين عن جنات النعيم.

بعد ذلك سأحاول باختصار شديد تبسيط هذه المناظر الإلهية التي جهزها الله لنا في الدار الجنانية.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾

نحن نريد أن نكون من هؤلاء الأبرار لكي نشرب ونطرب ونتمتع بهذا النعيم العالي، فالأبرار الذين برؤوا ما عاهدوا الله تبارك وتعالى عليه، فقاموا بما فرضه عليهم من الفرائض، وانتهوا عما نهاهم عنه من المناهي، وامتلوا لقول الله:

﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران)

فتأسوا واقتنوا بحبيب الله ومصطفاه في كل أنفاسهم .. فهؤلاء الأبرار الذين وضحهم الله في أكثر من موضع من كتاب الله، ونسأل الله تعالى أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء سيشرّبون من كأس، لكن - كما قلت - ليس مثل هذا الكأس، فلا نشغل أنفسنا بشكله ولا لونه ولا هيئته، لأن هذا أمر غيبي لا يُطلع الله عليه إلا نبي، أو صديق، أو ولي، ونحن لم نصل بعد لهذه المقامات.

والله عَزَّ وَجَلَّ عندما وصف الجنة كان تقريباً للحقائق، فذكر الأسماء التي نعرفها ليُقرب لنا الحقيقة، لكن الحقيقة غير هذا بالمرّة، ولذلك قال ﷺ:

{ يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصَنَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةٌ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصَنَعُ صَبْعَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ } ١٩٦

فإذا كان الإنسان من غمسة واحدة في النار سينسى كل النعيم الذي يتخيله الإنسان للمتفرجين في هذه الحياة الدنيا، ومن غمسة واحد في الجنة سينسى كل البؤس والشقاء والعناء الذي ذاقه أشد الناس بؤساً وأكثرهم مشقةً وعناءً في هذه الحياة الدنيا، لنعرف أن الجنة فيها شيء آخر كما أخبر النبي ﷺ.

وكما قال الله: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (٧١ الزخرف) لم يقل: فيها ما تشتهيه النفوس، لكن (الأنفس) وهي جمع قلة يعني الأنفس التقية، التي لها منزلة كريمة عند رب البرية ﷻ.

وهؤلاء لن يترك الله ﷻ ملك الموت الموكل بهم لقبض أرواحهم، ولا حتى عزرائيل رئيسهم أن يقبض أرواحهم، ولكن يتولى بذاته قبض أرواحهم: ﴿ اللَّهُ يَخَوِّفُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (٤٢ الزمر).

ومن هم الأنفس؟ الأفراد القلائل الذين دائماً يدعون ونحن ندعو معهم قائلين:

(وتولَّ قبض أرواحنا بيمينك مع شدة الشوق إلى لقاءك يا رحمن).

﴿ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ العرب كانوا يعرفون الكافور، فقرب لهم الله الحقيقة، والكافور شراب يوجد في أشجار عظيمة موجودة في بلاد الهند وفي بلاد الصين، ويكون بداخل الشجرة، ولونه أبيض، وطعمه ونكهته فيها لذة لا تُوصف، فقرب لهم الله الحقيقة بما يعرفونه... من الذي يشرب هذا الكافور؟ العظماء والجماعة الوجهاء فذكر لهم أن هذا الكأس يُمزج بالكافور.

١٩٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ﷺ

العين التي لعباد الله

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وانتبه لدقة ألفاظ القرآن، فلم يقل: عينا يشرب منها عباد الله، ولكن (يشرب بها)، فلو قال: عينا يشربون منها، لقلنا أنها عينٌ في أرض الجنة يخرج منها هذا الشراب، ولكنها عيناً يشرب بها، وهذه قال فيها الصالحون: العين التي ستشرب بها كل طعام المقربين، وكل شراب الصديقين، وكل علوم الإلهام من رب العالمين، هي العين التي بداخلك؛ القلب السليم إذا طهرته لمولوك.

فهو يشرب بها، والذي سيؤتيه الله العلم أو الحكمة، سيعطيه له في القلب السليم، الذي طهره من كل وصف ذميم لا يحبه ولا يقبل عليه به الكريم ﷺ.

فيشربون بهذه العين لطائف العلوم، ويشربون بها أسرار المعارف الإلهية، ويشربون بها مشاهدة الأنوار المحمدية، ويشربون بها كل عوالم الزينة الظاهرة والخفية في الدار الجنانية.

يشربون كل ذلك بهذه العين، ولذلك قال الله بعدها: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ الذين أصبحوا عبيداً لله ﷻ، تحرر من العبودية للزوجة، والعبودية للمال، والعبودية للبطن، والعبودية التي نهي عنها سيدنا رسول الله والتي قال في أهلها:

{ تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ } ١٩٧

فهم عبيد، وطالما هو عبدٌ لهؤلاء فهو ليس عبداً لله ﷻ، والله ﷻ لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فالذي فيه شركاء متشاكسون ليس لله شأنٌ به، فهو يريد رجلاً لا يريد من الدنيا والآخرة إلا وجه الله ﷻ.

تفجير العين

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾

يفجرون هذه العين، وكيف يفجرونها؟ عندما نريد تفجير مبنى كبير، أو تفجير جبل فماذا نعمل؟ نأتي له بأصابع الديناميت لنفجره، وأنت لكي تُخلي القلب تحتاج إلى ديناميت الحبة لسيد الأحبة، وهذا الشيء الوحيد الذي يستطيع تخليص القلب من كل الأغيار،

١٩٧ البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ

وبعد يملأه الله ﷻ بالأنوار، ويُشرق فيه وجه النبي المختار ﷺ.

ولذلك قال الإمام أبو العزائم ﷺ: **(ذرة من المحبة ترفع أهل الجاهلية إلى أعلى مقامات الشريفة).**

وسيدنا أبو بكر الصديق كان يُسمى عتيق، ولكن حُبه لحبيب الله ومصطفاه هو الذي رَفَّاه وأَعلاه حتى صار له رفيق.

وعندما ننظر في آية الهجرة، نجد أن الله ذكره مع النبي خمس مرات في خمس مواضع فيها: **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** (٤٠ التوبة) خمس مواضع مذكور فيها مع سيدنا رسول الله ﷺ، كأنه يمثل بقول حسَّان بن ثابت دائماً:


أحبك حباً لو يُفَاض يسيره على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فالذي يُريد أن يُفَجِّر العين التي يشرب بها شراب اللطف الإلهي، وشراب الوصل الرباني، وشراب الرحيق الجناني، فيكون كما قال الله: **﴿إِلَّا مَنْ أَمَّنَّ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** (٨٩ الشعراء) وهو لا يريد منك غير هذا، فهو لا يريد منا الملابس التي نلبسها، أو دفاتر الشيكات التي في جيوبنا، قال ﷺ:

**{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،
وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } ١٩٨**

ينظر إلى قلوبنا ونياتنا، يريد القلب، والقلب بيت الرب، لا يُطَهِّره إلا الحب، متى نظره بالحب؟ بعد أن نُخرج حب الدنيا وحب الشهوات وما ذكرناه وأشرنا إليه.

فإذا تطهر هذا القلب أصبح عيناً يشرب بها كما يشاء، ولذلك لم يقل القرآن: سيشرب بها عباد الله، وإلا كان ذلك في المستقبل في الآخرة، ولكنه قال:

﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ يعني الآن، ولكن الشرط **﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾** 

١٩٨ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

رجال الوفاء

وذكر الله ﷻ لنا مثلاً من هؤلاء الرجال لشمسي عل هديهم ونسير على منوالهم: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ ذكر كثير من أهل التفسير أن هذه الآيات نزلت في الإمام علي وزوجته النقية النقية السيدة فاطمة رضي الله عنها، فقد مرض الحسن والحسين مرضاً شديداً، وتلمسوا لهم الشفاء، ولكن زاد الداء، فأشار عليهم بعض الصحابة الأتقياء الأنقياء بأن ينذرا نذراً لله لعل الله يُشفيهما ولديهما، فنذرا لله ﷻ إن شفا الله الغلامين أن يصوما ثلاثة أيام لله ﷻ.

فشفاها الله، فأرادا أن يوفيا بالنذر، والإمام علي لم يكن موظفاً ولا يملك أرض، ولم يكن له تجارة، بل كان يعمل بيده بالأجر، ففي كل صباح يبحث عن أحد يعمل عنده في هذا اليوم لكي يحصل على قوت بنت النبي وأولاده المباركين، وهم ذرية النبي رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، والذين قال فيهم ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي

فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ }^{١٩٩}

فصاماً ويريدان أن يفطرا، فذهب الإمام علي ليعمل، وجاء ببعض الشعير، والسيدة فاطمة رضي الله عنها طحنت الشعير، وصنعت منه رغيف واحد، وسوّته لكي تأكل هي وهو والأولاد والخادمة، وليس هناك غموس، فالرغيف فيه كل شيء بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

وقبل المغرب بلحظات طرق الباب، وقال: مسكينٌ يا آل بيت النبوة ولم أذق طعاماً من يومين، فقال لها: أعطيه له، ونحن نبئت طاوين، وفطروا على الماء، وتسحروا على الماء.

وفي اليوم الثاني صاماً، لأتھما يريدان أن يوفيا بالنذر، وهذا يُعطينا درس، فرغم الصعوبات البالغة هما يريدان توفية النذر، لأن الناس الآن قد يكون أحدهم قد نذر نذراً وأتاه الخير، فيقول: المصلحة الفلانية أولى، والمصلحة الأخرى أبدى، وعندما أنتهي من المصالح أوفي بالنذر!!.

١٩٩ معجم الطبراني والسيوطي عن جابر بن عبد الله ﷻ

لكن هؤلاء غير ذلك، يريد أن ينهي ما عليه لرب العزة تبارك وتعالى أولاً، وذهب في اليوم الثاني لعمل، وجاء ببعض الشعير، وجهاز أيضاً منه رغيفاً واحداً، وقبل المغرب جاء رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي، ولم أذق طعاماً منذ عدة أيام، فاعطوه الرغيف، وفطروا على الماء.

واليتيم في الشرع عندنا من فقد أباه ولم يبلغ الحلم، لكن الذي بلغ الحلم لا يصح أن نُطلق عليه يتيماً، وكذلك من فقد أمه ليس يتيماً، لأن الذي فقد أمه وأصبح يتيماً فهذا في عالم الحيوان، والشرع حكيم، لأن الأم هي الرئيسة في عالم الحيوان، والأب قد لا يراه ولا يعرفه، لكن في عالم الإنسان الذي يفقد الأب يكون يتيماً ما لم يبلغ الحلم، قال ﷺ:

{ لَا يُتِمُّ بَعْدَ اخْتِلَامٍ } ٢٠٠

إذا بلغ الحلم أصبح رجلاً ولم يعد يتيماً، فإذا بلغ إنسان عشرين سنة مثلاً فهل نقول أنه يتيم ونساعده؟! لا، لأنه رجل، وعليه أن يسعى ويعمل ليُحصَلَ أرزاقه، وفي اليوم الثالث أيضاً صاموا، وذهب سيدنا علي للعمل وأحضر كذلك بعض الشعير، وصنعت منه رغيفاً، وقبل المغرب جاء أسير يسأل، فاعطوه الرغيف!! هل يوجد الآن من يأكل الشعير؟! لا، أو هل يوجد منا من يأكل دقيق غير منخول؟ لا، مع أن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

{ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا رَأَى مُنْخَلًا، وَلَا أَكَلَ خُبْزًا مَنْخُولًا } ٢٠١

والعلم الحديث أثبت أن الجسم في حاجة إلى الخبز الذي يحتوي على الرذّة، لكن الدقيق المنخول كله أضرار لا يعلم مداها إلا الواحد القهار.

فكانوا يأكلون الشعير الذي لا نرضى الآن أن نجعله حتى علفاً لدوابنا إلا إذا كنا فقراء، لأن الأغنياء لا يرضون به، ويُطعمون دوابهم فول أو شيء قيم.

{ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } لها معنيان، إما على

حب الطعام لأنهم كانوا جوعانين، لكن الأوجه على حب الله ﷻ، وكلا المعنيين صحيح.

وجهة المقربين في أعمالهم

ما المبدأ الذي يريد الله أن يُعلِّمه لأهل مقامات المقربين؟ الآتي:

﴿ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ تريد أن تكون من

المقربين فكل عمل تعمله لا ترجو الثواب والأجر فيه إلا من الله ﷻ.

ما الذي كثر المشاكل بين المسلمين في هذا الزمان؟ أن كل إنسان يُقدِّم جميلاً لإنسان يريد منه الردُّ، مه أنك بهذا ليس لك أجر عند الله، فإذا زار أحد يريد رد الزيارة، وإذا أطمع أحد يريد أن يطعمه مقابل هذا الطعام، وإذا قدَّم واجب عزاء لأحد يريد منه أن يرده له إذا حدث عنده عزاء، وإذا لم يأت، يقول: إن فلان لم يأتي ليُعزيني فلن أذهب لأُعزيه مرة أخرى، وإذا أصيب بمرض وأحد أصدقائه لم يزوره، وأُصيب صديقه بمرض، يقول: لن أزوره لأنني مرضت ولم يزرنني، ما هذا؟! نحن بذلك نعمل الأعمال نقصد بها الرد، وكأنها سلف!، وهذه كما ورد في الحديث الشريف: { وتصدق الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن } ٢٠٢

فكل عمل لا يُبتغى به وجه الله يتركه لصاحبه، ما دام العمل ليس لله فلا يصح أن تقدمه لله يوم لقاء الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾..

وما الشرط؟ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف).

٢٠٢ الترغيب والترهيب للمندري عن معاذ والحديث طويل وفيه قبل ما ورد أعلاه قال ﷻ: ((قال وتصدق الحفظة بعمل العيد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الموكل بما قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه اقللوا على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصوتاً في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن الله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرآئي، قال: (الحديث)).

إذاً لكي يكون العمل خالصاً لله وتكون من المقربين، تحتاج إلى أن تطهر العمل من الرياء وهو رؤية الخلق، وتحتاج إلى أن تطهر العمل من العجب؛ وهو أن نفسك تُعجب به، وترى نفسك أنك أفضل من فلان ومن فلان، لأنك قدمت كذا وعملت كذا، ولكنك تعمل العمل وترى أن الله هو الذي أعانك وقواك وأمدك بكل حول وطول حتى عملت العمل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة) لو لم يُعيننا الله فهل يستطيع أحد منا أن يعمل شيئاً؟! لا.. من الذي يُذكر الإنسان بالتسبيحة التي سيُسبح بها حضرة الرحمن؟! تسبيحة واحدة فقط، من الذي يُذكرك بها؟! من الذي يُليّن الأعضاء لأداء الصلاة؟! من الذي يحفظ وضوءك من الإنتقاض؟! وأنت لا حول ولا طول لك على هذه الأعضاء!!، أمورٌ كثيرة وكثيرة، تحتاج من الإنسان أن يفكر فيها جيداً ليكون العمل كله لله، قال ﷺ:

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ }^{٢٠٣}، وقال: { أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }^{٢٠٤}

فهذا هو الرجل الذي يذكرنا به الله في هذه الآيات، ولذلك سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ - وكان من هؤلاء الرجال - عندما نزلت على النبي ﷺ: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (١٥٢ آل عمران) وقرأها ﷺ عليهم، أخذ يبكي، فقالوا له: لم تبك؟ قال: ما كنتُ أظن أن في أصحاب رسول الله من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية!! يعني عرفت أنه يوجد أناسٌ يريدون الدنيا.

الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ سمع هذه الآية من القارئ فصرخ وأغشي عليه، فلما أفاق سأله ماذا حدث لك؟ قال: أما سمعتم هذا العتاب؟ قالوا: وأي عتاب؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ فأين من يريدني؟!.

وانظر إلى قلوب الأبرار والأطهار كيف تكون؟! كأن الله يقول: من الذي يريدني!؟

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٢٨ الكهف) وهذا الصنف الذي

٢٠٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معاذ بن أنس ﷺ
٢٠٤ شعب الإيمان للبيهقي ومسنَد أحمد عن البراء بن عازب ﷺ

ذكره لنا الله في هذه الآيات، إنما نطعمكم لوجه الله، ونقدم لكم المعونة لوجه الله، ونزوركم لوجه الله، ونقدم لكم واجب العزاء لوجه الله، ونقرضكم ما تحتاجون إليه لوجه الله، ونسعى لخدمتكم وقضاء مصالحكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاءً، ولا حتى شكر على هذا العمل.

لأنه لو اجتمع أهل الدنيا جميعاً ومعهم كل خيراتها، فهل يستطيعوا أن يكافئوا رجلاً مؤمناً على تسبيحة واحدة لله ﷻ!!! مستحيل، فالتسبيحة الواحدة أعظم من الدنيا وما فيها، وهذا ما ذكره سيدنا سليمان بن داود عليه السلام، فقد قال ﷺ:

{ كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفُ بَيْتٍ، أَغْلَاهُ قَوَارِيرُ، وَأَسْفَلُهُ حَدِيدٌ، فَرَكِبَ الرِّيحَ يَوْمًا، فَمَرَّ بِحَرَاثٍ يَخْرُثُ، فَظَنَرَ إِلَيْهِ الْحَرَاثُ، فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا، فَحَمَلَتِ الرِّيحُ كَلَامَهُ، فَأَلْقَتْهُ فِي أُذُنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: فَنَزَلَ حَتَّى أَتَى الْحَرَاثَ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكَ، وَإِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِقَلَّا تَمَنَّى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ }^{٢٠٥}

سيدنا سليمان بن داود عندما كان راكباً على البساط، والبساط كان يتسع لكل من جاء معه حتى يسعهم جميعاً، وكان معه على البساط في هذا اليوم خمسمائة ألف من الجن^{٢٠٦}، وخمسمائة ألف من الإنس، غير الوحوش والطيور والأمراء والوجهاء، ويمشي بأمره: ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ والشرط: ﴿ رُحَاءً ﴾ (ص٣٦) يعني ليست شديدة حتى لا تضره ولا تضر من حوله؛ ريحٌ لطيفة محبوبة ومستحبة للنفس ... فسمع فلاحاً في أرضه بجوار بيت المقدس نقل إليه الهواء الصوت وهو يقول: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، فأحب أن يُلقن من حوله درساً، فأمر البساط أن ينزل، وقال للرجل: ماذا قلت؟ فحدث عند الرجل رعباً، فهدأ من روعه، فقال الرجل قلت: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود،

٢٠٥ رواه أحمد في الزهد عن إدريس بن وهب بن منبه، كما أورده صاحب الحلية.
٢٠٦ روى الحاكم في المستدرک عن محمد بن كعب قال: : بَلَّغْنَا أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، كَانَ عَسْكَرُهُ مِائَةَ فَرَسٍ؛ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهَا لِلْإِنْسِ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلْجِنِّ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلْوَحْشِ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلطَّيْرِ، وَكَانَ لَهُ أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَوَارِيرَ عَلَى الخَشَبِ مِنْهَا ثَلَاثُ مِائَةِ صَرِيحَةٍ، وَسَبْعُ مِائَةِ سَبِيَّةٍ، فَأَمَرَ الرِّيحَ فَارْفَعَهُ، فَأَمَرَ الرِّيحَ فَسَارَتْ بِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: إِنْ قَدْ زِدْتُ فِي مُلْكِكَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنَ الخَلَائِقِ بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَتِ الرِّيحُ فَأَخْبَرَتْكَ .

فقال له: (لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ).

تسبيحة واحدة في صحيفة مؤمن خيرٌ وأعظم مما أُوتي سليمان بن داود، لذلك من الذي يستطيع أن يُعطي لإنسان أجر تسبيحة واحدة لله ﷻ؟!، والحبيب ﷺ بين وقال:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ } ٢٠٧

فلماذا نستهن بهذه الكلمات؟!؟

لذلك المؤمن الذي يريد أن يكون من المقربين :

- هو الذي يطهر القلب.
- ويعقد النية على أن لا يعمل عملاً لنفسه أو لغيره إلا إذا كان خالصاً لوجه رب العالمين، لا يرجو جزاء من أحد !!

لأنه ليس لأحد أن يُعطيه الجزاء، ولا ينتظر ثناءً من أحد، لأن الثناء لن يعمل به شيئاً، لكن أنا أريد الثناء من الله الذي له قدر، وله هيلمان وعظمة في الدنيا ويوم لقاء الله.

مقام الخشية

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾

وهذا مقام الخشية، القلب إذا سلم، فأفضل عطاءً يضعه فيه مولاه خشية الله، بعض الناس يظن أن خير عطاء الكرامات!، لكن الشيخ الجنيد رحمه وأرضاه قال في ذلك :

(أنت تطلب الكرامة ، وربك يطالبك بالاستقامة ،

والاستقامة خيرٌ من مائة ألف كرامة) ٢٠٨

فالكرامة قد تغرك، وقد تضرك !!

٢٠٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري رحمه
٢٠٨ عوارف المعارف، والإحياء والكثير من كتب الصالحين والعارفين بنفس المعنى واختلاف ألفاظ وترتيب، وقال بعضهم: ذرة استقامة خير من ألف كرامة ، كما بمولد النبي المسمى بالأسرار الربانية للميرغني.

ونفرض أنها ستجتمع الخلق عليك، لكن لو أن الخلق جميعاً اجتمعوا حولك، فهل يستطيعون نفعك أو دفع ضرر أراده الله لك؟! أبداً !!

لذلك يجب عليك أن تبحث عما يُحبه الضار النافع تبارك وتعالى، وهو مراقبة الله، وخشية الله، وهذه علامة العلماء العاملين الذين ذكروهم الله في كتاب الله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢٨ فاطر)

يعني أن الذي يخاف الله، ويتق الله العلماء، وهناك قراءة أخرى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ لماذا؟ لأن زلة العالم زلة لمن حوله كلهم، يقولون: الشيخ فلان عمل كذا، والشيخ فلان مشى في الطريق الفلاني وهذا صواب، لذلك خطأ العالم خطأ للعالم الذين حول العالم ...

ولذلك لو تذكر أي إنسان فينا أنه قدوة يُقتدى به؛ على الأقل من أهله وذويه، لانصلح حاله على الدوام، فأنا على الأقل قدوة لمن معي في البيت، إن كانت زوجتي أو أولادي أو أحفادي ..

وما دام هؤلاء يقتدون بي، فهل يصح أن أتكاسل عن الصلاة في وقتها؟! وإلا كيف أحاسبهم على الصلاة؟! وهل يجوز أن تخرج من لساني كلمة نابية أو جافية أو لاغية؟! لا، لأنهم سيفعلون مثلي، ويقولون: سمعنا أبانا يقول كذا، أو جدنا يقول كذا .. فالإنسان إذا اعتقد أنه قدوة وظلَّ هذا الخاطر في قلبه على الدوام، أصلح الله ﷺ حاله على مدى الأيام.

فأعطاهم الله ﷻ الخشية:

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾:

نحن نخاف أن نذهب لله ﷻ فيقابلنا بعبوس، والوجه العابس يعني الوجه الذي يظهر عليه النفور، ويظهر عليه الضجر والألم، وقمطريراً يعني شديد العبوس !! فنحن نخاف من هذا اليوم.

فعلى الفور قال الله لكل من يعمل لوجه الله، وملاً قلبه بخشية الله:

﴿ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۗ وَجَزَّاهُمْ بِمَا

صَبْرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٥٠﴾

ولذلك الإمام القرطبي رحمه الله وأرضاه قال:

هذه الآية وإن كانت نزلت في أهل بيت رسول الله، إلا أنها في كل الأبرار الذين تخلقوا بهذه الأوصاف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي كل من فعل فعلاً حسناً، وهذا الكلام قاله بعد أن ناقش رأي الحكيم الترمذي رحمه الله، والحكيم الترمذي قال: هذه الآية لم تنزل في الإمام علي والسيدة فاطمة، لأن الحديث سنده ضعيف، وقد أمر النبي ﷺ الإنسان أن يبدأ بنفسه ثم بمن يعول، فالمفروض أن يبدأ بنفسه أولاً وبعدها يُعطي الفقير، فردَّ النسفي وقال: هذه حال كحال أبو بكر عندما تبرع بماله كله لرسول الله، وأصحاب الأحوال لهم العذر، ولكن لا يُقتدى بهم في مثل هذه الأحوال، لأنها أحوال خاصة بهؤلاء الرجال، ويؤيدهم بما ويعينهم عليها الواحد المتعال ﷻ.

جزاء الصادقين

﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾

وهو يوم القيامة، أو يوم الخروج من الدنيا ...

وهو يوم لقاء الله الذي يقول فيه رسول الله ﷺ:

{ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ } ٢٠٩

﴿وَلَقَبَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

لقاهم نضرة في وجوههم بالأنوار الإلهية التي تسطع عليهم، وسروراً في قلوبهم بالعطاء الرباني الذي خصهم به الله في كل وقت وحين.

﴿وَجَزَّئُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾

وهذه الجنة يكفي أن أدنى المؤمنين مُلكاً في الجنة سيكون له مقدار الدنيا كلها من

أولها إلى آخرها عشر مرات

٢٠٩ البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رحمه الله

فإن آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة، قال فيه ﷺ:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْحَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَذَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ } ٢١٠

وهذا الرجل قال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ جُهَيْنَةُ،

فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَيْرُ الْيَقِينُ } ٢١١

فعندما يخرج هذا الرجل من النار يعلم أهلها أنهم خالدين فيها أبداً !!

لكن ما بال الذين يدخلون الجنة قبل هذا؟

{ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } (٣٥ق)

فهذه أخبار لا نستطيع وصفها ...

ولا ذكرها ...

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٢١٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢١١ فتح الباري عن ابن عمر رضي الله عنهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مُتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا
وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ
قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَائِيَةِ مِّنْ فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ
قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ
حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ
نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُوعًا أُسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رُهُمٌ
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ
سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ (الإنسان)

١٢. النعيم والملك الكبير (٢) ٢١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جعلنا من أهل جنة النعيم في البدء القديم، وأنزلنا بفضلِهِ إلى الحياة الدنيا لخلافته ﷺ للتكريم، وكتب لنا السعادة، وجعلنا من أهل الحُسنى وزيادته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ؛ سر نور الله تبارك وتعالى في البدء في الأولوية، وسر نور شرعه المشرق في الآخرة، وصاحب الشفاعة العُظمى في الحياة الأخروية، ومفتاح الدار الجنانية، الذي من رآه لا يشقى أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، صلِّ اللهم وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، وامتعنا بالنظر إلى جمال وجهه، ولا تحرمننا من رؤيته في الدنيا، ولا من شفاعته في الآخرة، ولا من جواره في الجنة أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

أهل الجنة العالية

شرحنا بداية هذه الآيات، وقلنا .. أن الله ﷻ جعل صفات؛ من تجمّل بها في الدنيا كان من أهل الجنة العالية.

أول هذه الصفات: أن يكون عمله كله لله، لا يبغى أجراً ولا ثواباً على أي عملٍ يعملهُ إلا من حضرة الله.

الأمر الثاني: أن يمتلئ قلبه بتقوى الله وخشية الله، فيراقب الله على الدوام، ويعلم أن الله يطلع على ظاهره وباطنه في كل حركاته وسكناته، ويضع أمام عيني بصيرته: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤ الحديد).

الأمر الثالث: أن يوفي بما عاهد عليه الله:

- فيقوم بالفرائض التي كلفنا بها الله.
- وينتهي عن كل النواهي التي نهانا عنها كتاب الله.
- ويقتدي بالحبيب ﷺ في كل أعماله وأحواله في هذه الحياة.

النصرة والسور

الذين يفعلون ذلك قال فيهم الله: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ (١١١ الإنسان) هؤلاء سُنَلِقِيهِمْ نصرَةً في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، هذه الوجوه التي ينصرها، لماذا ينصرها؟ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١١١﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١١٢﴾﴾ (القيامة) ليرى ويتمتع بأجمل ما يراه الإنسان في الدنيا وفي الآخرة وهي أنوار ووجه حضرة الرحمن ﷺ.

والسرور سرور القلب، فسرور الجسم بالطعام والشراب والنكاح والأشياء الدنيوية الدنية، لكن سرور القلب بالأنوار العلية، وبالواجبات الربانية، وبالإشراقات القدسية التي يتجلى بها الله ﷻ لهذه الأرواح النقية النقية، وأعلمنا الله ﷻ في أكثر من موضع من قرآنه، أنه لا يوجد لواحد منا جنة واحدة، بل جنات تجري من تحتها الأنهار.

جناتٌ ظاهرات تتمتع بها الأجسام بعد أن يُنشئها الله النشأة الآخرة، وهي مغايرة للأجسام التي في الدنيا، يعني الأجسام هناك سيكون الإنسان فيها كما نصت الأحاديث الشريفة على طول سيدنا آدم، وكان طوله سبعة وستون ذراعاً، وهؤلاء الذين يدخلون الجنة لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يشعرون بحرٍ ولا برد ولا مرض، وإنما في عناية رب العزة تبارك وتعالى على الدوام، ولا يهرم منهم أحد، قال فيهم ﷻ:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } ٢١٣

سندخل الجنة في سن الثلاثة والثلاثين، هل يصل أحد إلى سن الخامسة والثلاثين؟ لا، بل سيظلون في سن الثلاثة والثلاثين خالدين فيها أبداً، يعني يظل فتوة وشباب على الدوام، لأن الله ﷻ قدر هذا النعيم الكريم جزاءً لهم بما صبروا: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥ فصلت) ونحن كلنا لنا حظ عظيم، فكل من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سيكون له حظ عظيم عند الله ﷻ، لأنك لم تقلها من نفسك، ولا خيرٍوك فيها، يقول الله فينا كلنا: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (٢٢ المجادلة) كتبه في داخلك، واللسان يعبر عن المكتوب الذي كتبه الرحمن في القلب والجنان، وأنت معك الحظ العظيم والسعادة الكبرى من العزيز العليم ﷻ.

٢١٣ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

صفة الجنة

هؤلاء سيكون لهم جنان في الآخرة لا تُعد لمتعة الأجسام، وهناك متعة للقلوب، وهناك متعة للأرواح، وهناك متعة للأسرار، وكلها أشياء غيبية لا يُدركونها إلا من علمه الله من الصالحين والأبرار.

فذكر لنا الله في الآيات التي معنا جنة واحدة فقط من الجنان التي لنا، وأمر أمثالي أن نبين للناس أملاكهم التي عند الله، ونعيمهم الذي عند الله ليشتاقوا إليه، ويعملوا بما يوصلهم إليه: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ (٦٦ محمد) لا بد أن تعرف الجنة لتسعى إليها.

هذه الجنة ماذا سيكون فيها؟

ليس فيها كراسي ولا مصاطب، لكن كل الجلوس كجلوس الملوك على الأسرة، والسرير كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ارتفاعه مسيرة خمسمائة عام.^{٢١٤}

والسرير، وكل ما في الجنة على بصيرة، فلا شيء منهم ينتظر أن تُصدر له أمراً، ولكنه يعرف ماذا تريد ويُنفذ بدون طلب: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ والأرائك يعني الأسرة، ومتكئين يعني مُضطجعين ومستريحين وسعداء، والسرير يتحرك كما شئت لما شئت، فإذا خطر ببالك أن تزور أخاك فلان - شرط أن يكون معك في الجنة - تجد السرير قد تحرك^{٢١٥} ومشى حتى يصل إلى قصور أخيك فلان!!، فأنت لم تُقل له ولم تُعطه أمراً، ولا خدم شدوه أو جروه، وإنما يمشي بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الجو في الجنة كيف يكون؟

نحن في الدنيا لا يعجبنا الحر، ولا يعجبنا البرد، فإذا اشتد البرد تجد من يقول: ما هذا البرد يا رب؟ ولماذا جئتنا به؟ والبعض يسيئ مع الله فيقول: أنت غاضب منا ولذلك جئتنا بهذا البرد!، وهم يجهلون حكمة الله، والله عز وجل يفعل كل شيء لحكمة عالية.

٢١٤ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للنعالي، وفي روح البيان في تفسير القرآن للبروسوي ورد: أن ارتفاع السرير كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، قبل إذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت .
٢١٥ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعاً: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَشْتَأِقُ الْإِخْوَانَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَسِيرُ سَرِيرٌ ذَا إِلَى سَرِيرٍ ذَا ، أَوْ سَرِيرٌ ذَا إِلَى سَرِيرٍ ذَا حَتَّى يَجْتَمِعَا . فَيَتَكَبَّرُ ذَا وَيَتَكَبَّرُ ذَا ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : تَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا ، فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : نَعَمْ ، يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَدَعَوْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَغَفَرَ لَنَا) .

وعند الصيف الكل يتضايق، حتى الذي عنده تكييف غير مرتاح، ولا الذي ينام في الخلاء مرتاح، والكل يشتكي!! لكن في الجنة قال الله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ الشمس ستنتهي مع نهاية الدنيا.

نور المؤمنين في الآخرة

كيف نرى في الجنة؟ وكيف تمشي فيها؟

﴿تُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (التحریم) الذي ينور لك نور عملك الصالح، وهو الذي ييمينك، وقدامك نور الحبيب الأعظم ﷺ.

هذا النور الذي ستمشي عليه في الآخرة يوم الحساب، وفي الجنة، ونورك قوته على حسب صلاح عملك، قال ﷺ:

{ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أُبَيْنَ، فَصَنَاعَاءَ، فَذُونَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورُهُ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }^{٢١٦}

أقل المؤمنين نوراً يوم القيامة من يضيء له نوره تحت قدميه، وهناك جماعة آخرون يقول فيهم ﷺ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }^{٢١٧}

هؤلاء يضيء حسنهم لأهل الموقف كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، وهذا في الآخرة، أما في الجنة فقال:

{ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَعُونَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَعُونَ الْكَوَكَبَ الدَّرِيِّ الْغَائِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ }^{٢١٨}

٢١٦ جامع البيان للطبري

٢١٧ تحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢١٨ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

أهل الجنة يتراءون أهل عالين في الجنة كما تتراءون الكوكب الدرّي في أفق السماء، يرونهم وهم بريقٌ من بعيد، لشدة أنوارهم نتيجة صالح أعمالهم التي نالوا بها القبول عند الله تبارك وتعالى، فيجب على كل واحد منكم أن يشحن بطاريته حتى يضيء له كشافه جيداً، لأنه لا يوجد هناك محلات تشتري منها بطارية، ولا توجد كهرباء تشحن منها البطارية، فالنور من هنا من الدنيا.

المنافقون الذين يظنون أنهم يضحكون علينا وعلى حضرة الله - حاشا لله ﷻ - هناك يجدون ظلمة تامة فينادوا علينا: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (١٣ الحديد) يعني انظروا لنا حتى نمشي في نوركم، فيسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم في الدنيا: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (١٣ الحديد) ارجعوا للدنيا مرة ثانية لتأتوا بالنور منها!! فلا يوجد نور هناك إلا ما جئت به من الدنيا، ومن الذي يعمله؟ أنت، بعملك الصالح الذي تتوجه به لله، ومملوءة بالإخلاص لله تبارك وتعالى، فلا يوجد هناك نور في الجنة، ولا في الآخرة، إلا نور العمل الصالح، ونور الحبيب الأعظم ﷺ، ونور رجال الله الصالحين الذين أعلى الله قدرهم يوم الدين، ... نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

نعير الجنة

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾

لا يوجد بردٌ هناك، قيل لابن عباس: كيف سيكون نور الجنة؟ قال:

(أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس كذلك نورها
إلا أنه ليس فيها شمساً ولا زمهريراً) ٢١٩

٢١٩ وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في "حادي الأرواح" بعض الآثار الموقوفة والمرفوعة التي تدل على هذا، وهي ضعيفة، ولكن مجموعها يدل على أنها لها أصلاً، ومن ذلك: ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنه سئل ما نور الجنة؟ قال: أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس، كذلك نورها، لأنه ليس فيها شمس ولا زمهرير (صفة الجنة، لأبي نعيم الأصبهاني)، وهناك آثار أخرى تدل بمجموعها على أن نور هكذا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشبة بنور يظهر من قبل العرش" إذا ما كان فيه ليل ولا نهار، لكن فيه بكرة وعشبة، كما جاء بالنص، فيه وقت للبكور، ووقت للعشي، فكيف يعرفان ولا شمس ولا قمر؟ قال: "بنور من قبل العرش (مجموع الفتاوى): وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هما

سيكون كنور ساعة الصُّبح قبل شروق الشمس، فهل تكون الدنيا منيرة أم مظلمة؟ منيرة، ولكن لا توجد شمس ولا حرارة ولا برودة، وإنما نور من نور الله ﷻ، يُدكرنا بنور الجنة التي نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين.

يضطجع على السرير، وشجر الجنة يفهم كما قلنا أن كل شيء في الجنة يفهم: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ الظل ممدود هناك، والشجرة الواحدة حضرة النبي يقول فيها:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا } ٢٢٠

يمشي مائة سنة في ظلها، ولا يقطع هذا الظل، ولذلك قال الله: ﴿وَظِلٌّ مَّمدُودٌ﴾ (الواقعة) ممدود على الدوام.

﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾

هناك لا يوجد تعب، فأنت تشتهي التفاح مثلاً، فبمجرد أن يخطر على بالك، تأتي إليك شجرة التفاح وتصل عندك، وتُنزل الفرع في حرك وفيه التفاح لتأخذ ما تريده منها، إذا أكلت واحدة فالأولى غير الثانية، والثانية غير الثالثة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة) ولكن يختلف في الطعم واللذة والكنه، اختلاف غير عادي!! وثمار الجنة ليس لها فضلات، فلا يوجد في الجنة حمامات لقضاء الحاجة، ولا يوجد حاجة أصلاً، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ،

وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ:

جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ } ٢٢١

الفضلات تخرج على هيئة عرق، ولكن رائحته مثل رائحة المسك، ولا يُصاب أحد بالزكام أو بالبرد، ولا أي شيء من ذلك، وأول ما يدخلون الجنة يقولون:

في نور دائماً أبداً، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب (الجامع لأحكام القرآن).

٢٢٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٢٢١ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر) .. ليس فيها حزن ولا مرض ولا هم

ولا غم ولا تعب ولا عناء ولا شيء من هذه الأمور أبداً.

﴿ وَذَلَّلْتَ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾: وَذَلَّلْتَ يَعْنِي هَيْئَتٌ وَسَهَلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا، فَتَأْتِيكَ

بدون تعب ولا عناء، بمجرد أن يُخْطَرُ عَلَى بَالِكَ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ الطَّعَامِ.

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبِئَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾: مِنَ الَّذِي يَطُوفُ

عليهم؟ منهم من تطوف عليهم الملائكة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (١٧) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد) ومنهم من يطوف عليهم ولدان مخلدون، ومنهم من يطوف عليهم الحور العين، وكل واحد على حسب درجته ورتبته وقدره عند رب العالمين تبارك وتعالى.

﴿ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ ﴾: مَعَهُمْ آنِيَةٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَلَكِنْ لَيْسَتْ كَالْفِضَّةِ الَّتِي عِنْدَنَا، سَيَدْنَا

عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وَضَحَّ اللبَسُ الَّذِي يُصِيبُ بَعْضَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهُهَا فَقَالَ: يَصْنَعُ اللَّهُ لِكُلِّ آنِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَنَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ تُجْمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَتُنْتَهِيَ الدُّنْيَا، سَيُجْهَزُ اللَّهُ أَرْضَ الْمَوْقِفِ، وَأَرْضَ الْمَوْقِفِ سَتَكُونُ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَرْضَ الْقِيَامَةِ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَكِنْ غَيْرَ فِضَّتِنَا، فَهَذِهِ الْفِضَّةُ الَّتِي يُصْنَعُ مِنْهَا الْأَكْوَابُ وَالْأَبَارِقُ وَالْقَوَارِيرُ - الزجاج - يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾: يَعْنِي كُلَّ وَاحِدٍ يَشْكِلُوهَا لِهَذِهِ الْأَصْنَافِ كَمَا يَرِيدُ، فَإِذَا

أَرَادَ هَذِهِ الرَّجَاجَةَ شَكَلَهَا كَذَا، يَأْتُونَ لَهَا بِهَا كَمَا يَرِيدُ، وَالثَّانِي يَرِيدُ الرَّجَاجَةَ شَكَلَهَا كَذَا، فَيَأْتُونَ لَهَا بِهَا كَمَا يَرِيدُ، وَالْآنِيَةُ كَذَلِكَ .. فَقَدَرُوهَا تَقْدِيرًا، يَعْنِي يَقْدَرُوهَا كَمَا تَخِيلُ النِّعِيمَ، وَلِتَكْرِمَكَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ الْأَوَانِي وَالْأَكْوَابِ وَالْكَاسَاتِ وَالْقَوَارِيرِ كَمَا فِي خِيَالِكَ، لِمَاذَا؟ جَائِزٌ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا قَدْ رَأَيْتَ شَيْئًا وَأَعْجَبَكَ، فَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُحَقِّقَ لَكَ رَغْبَتَكَ وَيَأْتِيكَ بِالشَّيْءِ الَّذِي كُنْتَ تَتَمَنَّاهُ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُعْوَضَكَ جِزَاءَ صَبْرِكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَطَاعَتِكَ لِحُبِّبِهِ وَمُصْطَفَاهُ، وَعَمَلِكَ بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ.

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ (١٧) وَإِيَّاكَ أَنْ تَظَنَّ أَنَّ الزَّنْجَبِيلَ كَالَّذِي

نَشْرِبُهُ فِي الدُّنْيَا، فَكَمَا قُلْنَا أَنَّ سَيَدْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ذَلِكَ:

{ لا يشبه شي مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء } ٢٢٢ كل ما ذكر عن الجنة بالأسماء مما في الدنيا، فهو يشترك معه في الاسم، لكن ليس على هيئته، اسمه زنجبيل ولكنه غير الذي عندنا، لأن الثاني كما قلنا على الأقل ليس له فضلات، فهل يوجد طعام في الدنيا ليس له فضلات، لكن طعام أهل الجنة ليس له فضلات، فهذا غير هذا تماما، أي شيء في الدنيا يكون له آثار جانبية، فقد يسبب حرقة في الحلق أو غير ذلك، لكن الثاني لا يسبب شيئا كهذا، لكن كله شفاء، وكله غذاء، وكله دواء ممن يقول للشيء كن فيكون.

وسيشربون مع الزنجبيل وهذه الأشكال ماء، ولكن ماء غير ماء الدنيا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾: هناك عين في الجنة اسمها السلسبيل، وأنت داخل على باب الجنة: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَصَاحَتَانِ﴾ (٦٦ الرحمن) ونصاخرتان يعني تُخرج بحساب، فتأتي أنت عندها فتخرج لك أنت فقط ما يكفيك بدون زيادة.

هاتين العينين يقول فيهما سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وكرّم الله وجهه: يشرب المؤمن من العين الأولى فيذهب عنه كل همّ، وكل غمّ، وكل حُزن، وكل ألم كان يشعر به في الدنيا، فيقول: الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، ويشرب من العين الثانية فتظهر عليه نضرة النعيم، أين المياه التي نشرها الآن وتضيع الهم والغم الذي نحن فيه؟! لا يوجد، لكن هذه مياه أخرى، سمّاها الله سلسبيل يعني مُيسرة ومسلسلة وسهلة وتخرج إلى فم الإنسان فيشرها بدون أكواب، وبدون أيد تمتد إليها بقدرة الله تبارك وتعالى.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: هؤلاء الولدان خالدين فيها أبدا، واختلقت أقوال العلماء في الولدان، - ولا نريد أن ندخلكم في هذه المتاهات - لكن هم ولدان لا يموتون، ولا يمرضون، ولا يسقمون، خلقهم الله ﷻ وأوجدهم لخدمة عباده الصالحين في الجنة.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلُؤًا مِّنْ نُورٍ﴾ هؤلاء الأولاد من شدة جمالهم وبهائهم ونورهم يكونون كاللؤلؤ، واللؤلؤ من أعظم الأشياء الثمينة التي يشتريها الأغنياء والأمراء، ولونه أبيض شديد البياض.

٢٢٢ رواه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيره عن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ.

هذا اللؤلؤ إذا صُنِع كعقد لا يظهر جماله، لكن لو وضعناه على سجادة يظهر رونقه ويظهر بهاؤه ويظهر جماله، ولذلك قال الله: ﴿حَسِبْتُمْ لَوْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾ يعني متوزعاً من الجمال الذي هم فيه، والرونق الذي هم عليه، لأنه لن يخدم أحد المؤمنين في الجنة وتبدو عليه كآبة، أو في وجهه غُبوس، بل لا بد أن يكون كل من يأتي يسر البال والقلب.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ ثم يعني هناك، فلو رأيت هناك سترى ملكاً كبيراً يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِّمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرْرِهِ
مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ } ٢٢٣

أدنى المؤمنين منزلةً في الجنة، من ينظر في ملكه عن يمينه ألف عام، وعن يساره ألف عام، رأيت إقطاعيته ما شكلها؟! ولذلك سماها الله: ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

لباس أهل الجنة

وماذا يلبس هؤلاء الذين يدخلون الجنة؟ فليس هناك خياطين، ولا محلات أقمشة، ولا محلات، فماذا يلبسون؟ ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يلبسهم الله لباس التقوى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف) مصانع التقوى الإلهية تصنع لهم ملابس جنانية يلبسونها بأمر رب البرية ﷺ، الناس يأتون في القيامة عرايا، فلا يوجد أحد سيأخذ معه في قبره ملابس ليلبسها عندما يقوم، ولكن يخرج عرياناً، قال ﷺ:

{ يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَاءً عُرَاءً غُرْلًا } ٢٢٤

وانتبه لحديث سيد الناس، فقد قال: (يُخْشَرُ النَّاسُ) وليس نحن، فكيف يكون حالنا؟ بمجرد أن يخرج من القبر يجد ثيابه من الجنة وقد لبسته!، فلن يحتاج أن يرفع الذراع ويلبس ولا يُدخل من الرأس ويلبس، كيف؟

لا تقل كيف هناك؟! لأنها قدرة إلهية.

٢٢٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما
٢٢٤ البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ

ما شكل الثياب؟ أخضر، لأن لون الجنة كله أخضر، فيعرف أهل الموقف أن هذا من أهل الجنة، لأنه يلبس ثياب أهل الجنة، أما العرايا فهم الآخريين ولسنا نحن.

فنحن على الفور الثياب تأتي من الجنة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني تأتي من فوق ونازلة عليك فوراً، ﴿ثِيَابٌ سُندُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ من حرير ومن قطيفة ومن أعلى الأصناف والأنواع، ولكن غير الأنواع الموجودة في الدنيا، سيدنا رسول الله ﷺ وضح الأمر لصحبه الكرام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ أَهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبٌ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادَيْلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا } ٢٢٥

ملا بسنا هذه لو دخلت النار تُحرق، لكن ملابس الجنة أخذت كارت أمان من حضرة الرحمن ﷻ .. ولذلك عندما يجهزوا لنا رحلة إلى جهنم - لنعرف فضل الله علينا - وانظروا للناس الذين كانوا معكم ماذا أصبح شكلهم؟!، ويمررونا على سجون جهنم، هذا سجن سقر، وهذا سجن لظى، وهذا سجن القارعة، وكل سجن له عذاب خاص به، حضرة النبي ﷺ يقول:

{ تَقُولُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ جُزْيًا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لِهَيْبِي } ٢٢٦

فلن تحرق ثيابك، ولكن نورك سيُطفئها!، فثياب الجنة شيء آخر. ﴿وَحُلُوهَا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ كثير من الناس يعتقدون أن الأساور كالتالي يلبسها النساء، والتي يلبسها بعض الشباب غير المنضبطين في زماننا، لكن الأساور هي الأوسمة والنياشين جزاءً للأعمال الصالحة التي عملتها في الدنيا.

إذا مشيت على المنهج القويم، لا بد أن يُنعم عليك الكريم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٦٩ النساء) هذا الإنعام ... غير الجنة، لكن سيأتي على منصة رئيسية في ساحة الموقف العظيم، وينادي على هؤلاء ويأخذون الأوسمة والنياشين من حضرة الكريم ﷻ.

٢٢٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٢٢٦ معجم الطبراني والبيهقي عن يعلي بن منية ﷺ

الشراب الطهور

﴿ وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ وهذا الأحسن من كل النعيم الذي ذكرناه وشرحناه؛ أن الله ﷻ بذاته سيُسقيهم الشراب الطهور، فيأتيه الشراب على فمه بدون كوب، ولا يد تحمله، ولا ساق يسيقيه، فيشرب بها على الدوام، وهناك أناس يشربون هذا الشراب في الدنيا، وهم الصالحون رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

سيدنا إبراهيم ابن آدم ﷺ كان يُصلي إماماً بالناس فقرأ هذه الآيات، وعندما وصل إلى: ﴿ وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ مصمص شفثيه، وبعد أن انتهى الصلاة، فقالوا له: سمعناك تمصمص شفثيك، فهل شربت هذا الشراب؟ قال: والله لو لم أذقه لما تلوت هذه الآية!!، يعني وهو يقرأ الآية أتاه الشراب من الله ﷻ.

والملائكة بعد أن يدخلوا الجنة يقولون لهم: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ هذا جزاؤكم على صبركم، وهذا سعيكم في العمل الصالح، واستباق الخيرات، وعمل القربات، بالافتداء بسيد السادات ﷺ.

هذه جنة واحدة من الجنان التي هيأها لنا الرحمن، لكن كما ذكرت آيات القرآن أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فكل واحد منا سيكون له جنات كثيرة، غير هذه، فهذه نوع من أنواع الجنان، وهذا غير الجنان المعنوية، كالإشراقات الإلهية على القلوب النقية النقية، والتجليات الروحانية على الأرواح المتعلقة برب البرية، أشياء يعجز عنها الخيال ولا تخطر على البال.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل هذا النعيم المقيم، وأن يقدمنا بين يديه في الموقف العظيم لنكون أهلاً للتكريم، وأن يرزقنا في حياتنا الدنيا معونته على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يختم لنا بخاتمة الخير أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يُصاحبون سيد الأولين والآخرين، وأن يجعلنا من الذين يتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْإِذْعَانِ وَتَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شُرُودُ الْمُسْتَطِيرِ ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْنَهُمْ نَصْرًا وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرُونَ فِيهَا

شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِغَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٥﴾
قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلًا ﴿٧﴾
عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿٨﴾ * وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا
وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ
رَهُمَ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ
جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٢﴾ ﴿

(٥-٢٢ الإنسان)

١٣. إشارات في سورة الإنسان^{٢٢٧} نذر الإمام علي والسيدة فاطمة

هذه الآيات القرآنية معناها الظاهر في قصة الإمام عليّ وزوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام عندما مرض نجليهما الحسن والحسين ونذرا لله تعالى إن شفاهما الله تعالى أن يصوما ثلاثة أيام.

والإمام علي عليه السلام الذي زوّجه النبي صلى الله عليه وآله ابنته، ورفض تزويجها لعلية القوم من الوجهاء والأثرياء والأغنياء، كان رجل يعمل باليومية، فلو طلبه أحد لعمل ما، يذهب يشتغل معه سواء من المسلمين أو من اليهود ساكني المدينة.

فأتت يهودية عندها بئر مائها في القاع - أي بعيدة - وتريد رجلاً يُخرج لها الماء، فاستأجرته واتفقت معه أن الدلو بتمرة، وإخراج الدلو الواحد يحتاج إلى مجهود، فأخرج ثلاثين دلواً، وفي آخر اليوم بعد التعب أخذ ثلاثين تمرة، وكان لا يستطيع أكثر من ذلك، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله فتظاهر النبي صلى الله عليه وآله بالجوع تشجيعاً له، وأثنى عليه وأكل من الطعام الذي أحضره.

فلما نذرا لله شُفي الغلامان، وأرادا الصيام، فذهب الإمام علي عليه السلام وعمل، وبأجرة العمل جاء بقدر من الشعير لا يكفي إلا لصنع رغيف واحد، لكي تعلموا كيف جاهد هؤلاء القوم في ذات الله، والسيدة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله كان لها رحاء تطحن به الحبوب، فطحنت الشعير وعجنته وخبزت به رغيفاً واحداً يفطرا به عند المغرب، وقبل المغرب بدقائق سمعا الباب يدق، فقال من؟ قال مسكين يا آل بيت النبي بقي لي يومان لم آكل طعاماً، فقال لها: أعط له الرغيف ونفطر بالماء ونصوم اليوم الثاني.

وفي اليوم الثاني ذهب للعمل وهو صائم وحدث مثل ما حدث في اليوم الأول، قبل المغرب بدقائق أتى لهم رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي بقي لي ثلاثة أيام لم آكل طعاماً،

واليوم الثالث أتى أسير، فعجبت السماء من صنعيهما وضجت ملائكة السماء من فعلهما، فأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

وهناك رواية عن طريق أهل العناية تقول أن هؤلاء الثلاثة ملائكة، جاءوا لاختبارهم لرفع مكانتهم عند الله ﷻ، وهذه إشارات في هذه الآية لأن الله فتحها بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ فأصبحت الآية في الأبرار من وقت نزولها إلى يوم القرار، والأبرار هم الذين برّوا بما عاهدوا الله عليه في يوم الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (١٧٢ الأعراف) فلا يسألون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يتوجهون إلا إلى الله، وإذا توجهوا لأحد من الخلق أو السؤال أو الطلب يعلمون علم اليقين أنه بيد الله، إذا وجَّهه له بالعطاء فالمعطي هو الله، وإذا امتنع فلحكمة يعلمها الله، لا يرون في الكون فعالاً إلا حضرة الله، لأنهم برّوا فيما عاهدوا الله عليه.

شَرَابُ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ

هؤلاء الأبرار ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ كأس الحقيقة ممزوجة بالشرعية، لأن الإنسان لو شرب شراب الحقيقة صافياً خرج عن الأطوار في هذه الدنيا، ولا يستطيع أحد السيطرة عليه مثل (المجازيب) لا يحس بالبرد، أو يمشى عارياً، أو حافياً، أو لا يأكل، أو لا ينام.

ولو شرب الشرعية بدون الحقيقة كما يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: ((علم الفقه وهو أعز العلوم إذا لم يصاحبه عمل، وشيء من الحقيقة، لا يزيد قلب صاحبه إلا قسوة)) وكما ترون قساة القلوب من الذين يقتلون المسلمين، ويفتون لأنفسهم لأنهم أخذوا الشرعية، بدون عمل ولا شيء من الحقيقة، هل تأخذهم بالمسلمين الذين ينطقون بالشهادتين رحمة؟! لا يوجد، ومن لا يرحم لا يرحم.

فيحب على الفرد منا أن يمزج شرابه، فيسقي بطنه من شراب أهل الحقيقة، ويقيم ظاهره على معالم الشرعية، وهذا هو الكمال الذي أمرنا به الواحد المتعال، والذي عليه النبي ﷺ والآل والصالحين والكمّل والأبدال إلى يوم القرار.

{ تَعْسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعْسًا وَاتْتَكَسَ، وَإِذَا شَبَّكَ فَلَا اتْتَقَشَ }^{٢٢٨}

إذا دخلت شوكة في رجله لم يجد ملقاً يأخذها به، لماذا؟ لأنه ترك العبودية لله، لكن متى يكون عبداً لله؟ إذا كان حراً مما سواه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ ما هذا النذر الذي يوفونه هؤلاء القوم؟ هم والذين يدخلون معهم نذر كل منهم أنه وماله وأولاده وزوجته كلهم لله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ (البقرة ١٥٦) أنا وزوجتي وأولادي ومالي كلي لله، أنا لله وزوجتي تساعدني على طاعة الله، ومالي وسيلة أتقرب بها إلى الله، وإبني يعاونني في طاعة الله وإبلاغ رسالة الله.. فنحن جميعاً كلنا لله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ١٥٦) وهو الرجوع المطلوب للجمال والكمال الذي خص به الله ﷻ أهل الوصال.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شُرُوهُ مُسْتَطِيرًا﴾ اليوم الذي يتعدوا عنه، أو الذي يبعده عنهم، يخافون من البعد، وأخوف ما يخاف منه العارفون أن يبعدهم الله عن مقام قربه ومودته طرفة عين ولا أقل.

إشارات الطعام وأكليه

ما جهادهم؟ وماذا يفعلون؟ ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ يطعمون الطعام الإلهي الشهي في مائدة القرآن، وسنة النبي ﷺ، وهذا هو الطعام الحقيقي لأهل الأرواح:

جعنا فاطمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

نريد أن نأكل من هذه الحقائق: ﴿ءَاتِنَا غَدَاءَنَا﴾ (٦٢ الكهف) وهل غذاء الروح أكل وشرب؟!.. يطعموه لمن؟ ﴿مَسْكِينًا﴾ للمسكين الذي سكن قلبه لربه، وأصبح يحس بالافتقار الدائم إليه، والعبودية الكاملة بين يديه، ويشعر أنه لا ملجأ له ولا منجى له ولا معين له ولا وزير له إلا هو ﷻ... ﴿وَيَتِيمًا﴾ اليتيم الذي تجرد ظاهراً وباطناً من كل المقتنيات والأحساب والأنساب الظاهرة، ولم يكن له، ولم يعد له إلا الحبيب الأعظم، وجلالة قدر الله جل في علاه، والذي قال له الله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩ الضحى) هذا

٢٢٨ البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ

الكتاب الفل المصباح نفسنا أيضاً الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

هو اليتيم، وسمي يتيم لأنه جوهرة يتيمة فريدة ليس لها مثيل في حبه لمولاه، وفي قربه من الله، وفي مكانته التي أولاها له الله ﷻ، فاليتيم في هذا الزمان وغير هذا الزمان الذي يُقبل على الله بالكلية، ومهما تُعرض عليه جمالات الدنيا الدنية، أو تلوح له الجمالات الجنانية والأخروية لا يلتفت عن رب البرية طرفة عين ولا أقل، فهذا هل له مثال؟ لا يوجد له مثال.

﴿ وَأَسِيرًا ﴾ والأسير الذي أسره حب مولاه، وأسره جمال الله الذي متع به ﷻ عيناه، وأسره جمال الحبيب ﷺ وخصاله الكريمة التي أشتهى أن يكون على نصيب كبير منها فيتعلق بها وهو في هذه الحياة.

﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ليس للجنة، ولا الأجر، ولا الثواب، ولا الدعاء، ولا المقابل، لكن نطعمكم لوجه الله ﴿ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ وهذه علامات كَمَل الوارثين، وقد قال لنا الله فيهم: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْطَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢١يس)،

وقال الإمام أبو العزائم رحمته: (شيخك الذي يعطيك لا الذي يأخذ منك) يعطيك الأحوال العلية و الأنوار الربانية، ولا يطلب منك شيء في الدنيا الدنية، ولا تملك له عطاء تستطيع أن تصله في الحياة الأخروية، فكل شيء لله: ﴿ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (٧٢يونس) فهي وراثه.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ اليوم الذي يكون فيه عبوس، أي صد أو هجر، فيخافون من الصد والهجر من الله.

﴿ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ والنضرة هي جميل النظر إلى وجه الله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) وسرور باطني بما لاح لهم من جمال الله البهي، لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن ما يشاهد القلب من جمال، ولا يوجد لسان يستطيع أن يعبر عن ذلك، الإمام أبو حامد الغزالي عندما سُئل قال: (فكان ما كان مما تست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر) أشياء لا يصح بها.

وقال الله على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ (١٣ الشعراء) من كثرة ما نزل فيه من الهبات الإلهية والعطاءات الربانية والأنوار القدسية: ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ (١٣ الشعراء) أتكلم مع من؟! الإمام علي عليه السلام قال في ذلك موضحاً: (إن ها هنا لعلوماً جمّة لو أجد

لها حملت) وقال حفيده علي زين العابدين ؑ:

يا رَبِّ جوهر علم لو أبوح به ولاستباح رجال مسلمون دمي
لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا يرون أقبح ما يأتونه حسناً
فهذه علوم لا تتحملها العقول، فهي:

ومن القلوب إلى القلوب شرابي أمن القلوب إلى الفؤاد خطابي

العقل ميزان، فكل شيء تسمعها الأذان يريد أن يزنها، ومن الذي يزن كلام الرحمن؟! أو عطاءات الحنان المنان؟! هذا العقل لا يستطيع ذلك، فهي تحتاج إلى قلب وجنان، أو العقل النوراني، أو القلب الرباني.. هذه هي الأشياء التي تتحمل ذلك.

﴿ وَجَزَلْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً ﴾ صبروا على أمر الله ومراد الله والجهاد في الله فكان

جزاؤهم جنة الرؤيا وجنة الشهود.

﴿ وَحَرِيرًا ﴾ يعني لباس الحرية، فأصبحوا أحراراً من كل ما تعبد به لله أهل الدنيا،

فأصبحوا لهم الحرية الكاملة مع الله ﷻ.

﴿ مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أرائك القرب والشهود في عالم: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا

وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ الدنيا فيها الشمس وفيها الليل وفيها النهار، وهؤلاء تجاوزوا الأملاك

والأفلاك، فهناك لا ليل ولا نهار، ولا صبح يلوح، ولا مساء عند العطية، فلا يوجد صباح، وهذه عوالم خفية يدخلهم الله فيها.

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّنَّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً ﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِعَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ

وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ

مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَدَّدُونَ إِذَا

رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنِيئًا ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ عَلَيْهِمْ نِيَابٌ

سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعُ أَسَاوِرٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿ إِنَّ هَذَا

كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴾ هذه أنواع من العطاءات لا تنكشف إلا للمرأة

القلوب بعد شربها صافي المشروب، وتطهيرها بالكلية من العيوب.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل ذلك، وأن يجعلنا بجمال الأبرار، وأن يكملنا بأحوال

الأخيار، وأن يرزقنا في الدنيا والآخرة معية النبي المختار

الكتاب في الطبوع تفسير آيات القرآن الكريم الشيخ فوزي محمد فوزي

d d

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ

مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُّ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ (المرسلات)

١٤. جزاء المحسنين ٢٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي رَقَّانا في مقامات القرب، حتى صرنا أعلى أمة في الأمم في القرب من الله، والدُّنو من حضرة الله، وفي درجات الجنة في جوار حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّدٍ رافع درجات المؤمنين، وسرُّ قرب كل المقربين، وفتح أبواب الحب لله للطالبيين، ومُفْتِاح أبواب الجنة يوم القيامة للخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بِمَنْكَ وفضلِكَ وجودك يا أرحم الراحمين.

قدَّر الله وهو قدير، أن تكون أحاديثنا معكم في خلال هذه الأيام كلها عن الجنة، وأنتم إن شاء الله أجمعين من أهل الجنة، فضلاً من الله، لأنه لن يدخل الجنة أحد بصلاة وبصيام ولا بأي عمل، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } ٢٣٠

وفي رواية أخرى: { إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلِ } ٢٣١

فدخول الجنة بفضل الله، وبرحمة الله، لكن الدرجات في الجنة بحسب الأعمال الصالحة التي نالت القبول عند الله، وعملائها في هذه الحياة، فبها سيكون التفاضل والتمايز بين المؤمنين.

والجنة فيها درجات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، فالجاهدون في سبيل الله على سبيل المثال يقول فيهم ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

٢٢٩ الأ قصر - إسنا - مسجد البص بالقرايا ٢٩ من جمادي الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

٢٣٠ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢٣١ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

والأرض { ٢٣٢

فهذا للمجاهدين في سبيل الله فقط، فأين التائبين؟! وأين العابدين؟! وأين الحامدين؟! وأين الراكعين الساجدين؟! وأين المتصدقين؟! وأين حجاج بيت رب العالمين؟! وأين الذاكرين؟! وأين قراء كتاب الله؟! وأين غيرهم وغيرهم من أصحاب الأعمال التي لا تعد ولا تحدد؟!، فالدرجات في الجنة لا تُنتهى لها.

مقامات القرب للمؤمنين

لكن ترفيات المؤمن حددها الله ﷻ في أربع مقامات، منهم من يخرج من الدنيا وهو في مقام الإسلام، وهذا مقام طيب والحمد لله، ومنهم من هو أعلى منهم، فيخرج من الدنيا وقد ارتقى إلى مقام الإيمان، ومنهم من هو أرقى منهم فيخرج من الدنيا وقد ارتقى إلى مقام الإحسان، ومنهم من هم خاصة الخاصة من المقربين، وهؤلاء يرتقون إلى مقام الإيقان.

أربع مقامات، يتدرج فيهم المؤمنون بين يدي خالق الأرض والسماوات ﷻ، ولكن كثير من المؤمنين مشغولون، فالكثير منا حريصون على الترقيات في الوظائف الدنيوية، ويسعى إلى ذلك بالشكايات وغيرها، ويذهب هنا وهناك، حتى ينتقل من الدرجة الثالثة مثلاً إلى الدرجة الثانية، وإذا ارتقى إلى الدرجة الثانية، يسعى ليرتقى إلى الدرجة الأولى، ثم بعد ذلك يقول انا أريد درجة مدير عام!!، لأن درجة مدير عام فوق هذه الدرجات كلها، كدرجة الإيقان.

لكن المقامات التي تلقى بها الله لا بد أن تحرص عليها، وترى ما المكانة التي تريد أن تكون عليها يوم القيامة، وهو يوم المباهاة الذي يقول فيه حضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

{ تَكَاثُرُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ٢٣٣

هل يُباهي بالغارقين في الذنوب وكلهم عيوب!! لا، ولكن يُباهي بالذين ارتفعوا وارتفعوا إلى أعلى درجات القرب من حضرة علام الغيوب.

٢٣٢ معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري ﷺ
٢٣٣ رواه الشافعي عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } ٢٣٥

وهذه درجة عالية في طاعة الله ﷻ، فالعبد إن كان نائماً أو ماشياً أو يُصلي أو يعمل أو يتكلم، يرى بداخله بعيون القلب، ويشعر أن الله يطلع عليه ويراه، ويعلم حركاته الظاهرة، وخطراته الباطنة: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١١٨ الحاقة) والذي يصل إلى هذا المقام، نسميه على الفور من الصالحين، ويدخل في مقامات الصالحين.

في ظلال وعيون

أين هؤلاء المتقين؟

﴿ فِي ظِلِّهِ وَعُيُونٍ ﴾ :

يعيشون في الجنة في الظل الممدود، الذي مدَّ به الله ﷻ الجنة لتسع هؤلاء مهما كان جمعهم، لأنه ظلٌّ بغير حدود فهو ممدود من حضرة المعبود تبارك وتعالى.

وتحتهم عيونٌ، وماذا في هذه العيون؟ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١٥ محمد) والعجب العجائب، أنه ليس لكل نهر من هذه الأنهار مجرى مستقل، بل كلهم في مجرى واحد، ولكن بأمر الواحد لا يختلط أحدهم بالآخر!!.

تريد أن تشرب من العسل يخرج لك العسل، تريد أن تشرب من الماء يخرج لك الماء، تريد أن تشرب من اللبن يخرج لك اللبن، وكله في مجرى واحد ولكن يحفظهم من الاختلاط الواحد ﷻ.

﴿ فِيهَا أَنهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ (١٥ محمد) وآسن يعني ليس به عطن وليس له رائحة، ﴿ وَأَنهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ (١٥ محمد) لا يفسد، ويظل طازجاً على الدوام: ﴿ وَأَنهَرٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ (١٥ محمد) غير خمر الدنيا، يقول فيها الله: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٤٧ الصافات) يعني لا تغتال ولا تُغيب العقول.

فلماذا حرّم الله الخمر في الدنيا؟ لأنها تُغيّب العقل، وعندما يغيب عقل الإنسان يتصرف تصرفات هوجاء بدون أن يشعر بذلك، وعندما يفيق يتأسف ويندم عليها!!.

ومثلها الأشياء التي انتشرت في زماننا، فآفة الآفات والبلاء العظيم الذي حلّ في بلادنا، المخدرات والمسكرات بكل أنواعها، ولا مناص لنا إن أردنا أن يُصلح الله أحوالنا إلا أن نُنهى على المخدرات بالكلية.

فمعظم حوادث الطُرق سببها المخدرات، ومعظم حوادث البيوت سببها المخدرات، يأتي الولد سكران، فإذا كلّمته أمه لا مانع أن يضربها، ولا مانع أن يقتلها!!.

هل سمعنا على مدي الزمان الذي عشناه أن رجلاً يذبح زوجته، ويذبح أولاده!!؟ وليس واحد فقط، بل تكرر هذا الأمر في الأيام الماضية، وكل هذا بسبب تعاطي المخدرات التي ضيقت العقل، فأصبح لا يدري ماذا يفعل!!.

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل الإسلام حرّم على نفسه الخمر، فسألوه بعد أن أسلم: لماذا حرمت على نفسك الخمر قبل الإسلام؟! قال: إني لا أحب أن يغيب عقلي، فأفعل ما لا أرضاه عندما يرجع إليّ صوابي.

ومعذرة في العبارة، هل يوجد إنسان بكامل عقله يرضى أن ينام مع ابنته؟! لا، لكن هذا يحدث ممن يتعاطى المخدرات والخمر والمسكرات!!.

فإذا ذُكرت الخمر في القرآن عن الجنة، فليس لها علاقة بخمر الدنيا لأن الله يقول فيها: ﴿ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾ (٢٣ الطور) ..

يعني لا تغتال العقول، وليس فيها إثم، لأن الإنسان محفوظٌ ولن يفعل ذنباً ولا إثماً يُغضب الله تعالى.

كل هذه الأهمار في الجنة ستجري من تحتهم: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٥ الفتح) ولا يوجد أحدٌ من أهل الجنة سيذهب للنهر ومعه كوب ليملاه ويشرب، لكن بقدرة القادر إذا اشتهدت نفسه العسل، يخرج له العسل إلى فمه ويشربه بدون تعب ولا عناء.

ولا تقل كيف!!؟ فليس هناك شيء اسمه كيف، فإنها قدرة الله تعالى، فلا تذهب، ولا

كوب يُملاً، لكنها تخرج مباشرةً لك، لأن كل شيء في الجنة يُليي طلبات المؤمن بمجرد أن يخطر الشيء على البال، فكل شيء في الجنة عنده بصيرة نورانية إلهية.

فواكه الجنة

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ لماذا الفواكه؟ أعظم غذاء للإنسان في الدنيا وفي الجنان الفاكهة، فعندما يمرض الإنسان ويمنعه عنه الأكل، ويبدأ بعد ذلك يأكل، فالطبيب يأمره بأكل الفاكهة لأنها خفيفة ولطيفة وفيها كل العناصر الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان. ولذلك أعطانا الله مؤشراً في القرآن لا يفقهه إلا الصالحين، فيقول: ﴿ وَفَلِكِهَاتٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ﴿ وَحَمِيطَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة) أحسن أنواع اللحوم لحم الطير، لكن الله ذكر الفاكهة أولاً لأنها أفضل.

وهناك إعجاز آخر: ﴿ وَفَلِكِهَاتٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (الواقعة) يعني أنت تختار من الفاكهة ما يعجبك، لكن إذا وضع أمامك أي طعام آخر فتأكل مما يليك كما قال حضرة النبي للغلام:

{ يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ } ٢٣٦

وهذا في كل الطعام، لكن الفاكهة أختار، فإذا قدموا أمامي مثلاً بلح، فلي حرية الاختيار، وهذه هي السنة عن حضرة النبي ﷺ.

فالفاكهة مقدمة على كل الأطعمة في الحلاوة والطعم والقيمة الغذائية، وما تفعله في البطون والأجساد الإنسانية، ولذلك كان معظم الصالحين يعيشون على الفاكهة فقط.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان يأكل الفاكهة، وكان يُوصي أولاده بذلك، وذات مرة تعجبوا، فأراد أن يُقدم لهم مثلاً يذهب عنهم هذا العجب، فقال لهم: هاتوا برتقالة وتفاحة، وألقوهم للكلب، فاقترب منهم الكلب ورجع ولم يأكلهم!، فقال: هاتوا قطعة لحم، وألقوها للكلب، فتجمعت الكلاب وتقاتلوا على قطعة اللحم!!، فقال لهم: الفاكهة طعام العارفين.

الصالحون لا يأكلون إلا الفاكهة لأنها تُعطي الجسم كل ما يحتاج إليه، وتجعل البطن خالياً من الأرياح التي تُفسد الوضوء، وتُبطل الطهارة أمام رب العالمين ﷻ، فيظل الإنسان متوضئاً لفترة طويلة، لكن إذا أكل لحمًا فبمجرد أن يتفاعل اللحم فعلى الفور تريد البطن أن تُخرج!!.

الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله تبارك وتعالى عليه، وكان من الأولياء العلماء، أعطانا مثلاً عجبياً، فيقول: لماذا يتعافى الإنسان مما يخرج منه؟! ولا يريد أن يشم رائحته، ولا يذهب إليه، مع أننا نذهب لما يخرج من الحيوانات ونجمعه ونجففه ليتم استخدامه في أغراض مختلفة، فقالوا له: لماذا؟ قال: الإنسان يأكل لحوم، وبروتينات هذه اللحوم هي التي تسبب الغازات والروائح الكريهة التي تخرج في الفضلات.

الحيوان يأكل نباتات، والنباتات لا تصنع غازات ولا رائحة في الفضلات، لذلك تجد فضلات الحيوانات ليس لها لا رائحة كريهة، ولا شيء من هذا القبيل.

فأفضل شيء للإنسان إذا أراد أن يكون في عبادة مستمرة لطاعة الرحمن:

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ وقال (مما يشتهون) لأن كل شيء موجود، فكل ما يخاطر

على بالك وتتمناه موجود.

لكننا في الدنيا (فواكه مما يجدون) آكل الموجود في السوق فقط، لكن الجنة كل شيء متوفر فيها في أي وقت، لأن الله ﷻ جعل كل شيء فيها خالداً أبداً.

وطعام الجنة غير طعام الدنيا، طعام الدنيا قال لنا فيه الله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف ٣١) لكي تظلوا طبيين وصحتكم جيدة على الدوام، فإياك أن تملأ البطن، وإياك أن تأكل وأنت شبان، لأن معظم الأمراض سببها الأكل الكثير الزائد عن الحاجة، والأجهزة الداخلية تحاول أن تعمل فتجد زحاما شديداً من الطعام، فماذا تفعل؟! لذلك تارة تجد هذا الجهاز يُجهد، وتارة هذا الجهاز يُعطّل، من كثرة الهضم!! لكن إذا أعطيت الجسم ما يحتاجه فقط سيظل مستريحاً، وأظن أنا مستريحاً على الدوام، فلا أشكو من شيء في بطني، ولا أشكو من كليتي، ولا أشكو من أي جزء من الأجزاء، لأنني آخذ ما يحتاج إليه الجسم فقط، وهذا يحتاج إلى الحكمة العالية التي ربانا عليها رسول الله ﷺ:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف).

ولذلك أحد الأوربيين سأل الشيخ محمد عبده رحمة الله تبارك وتعالى عليه، فقال له: هل ذكر الطب في القرآن؟ فقال له: القرآن جمع الطب كله في كلمتين اثنتين . فقال له: وما هما؟ قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ فقال له: صدقت.

لكن في الجنة: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً بدون خوف، فستتهئى وسيمري عليك، وليس في الجنة سقم ولا مرض ولا ألم، لأن كل الذي فيها جمال في جمال من جمال الواحد المتعال ﷻ.﴾

نعيم المحسنين

﴿ إِنَّا كَذَّبْنَاكَ بِمَا كُنتَ تَمَّعُنَا ﴾ :

ذكر الله بعض النعم الظاهرة في الجنة للمحسنين، لكن النعم القلبية، والنعم الروحية، والنعم المعنوية لعلو رتبها وشأنها تركها، ولا يُطلع عليها إلا أهلها، تنزيراً من رب العالمين إلى قلوبهم مباشرة.

النعم القلبي الذي سيتمتعون به، والنعم من الأنوار والتجليات الإلهية التي سيتمتعوا بها، هذا شيء لا تتحمله العقول، ولا يُباح ولا يُلاح إلا لأهله مباشرة من حضرة المنعم الفتح ﷻ، لكن بشرنا حضرة النبي وقال:

{ إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِّمَن يَنْظُرُ إِلَىٰ جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَتَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرْرِهِ
مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ { ٢٣٧

أدنى المؤمنين درجةً في الجنة مَنْ ينظر عن يمينه مسيرة ألف عام، وينظر عن يساره مسيرة ألف عام، فإذا مشى الإنسان سنة واحدة، فماذا يقطع من الوقت؟! كان أهلونا يقطعون من مصر إلى الحجاز للحج في شهرين أو ثلاثة مشياً على الأقدام، ..

لكن لو مشى سنة، فكم يقطع؟!..

فانظر إلى مملكة أدنى رجل في الجنة، عن يمينه عندما ينظر كسفر ألف سنة مشياً، وعن يساره كمن يمشي ألف سنة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤ الجمعة).

ثم ذكر الله ﷻ الآخريين لشكر الله ونحمد الله على عطاياه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٥٤) والويل كما ورد بالأثر: (الويل واد في جهنم تستجير من عذابه جهنم كلها) يعني أشد العذاب، فهؤلاء سيذهبون هناك.

وأيضاً سيأكلون: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ (٤١) وأول ما يدخلون جهنم: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ (١٥ محمد).

فأنت عندما تنزل أرض الموقف يأتيك كأس من حوض الكوثر على الفور، فتظل خمسين ألف سنة بلا عطش ولا ظمأ:

{ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا } ٢٣٨

ولكن الآخريين: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥ محمد) وماذا يأكلون؟ الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ (الدخان) حفظنا الحفيظ ﷻ.

لأنهم كانوا في الدنيا يأكلون كما تأكل الأنعام، ولا يشكرون المنعم على هذه النعم، ولذلك قال الله في الكافرين كلهم، حتى من يسكن منهم في فندق سبعة نجوم، ويأكل في مطعم هيئته كذا، فلا تغرنك هذه الأمور: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢ محمد).

هؤلاء كالأنعام، وعاد الله مرة أخرى وذكر أن الأنعام أفضل منهم: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤ الفرقان) أضل من الأنعام، لأن الأنعام تذكر الله، والأنعام تتوكل على الله، ولذلك يُسخرن الله لِنُطْعَمِهَا ونسقيها وننقق عليها!.

فأنت تبحث من بداية الموسم عن وسيلة لإطعام الجاموسة التي معك، فتبحث عن قطعة أرض، وتزرع لها فيها برسيم، وأنت الذي تأتي لها به، ولو مرضت ذات يوم فلا تنام!!،

لماذا؟ لأنها توكلت على الله ﷻ.

فهؤلاء أضل من الأنعام لأنهم كفروا بنعمة المنعم التي يتمتعون بها على الدوام.

﴿ وَيَلَّيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ :

كرر الله هذه الآية ثلاث مرات لكمال الإثبات، لكي لا تظن أنهم في يوم من الأيام سيأخذون عفواً.

حكمة الركوع

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ :

هذه الآية نزلت على سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان يدعو العرب إلى الإسلام، وكان هناك قبيلة من القبائل العنات الكبار، وتملك مدينة كبيرة في الجزيرة العربية اسمها قبيلة تقيف في الطائف، فجاءوا له، وأنزلهم المسجد ليكون أرقاً لقلوبهم، فاشتروا عليه أن لا يُحشروا، ولا يُعشروا، ولا يُجَبُّوا، فقال رسول الله ﷺ:

{ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ } ٢٣٩

(ولا يُجَبُّوا) يعني لا يريدون الركوع، يعني نُصلي ونحن واقفون بلا ركوع ولا سجود، ولذلك قال لهم الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ :

لا يريدون الركوع كبراً وعظمة، فهم يظنون أن الركوع والسجود لإنسان، لكن الركوع والسجود لحضرة الرحمن، وحضرة النبي ﷺ علم أصحابه، وعلمنا أن لا نخضع بركوع ولا سجود... إلا لحضرة الواحد الأحد.

أرسل أحدهم إلى ملك الروم في بلاد الشام، وكان هناك حرس على باب الملك يطلبون من كل من أراد الدخول أن يسجد أمام الملك، فقال لهم: لا أسجد إلا لله، فاحتاروا، وهذا رسول قادم ولا بد أن يُبلِّغ الرسالة، فجاءوا بنجارين وصنعوا باباً قصيراً بحيث من يدخل منه لا بد أن ينحني!، لكن الرجل المسلم لأنه سمع قول الله تعالى:

٢٣٩ مسند أحمد وأبي داود عن عثمان بن أبي العاص ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿١٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا
﴿١٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿١٨﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿١٩﴾
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ﴿٢٠﴾ جَزَاءً مِّنْ
رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٢١﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ
خِطَابًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا
لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ
صَوَابًا ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ
إِلَىٰ رَبِّهِ مَفَابًا ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ (النبا)

{ جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ،
وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا } ٢٤٤

جنتان من ذهبٍ أنيتهما وأكوابهما وقصورهما وجنات، وجنتان من فضة أنيتهما وأكوابهما وقصورهما، وهذا أقل نصيب لحبيب لرب العباد، وحبيب لسيد الأعبة ﷺ.

الجنة التي معنا اليوم عندما نراها نجدها غير وصف الجنة التي في سورة الدهر، لكي نعرف أن كل جنة لها أنواع النعيم وأصناف التكريم التي أودعها فيها المولى الكريم ﷻ.

وصف التقوى

هذه الجنة لمن؟ ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ هي للمتقين، والتقوى فيها كلامٌ كثيرٌ للعلماء العاملين، والصحابة المباركين، والسادة الصالحين، سيدنا الإمام علي قال فيها: (التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) هذا وصف وصفه الإمام علي، وكل واحد يصف على قدره بما علمه ربه ﷻ: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (١٦٤ الصافات).

لكن الكلمة الجامعة للتقوى هي خشية الله وتقواه، فلان رجل تقي، يعني دائماً مستحضر عظمة الله، ويرى أن الله ﷻ يطلع عليه ويراه، فإذا نطق يعلم أن أول سامع لكلماته هو حضرة الله، وإذا تحرك أي حركة بجوارحه يعلم أن أول من يراه هو مولاه، وإذا حتى خطر خطرةً في سويداء قلبه يعلم أن الله يعلم السر وأخفى، حتى ما بداخل القلب يطلع عليه الله ﷻ.

ومن كان هذا حاله سيصلح الله أعماله، وسيحسن الله ﷻ أحواله، وحتى لو وقع في ذنب في مرة من المرات سيذكره ويفكره ويفتح له باب التوبة ليرجع ويتوب: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١ الأعراف).

فلا يكابر ويظل في عمل الذنوب، ولا يعاند، لأنه سيعاند نفسه، وإنما يرجع فوراً تائباً نادماً لحضرة علام الغيوب ﷻ.

الذي يتصف بهذا الوصف يراقب الله ويخشاه، ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، فهذا سيكون له نجاة وفوز ورضا من الله يوم لقاء الله: ﴿مَفَازًا﴾ يعني نجاةً ومنجاةً وفوزاً عند الله.

حدائق الجنة

هذا ماذا سيكون له؟ ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ والحدائق كما نعرف هي البساتين، هذه البساتين التي في الجنة من الذي يزرعها؟ خدم الجنة من الملائكة المقيمين، وأشجار هذه البساتين من أي مشتل يأتون بها؟ من عمك الصالح!

فأشجار الجنة هي التسيحات والتحميدات والتهليلات والتكبيرات والأذكار التي تذكر بها الله، فكل ذكر تذكر به مولاك يتحوّل إلى شجرة تُزرع لك في الجنة، قال ﷺ:

{ مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيَحْمَدُوهُ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ } ٢٤٥

فهذه تقاوي النخل، ماذا يقول صاحبها؟ سبحان الله العظيم وبحمده، فإذا قالها في يوم مائة مرة، فكم نخلة تُزرع له؟ مائة نخلة.

النخلة عندنا هنا يستغرق كم سنة إلى أن يُنتج الثمر؟ حوالي خمس سنوات تقريباً، وكم مرة يُنتج في السنة؟ هي مرة واحدة، لكن أشجار الجنة تُنتج في الوقت والحين: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٢٥ إبراهيم).

الملائكة تحصد، فيرجع المحصول مرة ثانية المحصول في الوقت والحال، بغير تسميد ولا رش ولا شيء من ذلك، وسيدنا رسول الله ﷺ أراه الله حدائقنا في الجنة في ليلة الإسراء والمعراج لكي يطمئننا، فدخل الجنة ورأى مزارعنا التي في الجنة، ووجد الملائكة يحصدون، وكلما حصدوا يرجع كما كان، وهذا كله يتحوّل إلى رصيد صاحبه في بنك حضرة الرحمن ﷺ!، فأنت عندما تقول (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) فكيف يكون قدر ما جنيته حتى يأتي يوم القيامة؟! ثمارٌ طيبة من هذه النخلة المباركة، لأنهم كلما حصدوا يرجع كما كان، فيأخذوه ويحولوه إلى رصيد في بنك الحميد المجيد ﷺ، فقال:

٢٤٥ جامع الترمذي وابن حبان عن جابر ﷺ

{ يَا جَبْرِيْلُ، مَا هَذَا؟ } قَالَ: هُوَ لِأَجْلِ الْمُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ { ٢٤٦

يعني يُنفق بماله، أو يُنفق بلسانه، أو يُنفق بوقته، المهم أنه يُحوّل وقته وكلامه وأمواله كلها لله ﷻ... فهذه حدائق الجنة، لأن الجنة ليس فيها محلات بذور، ولا جمعية تعاونية زراعية، فمن أين يأتي الزرع؟ من التسييحات والتحميدات وكل الأذكار التي نذكر الله ﷻ بها في كل الأوقات.

ولذلك الأشجار التي في الجنة لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، بصرف النظر عن ثمارها، فإنها تستمر في ذكر الله على الدوام، وهذا الذكر يتحول لصاحبها، فانظر إلى ما تأخذ من أشجار الجنة؟ تأخذ الثمار، وتأخذ الأذكار التي توالياها للعزير الغفار ﷻ.

وأشجار تُسبِح ناطقات لمن عرف الحقيقة بالبيان

﴿ حَدَائِقُ وَأَعْنَبًا ﴾ الله ﷻ من عليّ كبريائه، وجلال قدرته يتنزّل لعباده المؤمنين، فرأى أن العرب وغيرهم كانوا يحبون العنب عن الفواكه الأخرى، فذكره لهم مع أن العنب من جملة الحدائق، لكنه ذكره وحده لأنه يعرف أنهم يحبونه، وحتى لا يسألوا: هل في الجنة عنب أم لا؟ فقال لهم: ﴿ وَأَعْنَبًا ﴾... وماذا فيها أيضاً: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ الكواعب هي البنات الحديثات السن البالغات من قريب، ولا يزال ثديها مُكَوَّر، ولم يتدلى بسبب الولادة والرضاعة.

وأتراباً يعني في سنٍ واحدة، لأننا كلنا سنكون في سن الثلاث والثلاثين، ونساء الجنة كما ورد لا يحضن ولا يمرضن ولا يسقمن، وتجدهن في كل مرة بكراً: ﴿ إِنَّا أَذْشَأْنُهُنَّ إِذْشَاءً ﴾ ﴿ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ ﴿ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴾ (الواقعة)

وعُرباً يعني جميلة، تراها هذه المرة غيرها بعد لحظة، غير اللحظة التي بعدها، وهذا غير الدنيا التي قد يمل الإنسان فيها من زوجته، لكن نساء الجنة في كل لحظة لها جمالٌ جديد تُكسى به من عند الحميد المجيد تبارك وتعالى.

بين الحور العين والزوجة الصالحة

من الذي سيكون أعلى في المقام؛ الحور العين اللاتي نتخيلهن أم الزوجة الصالحة؟ الزوجة الصالحة، وإياكم أن يحزن أحد من هذا!!، لأن أحد السادة العلماء كان يشرح هذه الآية، فأحد الحاضرين قال له: حرام عليك يا شيخ هي هنا وهناك!!، لأنه لا يعرف هذه الحقائق التي نقولها الآن.

فالزوجة الصالحة ستكون صورة أخرى، وستكون بديعة الحُسن والجمال، وكل مرة تراها تجدد جمالاً لا يخطر لك على بال، ولا تتخيله بخيال، فهي ستكون سيدة القصور، والحور العين خدمها وتحت أمرها.

فالزوجة الصالحة ستكون سيدة القصور هنا وهناك، لأنها كانت زوجةً صالحةً في الدنيا، فجعلها الله ﷻ في مقام: ﴿ مُسَاهِلَتِ مُؤْمِنَتٍ قَلْبَتِ تَتَبَّعَتِ عِبْدَاتٍ سَبَّحَتِ تَبَّيَّتِ وَأَبْكَارًا ﴾ (التحريم) وهذا مقام عالي أعطاه الله للصالحات من المؤمنات.

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ أي مشروب كنت تتمناه في الدنيا بمجرد أن يخطر على بالك هذا المشروب، يأتيك كأس مملوء - فدهاقاً يعني مملوء - من المشروب الذي كنت تتمنى أن تشربه في حياتك الدنيا، وطبعاً يختلف بالكلية عن كل خصائص مشاريب الدنيا.

وفي كل مرة تشربه تجده بطعم آخر، ونكهة أخرى غير الأولى، وغير الثانية، وغير الثالثة، وغير الرابعة، وهذا من قدرة القادر ﷻ.

مجالس أهل الجنة

هل أهل الجنة كل واحد منهم في مزرعته وحدائقه الخاصة جالس مع الحور فقط؟! لا، بل نزور بعضنا هناك، والزيارات تتعدد، فمننا من يزور إخوانه من المؤمنين الذين كانوا معه في الدنيا، وهي مرتبة من المراتب، ويجلس معهم، ويتذكرون ما كانوا يعملونه في الدنيا، ولكن شرط حديثهم: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا بَأً ﴾ ليس فيها لغو، واللغو الكلام الذي لا ينعف ولا يضُر.

الكلام الذي يضُر يتحرر ضد قائله محضراً، ويتحول للقضاء الإلهي ليحكم فيه،

يعني لو قلت كلمة في حق إنسان أو في حق إنسانة، فإن لم يساعني سأعرض على المحكمة، لكن اللغو كأن نتكلم في السياسة وغيرها، وهذا الكلام لن ينفعني ولن يضرني.

والمؤمن ليس عنده وقت يتفرغ فيه لذلك، لأن الله قال للمؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لبيك اللهم لبيك: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١ الأحراب) فمن منا يستطيع أن يعمل بهذه الآية؟! هل يوجد أحد يستطيع أن يذكر الله الذكر الكثير؟! لا !! نريد أن نذكر الله على الدوام، فأَي وقت فرغت فيه أذكر الله، لماذا؟ قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ،
لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } ٢٤٧

يظل يؤنب نفسه هناك، ويقول: لماذا كنت غافلاً في هذه اللحظة؟! لماذا لم أستغل هذه اللحظات في ذكر الله والتسبيح والتحميد والتمجيد لله جل في علاه؟! ولكن لا ينفع الندم في ذلك اليوم.

من له في الجنة مزيد من الحميد المجيد، يقول: لماذا لم أستزد من ذكر الله؟! والذي قصر يقول: لماذا قصرت؟! وما الذي شغلني عن ذكر الله?!

وذكر الله العبادة الوحيدة التي يقبلها الله منك في كل الأحوال، لا تحتاج لمسجد، ولا تحتاج اتجاه للقبلة، ولا تحتاج حتى لطهارة، أنت ماشي أو راكب أو نائم، ما الذي يمنحك عن ذكر الله وتعمل بقول الله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران)، نفرض أنك على جنابة، فأنت ممنوع من الصلاة، وممنوع من تلاوة القرآن، لكن لست ممنوعاً من ذكر الله!، فهل يوجد عُذر للإنسان؟! حتى الجُنُب قد ينتظر حتى الفجر ليغتسل ويصلي الفجر، لكن لا تغفل عن ذكر الله، فليس هناك عُذرٌ في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل.

فلا يوجد في الجنة لغوٌ ولا كذب ولا زور وبهتان ولا غيبة ولا نيممة ولا سب ولا شتم ولا لعن ولا أي قول يسبب أذى للآخرين، لأن أهل الجنة أهل نعيم، ولا يسمح الله لأحد أن يُكدر هذا النعيم.

٢٤٧ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

ولذلك الصالحون يقولون: عندما نجلس في مجالس العلم، أو مجالس الذكر، أو مجالس القرآن، أو مجالس الأحباب، نتذكر الجنة، ونحرم على أنفسنا الذي حرّمه الله علينا في الجنة.

إذا اجتمعنا مع بعضنا لنقرأ كتاب الله، أو لنذكر الله، أو لنسمع درس علم، فهل نجلس ونقول: إن فلان كذا، وفلان كذا؟! نكون بذلك قد ضيعنا ما عملناه، لكن مجالسنا كلها مجالس وصفها وصف الجنة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾.

فنحن نتزاور مع بعضنا، منا من يكون له تزاور مع الصالحين الذين قابلهم وكذا السابقين، ومنا من يكون له تزاور مع الصحابة المباركين، ومنا من يكون له تزاور مع أمير الأنبياء والمرسلين، فيذهب ليزوره ويُسلم عليه ويُقبل يديه، ويجلس بين يديه ليلمع بجمال الله الذي تجلى فيه.

ومنا من يكون له تزاور مع جمال الله، وكمال الله جل في علاه، وورد الأثر أن أقل المؤمنين يُسمح له بزيارة رب العالمين كمثل السنة مرتين لأن الجنة ليس فيها سنة ولا شهر ولا يوم، ومن المؤمنين من يُسمح لهم بالزيارة ككل شهر، وهناك من يُسمح لهم بالزيارة ككل أسبوع، وهناك من يُسمح لهم بالزيارة ككل يوم، ويؤيد تفاوت المؤمنين في الرؤية قوله ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَتَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرْرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ }^{٢٤٨}

والزيارة كيف يأتي فيها الإذن؟ حضرة النبي علمه لنا، فيجد رسالة قادمة من ملك الملوك مكتوبٌ فيها كما ورد بالأثر: (من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشتقت لرؤياك فتعالى لتزورني).

فأنت لن تموت أيضاً، لأنك أخذت صفة الخلود، فالجنة كلها تزاور، وفيها مجالس علم، ولكنه علم لا يجوز أن نقول منه شيئاً هنا في الدنيا، لأن العقول لن تستسيغه، والقلوب لن تتحملة، لأنه كله علم في حضرة الذات، وفي التجليات، وفي الكمالات التي

٢٤٨ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

يكمل الله بها أهل الولاية الحققة في الجنات بإشراف سيد السادات ﷺ.

﴿ جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ كل هذا جزاء للأعمال الصالحة التي عملها

الإنسان في دنياه.

موقف من يوم القيامة

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ أَخَذْنَا

ليوم القيامة الذي كلنا من البدء إلى الختام سنحضر فيه، وعندما يجتمع البشر جميعا فيه، وستكون الأحوال ظاهرة وواضحة، كل الأعمال التي يعملها الإنسان وفي باله له نية لا يراها أحد، ستظهر النوايا هناك، وتظهر حقيقة هذه الأعمال هناك، أرض القيامة سيجهزها الله ﷻ لتسع الخلق جميعاً، ويتراصوا في صفوف، الملائكة في صفوف، وبني آدم في صفوف، وصفوف أمم الأنبياء والمرسلين عددهم مائة وعشرون صفّاً، ولكنها صفوف لا حد لها على مد البصر، ونحن بفضل الله وبركة رسول الله ﷺ بشرنا وقال لنا:

﴿ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً صَفٌّ أَنتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا ﴾ ٢٤٩

نحن موفون ثمانين صفّاً من مائة وعشرين صفّاً، ونحن أكملها وأتمها عند الله ﷻ، لأن هناك بعض الأنبياء صفّه ليس فيه إلا رجل واحد: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٦ النازيات) وبعض الأنبياء صفه به نفرٌ قليل، لكننا أمة رسول الله عدد صفوفنا ثمانين صفّاً من مائة وعشرون صفّاً جملة صفوف الأنبياء والمرسلين يوم القيامة.

وفي هذا اليوم كل كلام الأنبياء والمرسلين والمقربين والصالحين: يا رب سلّم، قال ﷺ:

﴿ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ﴾ ٢٥٠

سلّمنا من هذا الهم الذي نراه، لأن أهوال القيامة أهوالٌ شديدة يكفي فيها قول الله: ﴿ يَوْمًا سَجَعُ الْوَالِدَانِ شِيبًا ﴾ (١٧ المزمل) من شدة الأهوال الطفل الصغير سيثيب:

٢٤٩ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٥٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ ﴾ (الواقعة)

فالكل عندما يرى أهوال القيامة يقول: يا رب سلِّم سلِّم، والملائكة أنفسهم يقولون: يا رب سلِّم.

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ ﴾ وذكر الرحمن لأنه سيأتي قول الله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٥٥طه) سيستوي على عرش رحمانيته تبارك وتعالى.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ من الذي يتكلم؟ الذي أخذ من الله إذن، يعني سيكون له شفاعة، فالله يُعطيهِ تصريح على يد النبي ﷺ بالشفاعة.

المأذونون بالشفاعة

ولذلك الملائكة ليس لهم شفاعة، فلا يتكلمون:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾

بما فيهم الروح وهو سيدنا جبريل، لن يتكلم هناك.

﴿ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ من الذي أذن له الرحمن؟

سيدنا رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشفع لنا إلى ربِّك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويُلهمني محامد أحمدته بها، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفعُ تُشفع، فأقول: يا رب، أمّتي أمّتي }^{٢٥١}

٢٥١ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

يبحث الناس في أهوال الموقف، من الذي يُنقذهم من هذا المقام، يقول ﷺ:

{ إِنَّ الْكَافِرَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : أُرْحِنِي ، وَلَوْ إِلَى النَّارِ } ٢٥٢

يتمنى الناس الخروج من الموقف ولو إلى جهنم، من شدة الأهوال التي هم فيها، جو شديد الحرارة، والبعض يصل عرقه إلى وسطه، والبعض إلى صدره، والبعض يغرق في عرقه، ولا توجد مياه ليشربوا، واللسان يتدلى ولا أحد يسقيه، وكل هذه الأمور للآخرين، لكن نحن أمة رسول الله ليس لنا شأن بهذه الأمور كلها، ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فعندما يخرج الواحد منا من قبره يجد من يأتيه بكأس من حوض كوثر رسول الله ويقول له: اشرب، فيشرب ولا يظمأ بعده أبداً، منهم من تُسقيه الملائكة، ومنهم من يأتي له بالكأس بعض الصالحين، ومنهم من يأتي له بالكأس بعض الصحابة المباركين، ومنهم من لا يشرب إلا من يد سيد الأولين والآخرين، وهذا للذين يدعون الله ويقولون: (واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً) فيمكثون خمسين ألف سنة أو غيرها بلا عطش.

ومنهم من يجلس تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، جالسين في المقصورة الإلهية يشاهدون أهل الموقف، ومنهم من يخرجون من القبور إلى القصور، ويجلس في شرفات قصره يشاهد: ﴿ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ ١٢٦ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٢٧﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿١٢٨﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿١٢٩﴾ (المطففين).

فيذهب الناس من شدة أهوال الموقف لأبو البشر آدم، فيقول: أنا أذنبت ذنباً خرجت به من الجنة، وأستحي أن أتكلم مع الله بسبب هذا الذنب، ويقول لهم: اذهبوا إلى نوح، فيذهبون لنوح^{٢٥٣}، فيقول لهم: أنا لا أستطيع أن أتكلم مع الله بعد أن دعوت على قومي كلهم وقلت: يا رب خذهم كلهم وكذلك ذريتهم القادمة: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ١٢٨ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴿١٢٩﴾ (نوح) ما شأنك بمن يخرج من أصلاهم؟! ادعو على الموجودين، أما ذريتهم القادمة لا شأن

٢٥٢ صحيح ابن حبان ومسنند أبي يعلى عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٢٥٣ المعاني من حديث الشفاعة الطويل والذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رﷺ ولا داعي لذكره لشهرته.

لك بهم، لكن انظر إلى الذكي والفظن سيد الأولين والآخريين ﷺ، قيل له: ... ادع عليهم يا رسول الله، فقال:

{ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْنَابِهِمْ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } ٢٥٤

وقد حدث، وهذا الفارق بين هذا وهذا، فيقول لهم نوح: اذهبوا إلى إبراهيم، فيذهبون إلى سيدنا إبراهيم، ويقولون له: اشفع لنا لنخرج من أرض القيامة، فيقول سيدنا إبراهيم: لست لها، اذهبوا إلى موسى، وموسى يقول: لست لها اذهبوا إلى عيسى، وسيدنا عيسى يقول: اذهبوا إلى محمد، فيذهبون إليه، فيقول:

{ أَنَا لَهَا ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، وَأَخْرُجُهُ سَاجِدًا } ٢٥٥

أحمد الله تعالى بمحامد يُلْهِمُنِيهَا في تلك الساعة، يعني لا أستطيع أن أقولها الآن، لأنكم لن تعقلوها، ولا تستطيعوا أن تستوعبوها، لأنها بحسب المقام، فهو الذي أذن له في الكلام أولاً، فيقول له الله:

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ } ٢٥٦

ما تريده كله افعله، فيختار سيدنا رسول الله ﷺ الأختيار والأطهار والأبرار ويوزع عليهم الشفاعات ليكون لهم قدرٌ ومقدارٌ عند الواحد القهار ﷻ.

فمنهم من يشفع في عشرة، ومنهم من يشفع في مائة، ومنهم من يشفع في عائلة، ومنهم من يشفع في أمة كاملة.

رجل من الصالحين قال: يا رب شفعني في أهل زماني، فقال الله تبارك وتعالى له: إن عملك لم يصل إلى ذلك، فقال: يا رب لو كان الأمر أمر عملي فإن عملي لن يدخلني الجنة، ولكني أطمع في فضلك، فبحسن جوابه حضرة الله أذن الله له أن يشفع في أهل زمانه!!، فهؤلاء الشفعاء الذين يأذن لهم الرحمن:

٢٥٤ البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ

٢٥٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٢٥٦ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

الذي يصل إلى هذه المكانة لن يكون عنده هوى ولا محاباة، فلا يطلب أن يشفع في ابنه، مع أن ابنه عاق لحضرة الله، وإلا لا يصلح للشفاعة، أو يشفع في فلان صاحبه مع أن صاحبه هذا من الغافلين، لكن هناك عدالة مطلقة، وهم لم يأخذوا هذه الشفاعة إلا بعد وصولهم لهذا المقام: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١ المؤمنون) لا يوجد إلا نسب واحد وهو نسب التقوى، ونسب الإسلام والإيمان، والإنتساب إلى النبي العدنان ﷺ.

اليوم الحق

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ وهذا اليوم الذي يجب أن نُجهز أنفسنا له، ونعد أنفسنا له، بينما وبين هذا اليوم كم سنة؟ قد يكون بيننا وبينه سنة، لذلك يجب أن يكون كل واحد منا جاهز ليسافر في أي لحظة، وعندما يسافر ليس أمامه إلا القيامة، فإلى متى نتنظر؟ هل نتنظر حتى تقول: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٢٠٠﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون) والإجابة نحفظها: ﴿كَلَّا﴾ (١٠٠ المؤمنون) فأنت كنت موجود في الدنيا ولم تعمل.

لذلك فالمؤمن دائماً وأبداً جاهز للقاء الله، ومجهز حقيقته، ويملاها بخير زاد: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة ١٩٧) فإذا جاءت تأشيرة السفر يكون جاهزاً.
أصحاب رسول الله:

كان بعضهم عندما يأتيه الموت يرى ملك الموت الذي يأتيه، فيقول له: مرحباً بك، حبيب جنت على فاقة، يعني أنا منتظر من زمن فلم تأخرت عني!، لأنه جاهز للقاء الله ... فالمؤمن لا بد أن يكون باستمرار جاهز لهذا اليوم، وإياكم أن يقول أحد في شبابه: أنا لا زلتُ صغيراً، فالموت ليس فيه صغير أو كبير!، فأحياناً يأخذ الصغير ويترك الكبير، وأحياناً يترك السقيم والمريض ويأخذ السليم.

لذلك لا بد أن أكون على الدوام جاهزاً للقاء الله، وكيف أكون جاهزاً للقاء الله؟ أن أقوم بما أمرني به الله، فلا أرتكب مظالم في حق خلق الله، لأن هذه هي المصيبة العظمى يوم القيامة، ولا أغفل لحظة عن ذكر الله تبارك وتعالى.

جاهزية المؤمن للقاء الله

﴿ فَمَنْ شَاءَ آخُذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ يجَهِّز نفسه للرجوع من الآن، فنحن سنسافر إلى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ (العلق) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ (٤٢ النجم) كلنا سنسافر هذه السفرية، لذلك لا بد أن أكون جاهزاً لهذا الرجوع، وأفرح نفسي، وأفرح بفضل ربي، وأفرح بلقاء نبي وصحبه المباركين، ومن بعده من الصالحين، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

أهم وصية في هذا الميدان كما قلت: إياك أن تبيت ظالماً لأحد من المسلمين، فكما ورد في الأثر أن الله يوم القيامة يقول: (يا عبادي لقد استمعتُ إليكم كثيراً، فاستمعوا إليَّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

فيأتي الرجل بعد أن أنهى الحساب والملائكة يزفونه إلى الجنة، وقبل باب الجنة ينادي مناد الله: من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج كثير، منهم من يقول: اغتابني، ومنهم من يقول: سرقني، ومنهم من يقول: ظلمني في الميراث، وكل واحد يأتي بذنبه، والنيابة الإلهية تبلغهم هذه الأخبار بالكلية، فيقول رب العزة: وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خصماءك.

اجلس معهم وأحضر محاضر صلح: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ (٤٦ الأعراف) فمن الجائز أن من ظلمني هذا قد لا أعرف اسمه وعائلته، ولكن عندما أراهم أعرفهم بسيماهم، فيجلس معه ويقول له: يا فلان سامحي، ولا أحد يسلم بسهولة، فيقول له: كم تدفع؟ فيقول: وماذا أدفع؟ فيقول له: حسنات مما عندك، فهذا يأخذ حسنات، وهذا يأخذ حسنات، فإذا أعلنت الإفلاس ولم يعد عندك رصيد من الحسنات، ولا تزال هناك مظالم، فيقول: يا فلان سامحي فلم يعد معي حسنات، فيقول له: احمل عني من ذنوبي!.

وهذه هي المصيبة الكبرى التي كثير من المسلمين في هذا الزمان لا ينتبهون لها، ويقعون فيها، ويقول عن الذي ظلمه: (يضرب دماغه في الحيلة) أو (أعلى ما في خيله يركبه) كما يقولون، ونسي أنه سيأتي يوم: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾

(٤٩ الكهف) والذي ظلمته آلى رب العزة على نفسه أن يقتص للمظلوم من الظالم ..

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ:

{ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَاتِنِينَ يَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، أُنْذِرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ؟
قُلْتُ: لَا، قَالَ: وَلَكِنْ رَبُّكَ يَذْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٢٥٧}

وفي رواية أخرى:

{ لَيَقْصَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ }^{٢٥٨}

هذا الذي ينبغي على المسلم أن ينتبه له جيداً، فإذا أردت أن تكون جاهزاً على الدوام للقاء الله فتنام على الأرض أو على السرير وليس عليك مظالم خلق الله. وقد تكون المظلمة لمن تنام بجوارك!! وهي مسكينة وصامتة، ولكن الله سيأخذ لها بحقها هناك.

وقد تكون المظلمة لأحد من الجيران، أو لأحد من الزملاء، المهم أن تبيت وليس عليك حق من حقوق العباد، لماذا؟ لأن رب العزة آلى على نفسه أن لا يغفر حقوق العباد إلا بعد رضائهم وسماحهم، والعامل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظلمة لأحد أبداً.

وإذا تكلمت في حق إنسان، حتى ولو كان غير حاضر ولا ناظر، فهي قضية، وستحاسب عليها يوم القيامة، أنك تكلمت في حق فلان بكذا وكذا.

لذلك أنا دائماً: ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١ الأحزاب) أشغل لساني بذكر الله على الدوام، وأتكلم كالصحابة المباركين، سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: (كنا ننتقي أطيب الكلام، كما تنتقون أطيب الطعام).

قبل أن ينطق بالعبارة يُفَكِّرُ، ماذا أقول لفلان؟ إذا كانت هذه الكلمة ستؤذيه، فلا أنطق بها، أو هذه الكلمة ستجرح مشاعره، فلا أنطق بها، وأختار الكلمة التي تُرضيه، وتُرضي خالقه وباريه صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم:

٢٥٧ مسند أحمد وأبي داود الطيالسي عن أبي ذر رضي الله عنه
٢٥٨ الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر رضي الله عنه

{ رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ } ٢٥٩

فيجب على كل واحد منا أن يكون جاهزاً دائماً وأبداً للقاء الله، وخاصة عقبه الظلم لعباد الله، فلا تضع رقبته في يد غيرك، وتظل ترجوه، ولن يسامحك إلا إذا أخذ من حسناتك.

إذا كان الذي يقول كلاماً مخالفاً لكلام الله فإن الله قال: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا ﴾ (الإسراء ٢٣) أصبحت (أُفٍّ) الآن عادية، ولكن الآن أصبحت (تنهرهما) هي السائدة!!، وأُفٍّ ليست كلمة ولكنها حركة تُظهر أنك غضبان، فهناك الله أن نذكرها للأب أو الأم مهما كانت الضغوط، ومهما كانت الظروف: ﴿ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء ٢٣).

إياك أن تقول للأب أو للأم كلمة تُغيّر خاطر، فهناك أناسٌ في الوجود إذا تغير خاطرهم نحوك ربما تتعرض لسخط الله وغضب الله، بدون أن يتكلموا وهم الأب والأم والشيخ في طريق الله ﷺ.

ولذلك كان المريدين الصادقين في الأزمان الماضية عندما يرى الشيخ يقول له أهم شيء عندي أن لا تُغير خاطر نحوي، لأنه لو تغير خاطره فإن الله ﷻ يُغيّر لأجله؛ غيرة عليه لأحبابه وأوليائه ﷺ.

وكذلك الأب، وكذلك الأم، لا أحد أبداً منا سيكون في عبادة الرجل الذي وصفه سيدنا رسول الله ﷺ في بني إسرائيل وهو جريج العابد، فقد قال ﷺ:

{ كَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَثْنَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَنْصَرَفْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَاةِ أَثْنَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَنْصَرَفْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَاةِ أَثْنَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُنْظِرْ إِلَيَّ وَجُوهَ

المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأنت راعيًا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأثوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زئيت بهذه البغي، فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: تبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا} ٢٦٠

نال البراءة، ولكن المهم أنه رأى وجوه المومسات، واستجاب الله لدعوة أمه!.

ولذلك حضرة النبي عندما نادى على رجل كان يصلي، فلم يجبه، وبعد أن صلى قال له ﷺ:

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ { ٢٦١

يعني أنا أصلي نافلة في البيت، وأمي نادت علي ولم تنتبه أنني في الصلاة، فأهم شيء أن لا أغير خاطرها، فإذا أحسست أنها ستتغير أسلم وانظر ماذا تريد، فطاعة الأم فرض وهذه الصلاة سنة.

نفس الأمر مع الصالحين، لأن هذه الأبوة الراشدة التي هيأها الله لنا لإصلاح أحوالنا في الدنيا، وإسعادنا يوم الدين، فلا بد أن نمشي على هذا المنوال.

فمظالم العباد يجعل الإنسان بينه وبينها بعد المشركين، ومظالم العباد يكون سببها في

٢٦٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٢٦١ صحيح البخاري وسنن أبي داود

معظم الأحوال لُعاة فانية من الدنيا، الذي يُريد أن يأخذ قطعة الأرض الخصبة ويترك القطعة البور لأخيه، أو يريد أن يأخذ بيتاً على الناصية وعلى الواجهة، ويترك البيت الذي في الحارة لأخيه، وهكذا!!.

مع أن الرضا في هذه الأحوال أحسن من أموال الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، ولم نر في المجتمع إنساناً أرضى من حوله وتنازل عن حقه، إلا وأغناه الله وأحوجهم إليه، وانظروا في المجتمع تجدوه هكذا على الدوام وهي سُنَّة الله، ولا يعبس في وجوههم، فيعطيهما ما يريدون لأنه رأى عز العزيز ﷻ.

الاستعداد للقاء الله

فإنسان دائماً جاهز للقاء حضرة الرحمن تبارك وتعالى، متى لقاء الرحمن؟

﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ أقرب إليك من أي شيء، فأقرب شيء إلى الإنسان الموت، فهي شهقة ويخرج من الحياة الدنيا، فهل يأتيك انذار قبلها؟! أو يأتيك تلغراف لتستعد لها؟! أبداً، فربما يخرج النَّفْس ولا يعود، أو يدخل النَّفْس ولا يخرج، لكن دائماً كما قال ﷻ لصحبه الصادقين المباركين:

{ إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ } ٢٦٢، وقال: { كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَأَعِدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتِ } ٢٦٣

إياك أن تؤجل شيء لغد بدون داع، وأنا لا أعرف متى ألقى الله؟! فمثلاً لا يصح أن أكون راجع من العمل ومُتعب، وحان الظهر، فأقول سأنام أولاً وعندما أستيقظ أصلي الظهر قبل العصر، ومن أين تضمن أنك تبقى وتقوم وتُصلي الظهر!!؟

فهذا أمل لا ينبغي لتقي أن يقف عنده، أو يحسب له حساباً، لكن أنا أحسب حساب أنني جاهز دائماً للقاء الله .

أنا في الحقيقة لا أحب أن أركز على الإشرافات في آيات رب العالمين، وخاصة في

٢٦٢ صحيح البخاري وابن حبلن عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٦٣ مسند أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

الفضيحة؟! يرون كل شيء، ولذلك يسمون هذا اليوم لهم يوم الخزي.

ولكننا أكرمنا الله ببركة رسول الله من هذا العرض الأعظم يوم القيامة، لأن الله قال لحضرة النبي وأشركنا معه، مع أننا فقراء في العمل، وفقراء في الإقبال على الله، وفقراء في ذكر الله: ﴿يَوْمَ لَا تُخْزَىٰ أَلوهُ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ (التحريم) نحن معه، فعند خروجك من الدنيا ترى كل شيء لتطمئن وتفرح:

{ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللّهِ أَحَبَّ اللّهُ لِقَاءَهُ } ٢٦٥

والآخر سيرى عرضه يوم القيامة أمام الجميع، ومعها الفضيحة والعياذ بالله:

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

أمنيات الكافر يوم القيامة

والكافر عندما يرى فيلمه هناك: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ :

يعني يقول: يا ليتني كنت تراباً من الأصل ولم يخلقني الله، وهذا تفسير، وهناك تفسير آخر يقول أن الله سيحيي البهائم يوم القيامة، ليأخذ لكل بهيمة حقها، فقد قال ﷺ:

{ يَقْضِي اللّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، الْخِنْ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيُقَيِّدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرَنَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَىٰ قَالَ اللّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ } ٢٦٦

بعد أن يُنهي الحقوق بينهم يقول لهم: كونوا تراباً، لأنهم ليس لهم جنة ولا نار، ولا يدخل الجنة منهم غير أشياء معينة، وهي التي كُرِّمت مع بني الإنسان، ككباش سيدنا إسماعيل، وناقاة سيدنا صالح، وكلب أهل الكهف، هذه الأشياء مسّت بشر، وأخذت السعادة بملامستها لهؤلاء البشر السعداء، وهي أشياء معدودة.

ولكن الباقي يقول لهم: كونوا تراباً، فالكافر عندما يرى ذلك يقول: ليتني كنت

٢٦٥ البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ

٢٦٦ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

مثلمهم، يعني - معذرةً في العبارة - يتمنى أن يكون كالبهيمة، لكي يكون مثلهم ولا يكون عليه حساب، لأنه عاش في الدنيا عيشة الجهلاء، ويُحاسب يوم القيام حساب العقلاء، فيقول: ليتني كنت تراباً.

السيدة مريم عندما اتهموها في سيدنا عيسى، وقالوا لها: ابن من هذا؟ ومن أين أتيت به؟ فقالت: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ (٢٣ مريم) لم أكن شيئاً نثائياً، لماذا؟ للجرمة التي سيتهموها بها، مع أنها بريئة، وتعلم أنها بريئة.

الصادقين الذين يدخلون على مقامات الفناء، ليبقيهم الله في الحياة الأبدية في جوار خير البرية أيضاً يحدث لهم مثل هذه الأحوال، فسيدنا عمر مع كل ما عمله، كان يقول: (يا ليتني كنت كبشاً ذبحني أهلي وأكلوني) ^{٢٦٧} حتى لا يكون عليّ حساب ولا سؤال ولا شيء من ذلك.

إذاً في هذا اليوم سيتمنى كل البعيدين عن سيد الأولين والآخرين وأصروا على أنفسهم أنهم يُحاسبون حساب الحيوانات ويقول لهم رب العزة: كونوا تراباً.

أهل العزة يوم القيامة

لكننا والحمد لله، ببركة رسول الله لنا الشرف في الدنيا، ولنا العزة يوم لقاء الله، ولنا البهجة بتواجدنا حول رسول الله، تحيّل أنك تكون حوله، فكيف يكون شكلك؟! وما مقدار فرحك؟! تحيّل أنهم يأتونك بمنبر من نور قدام عرش الرحمن ويقولون لك: تعالی هنا، ونورك يُضيء لأهل الموقف! هل بشيء عملناه؟!!

أبدأً، قال سيدنا رسول الله:

٢٦٧ الموعظ العصفورية لحمد بن أبي بكر عصفوري، وفيه حديث أنس بن مالك ؓ لما نزل قول الله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ (٤٣ الحجر)، فوصفها لهم رسول الله ﷺ فبكوا وقال: ((فسمع عمر ؓ قال : يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فذبحوني وأكلوا لحمي وفرقوا أعضائي ومزقوا عظامي ولم أسمع بذكر جهنم، فأقبل أبو بكر الصديق ؓ وهو يقول: يا ليتني كنت طائراً في المفاوز أكل الثمار وأشرب من الأنهار وأوي الأغصان من الأشجار، وليس علي حساب ولا عذاب، ولم أسمع بذكر جهنم، ثم خرج علي كرم الله وجهه وهو يقول : يا ليت أُمي لم تلدني ويا ليتني مت صبيّاً ويا ليتني كنت حشيشاً أكلتني البهائم ويا ليت السباع مزقت لحمي ولم أسمع بذكر جهنم، ثم خرج سلمان ؓ نحو بقيع الغرقد وهو واضع يده على رأسه وهو ينادي بأعلى صوته: وا بعد سفراه، وا قلة زاداء في سفر القيامة)، وفيها روايات أخرى.

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ { ٢٦٨

وفي رواية أخرى:

{ يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ، يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قَدَامَ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ } { ٢٦٩

كل ما فعلوه أنهم توادوا بروح الله، يعني مودة في الله والله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم، ولكن خالصة لله.

ماذا يكون شكلهم؟

إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور قدام عرش الرحمن، وليس تحت ظل العرش، يفرح الناس ولا يفرعون، ويخاف الناس وهم الآمنون ...

الذي يريد أن يكون من أهل هذا المقام، يحرص في علاقته مع الأحباب أن تكون خالصة لوجه الله، لا تكون لعدة ظاهرة أو خفية، ولا لرغبة دنيوية، ولا لشهوة ظاهرة جلية أو خفية، وإنما لوجه الله ﷻ.

هل يعني ذلك أن لا نتزوج من بعض، أو نتاجر مع بعض؟! لا !!

بل كل هذا وارد، لكن بشرط أن هذه الأمور لا تفسد للود قضية !! لأننا تأخينا أولاً لله، بعد ذلك لوقلت لأخ لي: يا فلان أنا أريد أن أتزوج ابنتك، فسألها: وقالت لا، فيجب

٢٦٨ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ
٢٦٩ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

أن لا يتغير شيء فيما بيننا، فلا أتجنبه، ولا أغضب، ولا أصنع قطيعة بيني وبين أخي!

لأننا تأخينا لله، أما الذي يتجنب أخاه، فليس له شأن بهذا الطريق.

نشترك مع بعضنا في عمل فلا مانع، ولكن بالشروط الإلهية:

﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة ٢٨٢)

فنكتب عقد شراكة على الشريعة الإسلامية، ونكتبه ونسجله ونأتي بشهود عليه كما

قال الله، ونكون كما قال الله في الحديث القدسي:

{ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ،

فَإِذَا خَانَ حَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا } ٢٧٠

يد الله مع الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر، متى تتخلى رعاية الله عنهما؟

إذا خان أحدهم الآخر، أخذ مال ووضعه في جيبه، أو عمل صفقة بدون علم أخيه

باسم الشركة ولم يعرفه.

لكننا غير ذلك، فالمعاملات التي بيننا ليس فيها شيء أبداً إذا مشت على شرع الله،

ولا يكون هناك طمع في أخ له في الله، لأن أخوتنا رابطة إيمانية ليست في الدنيا فقط، ولكن

في الدنيا والآخرة والدار الجنانية إن شاء الله رب العالمين.

توادوا بروح الله في الله وابدلوا لإخوانكم بشر اللقا وتعانقوا

فعندما تسمع الحبيب وهو يقول:

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَىٰ أَخِيهِ عَلَىٰ شَوْقٍ؛ خَيْرٌ مِنْ اِعْتِكَافٍ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا } ٢٧١

فإذا حدث بينك وبين أخيك خلاف وجاءك ومدَّ يده ليُسلم عليك، فهل تقول له:

لا؟! أنت بذلك تباعد نفسك بعد المشرقين عن هذه المكانة العلية؛ مكانة الأصحاب،

الذين طلب النبي ﷺ من الله أن يكونوا معه في:

٢٧٠ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن أبي هريرة ؓ

٢٧١ الجامع الكبير للسيوطي عن ابن عمر رضي الله عنهما

مهما حدث بيني وبين أخي، وقال لي: السلام عليكم، فهل لا أرد السلام!!؟
 مهما حدث وبين أي مسلم وقال لي: السلام عليكم، فهل هناك عُذْرٌ لأي مسلم أن لا يرد السلام!!؟ لا.

إنسان عاداني، وعمل في كذا وكذا وشكاني، وقال لي: السلام عليكم، فهل لي عُذر في شرع الله أن لا أرد عليه السلام!!؟ لا.
 فنحن أولى بهذا الكلام!!

وقد أمرنا الإمام أبو العزائم أننا كلما تقابلنا نعائق بعضنا، لماذا؟ لأنك كلما سلمت على أخ لك وتبسمت في وجهه وبشوق فقد أخذت أجراً أكثر من الإعتكاف سنة في مسجد رسول الله ﷺ.

فعندما تسلم على الكثير منهم فماذا يكون أجرك!!؟ وليس في ذلك تعب ولا مشقة، وكل ما في الأمر بشرى اللقاء، قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } ٢٧٢

هل تستكثر الصدقة على نفسك!؟

فنحن في حاجة إلى أن نحافظ على أصل الأصول وهي المودة في الله، والمودة لله، وإذا حدث تحامل أو غيره فيكون على حسب شرع الله، ولا يفسد للود قضية، وهذا الأمر الذي أوصي به نفسي وأحبابي أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام، وأن يحشرنا أجمعين على الأرائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، ويجعلنا أجمعين على منابر من النور قدام عرش الرحمن، ونشكر الله ﷻ على هذه الأخوة الصادقة

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١٨ ﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ

﴿ ١٩ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿ ٢٠ ﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ

﴿ ٢١ ﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

﴿ ٢٣ ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ ٢٤ ﴾ تَعْرِفُ فِي

﴿ ٢٥ ﴾ وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿ ٢٦ ﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ

﴿ ٢٧ ﴾ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿ ٢٨ ﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي

﴿ ٢٩ ﴾ ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَمَرَاجُهُ

﴿ ٣١ ﴾ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿ ٣٢ ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ

﴿ ٣٨ ﴾ (المطففين)

١٦. الر حيق المخنوم ٢٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله المتفضل علينا وعلى عباده المقربين، بما تعجز عنه العقول، ويعجز عن الإفصاح عنه الفحول، سبحانه سبحانه، خصنا بألفه، ووالانا بإسعافه، وواجهنا بكل خير وكل ود وكل إكرام على الدوام، من بدء الدنيا إلى يوم الزحام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتح أبواب الهداية الربانية، وسر هذه العناية القدسية، والسبب في كل خير أتانا من رب البرية، صلاةً نرجوا بها أن ننجوا بشفاعته غداً من الأهوال الحشرية، وأن نُحشر في جواره في الدار الجنانية أجمعين ... آمين آمين يا رب العالمين.

لحظة تفكر

لا بد للمؤمن من وقفات في حياته، ينظر فيها إلى فضل الله تبارك وتعالى عليه، ليخرج من اليأس، ويخرج من الإحباط، ويعلم علم اليقين أن عناية الله تحيط به من كل الجهات، وما يحدث إنما لحكم إلهية قد لا تدركها عقولنا القاصرة البشرية، ولكن الله شرحها ووضحها في الآيات القرآنية.

فنفريد أن نعرف فضل الله علينا في البدء وفي الختام، فمن منا اختار لنفسه الإسلام ديناً؟! ومن منا وضع لنفسه نور الإيمان في قلبه؟! ومن منا وضع جهاز الاستجابة الرباني في صدره؟! عندما يسمع نداء الله أو كتاب الله يجد الاستجابة فوراً من كل أعضائه تلبيةً لله تبارك وتعالى.

فذكرنا الله بهذه الأمور وقال لنا: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات) هو الذي حَبَّبَ إلينا الإيمان، وكم دفعنا فيه؟! لا شيء، فالذي معه الدنيا كلها، هل يستطيع أن يدفع كل ما معه لينال الأمان يوم لقاء حضرة الرحمن؟! أبدأً، فما هذا؟ عناية من الله لنا جماعة المؤمنين.

فهو الذي حَبَّبَ إلينا الإيمان، وهو الذي زَيَّنَ في قلوبنا الإيمان، بل أعظم من ذلك

الكتاب افضل المصوح

نفسنا ايضاً المقربين

الشيخ فوزي محمد فوزي

d d

هو الذي كتب بنوره الإلهي في قلوبنا نور الإيمان: ﴿أَوْلَيْتَكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (٢٢٢ المجادلة).

من الذي كتب الإيمان في قلوبنا؟ الله، ولماذا فعل هذا لنا؟ لأنه يُحبنا، ونحن المطلوبون لحضرته، ونحن المعنيون برسالات الأنبياء، ونحن الذين اختارهم للخلافة عن حضرته في الأرض، لأننا مجملين بأسماء الله وصفاته ﷻ.

هذه الأمور وضعها الله في كتاب، أين هذا الكتاب: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ كتب هذه الأمور كلها لنا في كتاب، والكتاب مرقوم وواضح، وأين عليين؟ اختلف فيها أهل التأويل فقيل في السماء السابعة، وقيل عليين هي قائمة العرش.

من الذي يقرأ هذا الكتاب ومن الذي يراه؟ لا يوجد غير صنف من الملائكة اسمهم الملائكة المقربون، أو البشر الذين ستصفوا قلوبهم وتزكوا نفوسهم، ويرفع الله قدرهم ومقامهم، ويزيدون قرباً من حضرته حتى يكونوا فوق المقربين أو مع المقربين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿﴾ مكتوب بخط واضح، مع أنه بمداد القدرة الإلهية، ولكن لا يستطيع أحد أن يقرأه إلا إذا كان معه نور البصيرة التي تستمد من نور الله، ولذلك لم يقل يقرأه المقربون، ولكن: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

سابقة الحسنى

ولذلك رأى رجلٌ من الصالحين رجلاً بدا عليه اليأس والإحباط ككثير من أهل هذا الزمان، يُهياً لنا أن رضا الله في كثرة المال، وكثرة الخيرات، لكن لو كان ذلك هو علامة الرضا لما أخذها الكافرون، فمن أغنى الناس في الدنيا؟ اليهود والكافرين، إذاً فهل هذه علامة الرضا؟! لا، بل هي فتنة.

سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لما أتاه الله الملك، والخزائن، والمال، وصرَّف له الجن والريح وعلمه منطق الطير، فماذا قال؟ قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (٤٠ النمل) ويلوئي يعني يختبرني ويمتحنني.

والله قال لنا في القرآن: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (١٥ التباين).

d d

فقال له: انظر إلى فضل الله تبارك وتعالى عليك، فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طَيِّبَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هُوَ لَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هُوَ لَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ }^{٢٧٤}

ويمين الله ليست كيميننا، فنزّه اسم الله عن الشريك والمثيل والنظير، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تبارك وتعالى من وراء ذلك، ولكنه تقرباً للحقيقة لنفهم ونستوعب.

ثم قال له: أين كنت؟ قال: في القبضة التي على اليمين، قال: فعليك أن تحمد الله ﷻ على ما أتاك من الإيمان والتقوى، وهذا أكبر رزق يسوقه الله ﷻ للخلق جل في علاه.

ورد في كتب السير أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما صعد إلى السماء الدنيا في ليلة الإسراء والمعراج فإذا رجل تام الخلقة عن يمينه أسودة (أرواح)، وعن يساره أسودة، فاذا نظر إلى التي عن يمينه تبسم، وقال: روح طيبة اجعلوها في عليين، فيفتح باب ويخرج منه ربح طيبة، فتدخل فيه، وإذا نظر إلى التي على يساره حزن وقطب جبينه وقال: روح خبيثة اجعلوها في سجين، فيفتح باب ويخرج منه ربح خبيثة، فتدخل فيه، فسأل رسول الله ﷺ سيدنا جبريل عن هذا الشخص التام الخلق وعن هذه الأسودة، وعن هذين البابين فقال جبريل عليه السلام:

أما الشخص التام الخلقة فهو أبوك آدم، وأما هذه الأسودة عن يمينه وعن يساره فهي أرواح بنيه؛ أهل يمينه هم أهل الجنة، وأهل شماله هم أهل النار، فاذا نظر إلى أهل الجنة تبسم وإذا نظر إلى أهل النار حزن وابتأس، وأما البابين فالباب الذي إلى اليمين باب الجنة، والباب الذي إلى اليسار باب جهنم.

من الذي اختار للإنسان فينا نحن معشر أهل الإيمان ذلك؟ الله ﷻ، ولذلك يُذَكِّرنا

٢٧٤ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (١٠١ الأنبياء) عناية ورعاية من الله، ليست بمهارة منا، هل يوجد أحد فينا لو تخلى عنه توفيق مولاه يستطيع أن يثبت على الإيمان ويحافظ عليه حتى يلقي الله؟! أبداً، وماذا نحتاج؟ هو: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢٧ إبراهيم).

ولما تكلم في سورة هود قال: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ (١٠٨ هود) يعني ليس عملهم الذي يسعدهم، فعملنا كله لو وزنه بميزان الإخلاص فماذا يكون فيه؟! لا شيء، لكن رب العزة ﷻ أكرمنا جماعة المؤمنين بهذا الفضل الكريم؛ أن جعلنا مؤمنين، وكتب في قلوبنا الإيمان، وأنطق ألسنتنا بالإسلام، وهياً أركاننا لطاعة الرحمن.

ولذلك علمنا رسول الله أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ إِنِّي أَلِكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥ الفاتحة) من منا يستطيع أن يعبد الله بغير معونة الله وتوفيق الله جل في علاه؟! فلولا معونة الله ما استطعنا طاعة الله، ولو تحلَّت عناية الله عنا ما استطعنا منع أنفسنا من عصيان الله!.

فتوفيق الله لنا جماعة المؤمنين هذا فضل الله ﷻ علينا أجمعين.

فضل الله على المؤمنين

أكمل هذا الفضل جل وعلا، فالأعمال التي نعملها مع أنها بتوفيق الله، ومعنا كراماً كاتبين، وسماهم: كراماً لأنهم لا يلمسون لنا الأوزار ليضعونا في دواهي الأقدار، لكن عندهم رحمة تامة بنا جماعة المؤمنين، فمجرد أن يعمل الإنسان عمل الخير يقولون لبعضهم: سجلوا قبل أن يرجع في عمله، لأنهم يريدون لك الخير.

وإذا وقع الإنسان في إثم أو وزر أو ذنب، ينتظرون لعله يرجع أو يتوب أو يستغفر، ولذلك سماهم كراماً كاتبين، وعندما تقرأ الآية تعجب: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَكْتُبُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ (الانفطار) لم يقل يكتبون، لأنهم يعرفون ماذا تفعلون، فمعهم خط سير من ملك الملوك ﷻ، قرأوه من اللوح المحفوظ الذي في عليين، والذي فيه أحوال وأعمال المقربين، كما جاء بالحديث الشريف، .. قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَرْفَعُونَ عَمَلَ الْعَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَيُكْتَبُونَ لَهُ وَيُزَكُّونَهُ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنْ سُلْطَانِهِ فَيُوحِي إِلَيْهِمْ : إِنَّكُمْ حَفَظْتُمْ عَلَيَّ عَمَلَ عَبْدِي ، وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ؛ إِنَّ عَبْدِي هَذَا لَمْ يَخْلُصْ لِي عَمَلَهُ فَاجْعَلُوهُ فِي سَجِينٍ قَالَ : وَيَصْعَدُونَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يُسْتَقْبَلُونَ وَيَحْتَقَرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمْ : إِنَّكُمْ حَفَظْتُمْ عَلَيَّ عَمَلَ عَبْدِي وَأَنَا رَقِيبٌ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ؛ فَضَاعَفُوهُ لَهُ ، وَاجْعَلُوهُ فِي عَلِيِّينَ }^{٢٧٥}

فأنت من أهل عليين، وعملك في عليين على الدوام، فإذا عملت العمل . وانظر معي إلى فضل الله علينا في العمل، وصلّ على حبيب الله ومصطفاه - كما قال ﷺ :

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ ، يَتَعَاطَفَنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لَهُنَّ دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّخْلِ ، يُذَكَّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ }^{٢٧٦}

إن ما تذكرون الله تعالى به من التسيبحات والتهليلات والتكبيرات، يخرجن وهن دويّ كدوي النحل، حتى يصلن إلى العرش، فيطفن حوله يُذَكَّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ إلى يوم القيامة.

فلو قلت (سبحان الله) فإنها تصعد حتى تصل إلى العرش، وتطوف حول العرش وتكرر: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله .. إلى يوم القيامة!، والخصيلة كلها تذهب لرصيدك عند الله تبارك وتعالى.

فإياك أن تستهين بتسيبحة لحضرة الله، لأنها تظل إلى يوم القيامة، وحتى الكرام الكاتبين الذين معنا، قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكُلَّ بَعْبِدِهِ الْمُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وَكُلَّابَهُ : قَدْ مَاتَ فَأَذِّنْ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يَسْبِحُونَ ، فَيَقُولَانِ :

٢٧٥ رسائل بن أبي الدنيا لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا عن ضمرة بن حبيب ﷺ .

٢٧٦ مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير ﷺ

أفنتقم في الأرض؟ فيقول الله: أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني، فيقولان: فأين؟! فيقول: قومًا على قبر عبدي فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة { ٢٧٧

هو قد مات وخرج من الدنيا وانتهت حياته، لكن الله يُوظف له الكرام الكاتين يُسبحون ويمجدون ويهللون إلى يوم القيامة، ويكتبوا ذلك كله في ميزان حسناته، ليلقى به الله ﷻ.

نعيم الأبرار

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ والأبرار فيها كلام كثير، وأنا لا أريد أن أسوقه لكم، لكن الأبرار هم المطيعون لله ﷻ، الذين نفذوا ما أمر به الله، وانتهوا عما نهى عنه الله، واقتدوا في أحوالهم وأعمالهم بسيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ لم يقل إن الأبرار سيدخلون النعيم، ولكنهم الآن في نعيم، وما هذا النعيم الذي هم فيه؟ لا يوجد نعيم أبهى ولا أعلى ولا أجمل من نعيم طاعة الله ومناجاة الله.

أجمل نعيم وأبهى نعيم الذي يُحيينا فيه حضرة الكريم ﷺ، من الذي يدخل الجنة؟ الذي عاش في الدنيا في الجنة، فنحن الآن في الجنة لأننا في مجلس علم، فإذا كنا في مجلس علم فنحن في الجنة، أو في مجلس قرآن فهو جنة، أو في مجلس الذكر فهو جنة، والذي قال ذلك الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ:

مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلَقِ الْقُرْآنِ } { ٢٧٨ }، وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ } { ٢٧٩

وارتعدوا يعني لا تتعجلوا، وتتركوها سريعاً، ولكن اجلسوا واطمئنوا، فالذي يعيش في

٢٧٧ كنز العمال، والديلمي، والمرزوقي في الجنائز عن أنس بن مالك ﷺ
٢٧٨ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ
٢٧٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

الجنة في الدنيا هو الذي سيدخل الجنة في الآخرة، والذي مشى على الصراط المستقيم في الدنيا، هو الذي سيمر في الآخرة على الصراط كالبرق الخاطف، والصراط المستقيم يعني مشى على شرع الله، فلا يجيد عن شرع الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك يقول الله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ كتب الله لهم السعادة في الأزل، هؤلاء وهم في الدنيا سيكونون في الجنة، فكيف نعرف أن هذه الجنة في الدنيا؟ لأن الله قال بعدها: ﴿فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٨).

فالجنة في الدنيا هي جنة طاعة الله، وجنة ذكر الله، وجنة كتاب الله، وجنة الأعمال الصالحة التي نقوم بها بصفاء وبصدق وبإقبال شديد وخشوع على حضرة الله جل في علاه.

لذة طاعة الله

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وليس هذا معناه أنهم لن يكونوا في نعيم في الآخرة! بل سيكونون هنا وهناك إن شاء الله، لكن النعيم هنا وهو نعيم الطاعة لله ﷻ.

يُروى أن سيدنا رسول الله ﷺ كان في إحدى الغزوات، وفي الليل اختار رجلان من صحابته لحراسة الجيش، وانظر إلى حُسن التوكل على الله، اثنين فقط ليحرسوا الجيش كله! وليست كتيبة أو ما شابه ذلك!

وأمرهما أن يقتسما الليلة فيما بينهما، فجلسا مع بعضهما، ليأخذ أحدهما النصف الأول من الليل يقظاً، والآخر ينام، ثم يستيقظ النصف الثاني من الليل وينام الأول، فالذي عليه حراسة النصف الأول من الليل توضأ وأخذ يناجي مولاه، ويصلي بين يدي الله ﷻ.

فنحن نحتاج إلى أن نستشعر لذة الطاعة، ونتذوق حلاوة الإيمان، فقد كان الرجل منهم طوال الليل يُصلي بين يدي الله، وعندما يؤذن للفجر يقول: مرّت هذه الليلة سريعاً ولم آخذ حظي من العبادة!! ونحن الآن نستعجل في الصلاة!، بسبب المصالح الدنيوية التي شغلتنا، لكن هؤلاء ذاقوا لذة طاعة الله، وحلاوة العمل المقرب إلى حضرة الله ﷻ.

فالرجل قام يُصلي، ولكن رآه رجل من الأعداء، ورأى الجيش كله نائم ولم يبق غير هذا، فضربه بسهم في رقبته، فمدّ يده ونزع السهم وواصل الصلاة، وأثناء ركوعه ضربه

بسهم آخر، فنزع السهم وواصل الصلاة، وأثناء سجوده ضربه بسهم ثالث ولكنه جاء في مقتل، يعني سيموت، فمدَّ يده وأيقظ أخاه وأسرع ليُكمل الصلاة.

فعاتبه بعد الصلاة فقال له: لم لم تُوقظني من أول سهم؟ قال: والله لولا خوفي أن أموت ويتمكن الأعداء من جيش رسول الله ما أيقظتك لحلاوة الطاعة التي كنت أتذوقها وأنا في الصلاة!!.

لم يشعر بشيء آخر غير لذة الطاعة وحلاوة العبادة لله ﷻ!!، فهذا نعيمهم الذي قدَّره الله ﷻ للمؤمنين في الدنيا بتوقيفه، ليكونوا من أهل الجنة العالية يوم القيامة برحمته تبارك وتعالى.

أصناف الخلائق يوم القيامة

ولذلك هؤلاء ليس لهم حساب، ولا ميزان، ولا صراط، فالناس يوم القيامة أربع طوائف، طائفة تقوم من القبور إلى القصور في الجنة - نسأل الله أن نكون منهم أجمعين - قال ﷺ:

{ إذا كان يومُ القيامةِ أنبتَ اللهُ تعالى لطائفةٍ من أمتي أجنحةً فيطيرُونَ من قبورِهِم إلى الجنانِ يسرحُونَ فيها ويتنعمُونَ فيها كيفَ شاؤوا، فتقولُ لَهُم الملائكةُ: هلَ رأيْتُم الحِسابَ؟ فيقولُونَ: ما رأيْنَا حساباً، فتقولُ لَهُم: هلَ جُرْتُم الصِّراطَ؟ فيقولُونَ: ما رأيْنَا صراطاً، فتقولُ لَهُم: هلَ رأيْتُم جهنَّمَ؟ فيقولُونَ: ما رأيْنَا، فتقولُ الملائكةُ: من أمةٍ من أنْتُم؟ فيقولُونَ: من أمةٍ مُحَمَّدٍ، فتقولُ: نأشَدُّناكُم اللهُ حَدَثونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُم في الدُّنيا، فيقولُونَ: حُصَلْتانِ كَانْتا فينا فَبَلَّغْتا هذِهِ المنزِلَةَ بِفضلِ رَحْمَةِ اللهِ، فيقولُونَ: وَمَا هُمَا؟ فيقولُونَ: كُنَّا إِذَا حَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليسيرِ مِمَّا قَسَمَ لَنَا، فتقولُ الملائكةُ: يَحِقُّ لَكُم هذا } ٢٨٠

٢٨٠ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

وهناك طائفة يقومون من القبور إلى جهنم وبئس القرار، ليس لهم صراط ولا ميزان ولا غيره: ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ (الكهف: ١٠٥).

وهناك طائفة يحاسبون حساباً يسيراً، وهناك طائفة كان الواحد منهم لا يستحي من الله أن يجهر بالمعاصي، أو يباهي بفعل المعاصي، ولم يثب إلى أن يلقي الله، فهذا الذي يُحاسب حساب عسير والعياذ بالله تبارك وتعالى.

جزاء الصابرين

والله ﷻ من منته وكرمه وجوده وضعنا كلنا في خُلة إلهية ربانية تجعلنا كلنا ندخل الجنة بلا حساب، أين هذه؟ ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) الذي جاءه أمرٌ من أمور القضاء الإلهي كموت أحد وغيره فصبر على أمر الله، واحتسب الميت عند مولاه، ولم يثقل إلا كما قال الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٦).

والذي ضيق الله عليه الأرزاق ليختبره، فرضي بالحلال وطلب أن يمد الله بالبركة في هذا الحلال، حتى لا يذهب إلى ما حرم الله، فهذا أيضاً صبر لأمر الله، فليس له حساب، أي بلاء تعرض له الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وصبر على أمر الله، ولم يشكو الله إلى خلق الله، فهذا على الفور يدخل الجنة بغير حساب، كل المطلوب إياك أن تضحك نفسك عليك في يوم وتقول: لماذا فعل الله بي كذا؟! لماذا ترك فلان وغيره مع أنهم لا يصلون ولا يصومون وعمل لي كذا؟! وغير ذلك، مع أن هذا ليس من شأنك!!

فالمرأة الصحابية كانت هي وزوجها يملكان جلباباً واحداً يلبسانه، ولم يكن عندهما جلباب للرجال وجلباب للنساء، وكانا يحرصان على الصلاة في أول الوقت، فكان الرجل يذهب ليصلي في الجماعة الأولى، ثم يخرج مسرعاً بعد الصلاة لكي تلبس زوجته الجلباب وتُصلي في أول الوقت، لأن حضرة النبي قال:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ،

وَأَخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } ٢٨١

فأول الوقت لا يُعَوِّض، سيدنا عبد الله بن مسعود قال:

يا رسول أي الأعمال أفضل؟ قال:

{ الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا } ٢٨٢

عندما تسمع الأذان ما دام ليس معك ضرورة تشغلك عن تلبية الأذان فسارع إلى نداء الرحمن ﷻ، حتى ولو كان معك ضرورة اعتذر بقلبك وقل: يا رب أنا أريد أن أصلي الآن، وأنت ترى ما أنا فيه، وعندما أنتهي فوراً سأصلي لك، لكي تلحق أول الوقت بنيتك الصادقة مع الله ﷻ.

سيدنا رسول الله كان شديد الملاحظة، فلاحظ أن الرجل يُصلي ويسرع في الخروج، فسأله عن سبب ذلك، فحكى له، لأنه لا يستطيع الكذب على رسول الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ، لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا،

فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ } ٢٨٣

ثم طلب النبي من الصحابة أن يساعدوا أخاهم، فتأخر على زوجته، فلما رجع وجدها خلف الباب متلهفة وحزينة لأنه سيفوتها أول الوقت، فسألته: لم تأخرت؟ فحكى لها ما حدث - وانظر لرد الزوجة - فقالت له: أتشكو الله إلى رسوله؟! انظروا لأهل التقوى، يعني لا تريده أن يشكو الله حتى إلى رسول الله!! فلا بد للإنسان أن يرفع ما به إلى الرحيم الرحمن الشفوق العطوف الحنان المنان، وأين تجد أرحم من الله حتى تشكو إليه؟! فقد تشكو إليه ولا يسمعك أحد، إلا الواحد الأحد، ويُعَجِّلُ لك قضاء ما تريد.

بركة الله للمؤمنين

فلا بد للإنسان المؤمن يا جماعة المؤمنين أن يوطن نفسه أن لا يشكو الله إلى خلق الله، واعلم علم اليقين أنك لو فوضت أمرك لله، لأفاض عليك من بركاته ما يُغنيك عن جميع خلق الله.

٢٨٢ البخاري ومسلم

٢٨٣ صحيح مسلم عن شعبة بن المغيرة

فالكثير قد يأخذ المال، ولكن ليس معه دعمٌ، لكن المؤمن يأخذ الخير ويأتيه عليه دعمٌ من السماء وهي البركة، هذا الدعم لو أتاه، فالقليل يكفي الكثير، ولا يحتاج الإنسان إلى هذا ولا إلى ذاك.

ولكن كثير من المؤمنين في هذا الزمن لعبت بهم الأهواء فسوا هذه الحقيقة التي مرّ سيدنا رسول الله ﷺ عليها صحبه المباركين تدريباً عملياً، فكانوا يعتمدون على البركة: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢الطلاق) من أين؟ لا أحد يعرف، ولا هو نفسه يعرف: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣الطلاق)، وهذه خاصة بالمؤمنين فقط.

لكن الكافرين وغير المؤمنين يجد ويجتهد في الأرض فتُخرج له انتاجها، ويحفر في الأرض فتُخرج له معادنها، وينزل البحر فيُخرج له أسماكها، لكن المؤمنون يعملون عملاً قليلاً، لأن شغلهم الأكبر مع حضرة الجليل، والجليل يَعْطِيكَ يُعْوضُه عن ذلك بالبركة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) لم يقل لفتحنا عليهم خيرات، فالحصول كما هو، ولكن البركة تنزل في الأرض، فيكفي قدر الحصول عشرات المرات عندما تنزل عليه البركة من الله ﷻ.

لذة النظر

﴿ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ في الجنة لن نجلس على كراسي، ولا على الأرض، ولكن على أسرة جهزها ملك الملوك بأجمل ما يكون التجهيز، لأنه يريد أن يمتعنا فلن يجلس أحد، ولكن يضطجع على سرير، والسريير كما قال فيه ﷻ:

﴿ إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِّمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخُدَمِهِ وَسُرُرِهِ
مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ ﴾ ٢٨٤

وكل ما في الجنة على بصيرة لا ينتظر أن تطلب، فبمجرد أن تتمنى شيئاً في صدرك، يُنْفَذُ في الحال طلبك.

﴿ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ هؤلاء في الجنة ينظرون لأهل الموقف وهم في الموقف

يحاسبون ويثابون أو يعاقبون ويعذبون أو ينعمون، وهم مستريحون في قصورهم في الجنة.

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٣٤﴾ سيدنا الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه شرح قول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ (٦٦ الرحمن) فقال: على باب الجنة عينان، يشرب الإنسان شربة من العين الأولى، فيذهب عنه كل هم وكل غم وكل حزن، فيقول: ﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر) ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم، يعني جمال النعيم، وجمال النور الذي تجلى عليه به حضرة الكريم، لأن هذه النضرة معناها أن هذا له شي أكبر من الجنة وما فيها: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٥﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القيامة) لا متعة أجمل من هذه أبداً، قال ﷺ:

﴿ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْجِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ { ٢٨٥

ولذلك بشرنا حضرة النبي ﷺ فيقول:

﴿ إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرْرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٥﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ { ٢٨٦

انظر إلى ممتلكات الفقير في الجنة!!، مسيرة ألف سنة، فأجدادنا كانوا يمشون من مصر للسعودية في حوالي ثلاثة أشهر، فإذا مشى ألف سنة فكم يقطع؟! وكم تكون ممتلكاته في جنة النعيم عند حضرة الكريم ﷺ!؟

ولكن الأعظم من هذا، والأرقى من هذا، النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وأعلامهم منزلة من ينظر إلى وجه الله في اليوم مرتين

﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٣٧﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ ﴾ الشراب الذي يشربونه في الجنة

٢٨٥ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ
٢٨٦ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

مختوم بالمسك، وبعد أن يشرب منه تكون رائحة فمه أطيّب من رائحة المسك،
ما نوع هذا الشراب؟

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لنا جميعاً لنتنبه:

{ لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء }^{٢٨٧}

فكل ما ذكر في القرآن عن الجنة من الأسماء التي نعرفها في الدنيا، تتشابه في الأسماء
ولا تشترك في الحيشية، ... فليس معنى أنها تتفق في الاسم أنها تكون مثلها، ..
لكنها شيء آخر عند الله.

النافس في الخيرات

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

انتبهوا للتوجيه الإلهي!

اتركوا التنافس في الفاني، والتنافس في الأموال، والتنافس في المناصب، والتنافس في
شراء الأرض، والتنافس في تزيين العقارات، والتنافس في التباهي بالسيارات ...
لأن هذا كله عرضٌ زائل يأخذ منه البر والفاجر.

من منا يستطيع أن يُحصّل واحد من الأميركيان أو الألمان أو غيرهم في مثل هذه المتع
الفانية الدنيوية؟! لا أحد، وهؤلاء لا ننظر إليهم لأن رسول الله ﷺ قال فيهم:

{ أُولَٰئِكَ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }^{٢٨٨}

ليخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يُطالب بها الله تبارك وتعالى.

ولكن تتنافس في عمل البر، وعمل الخير، وتتنافس في قيام الليل، وتتنافس في تلاوة
القرآن وتدبره وفهمه والعمل به، وتتنافس في رعاية الأيتام والمساكين، وتتنافس في قضاء
حاجات المسلمين طلباً لمرضاة رب العالمين، وحضرة النبي ﷺ يقول لنا:

٢٨٧ رواه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيره عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

٢٨٨ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة ؓ

{ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِعًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ } ٢٨٩

أين من يتنافس في هذا؟! وقال في الحديث الآخر:

{ مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قَضَيْتَ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ،
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بِرَاءَتَانِ:
بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبِرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ } ٢٩٠

كونه فقط قضى مصلحة لأحد من المؤمنين؛ أي مصلحة، ولكن لوجه الله، يأخذ هذا الأجر ... فنحتاج أن نرجع مرة أخرى للتنافس الذي أمرنا به الله في كتاب الله:

﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ في هذا العمل، وفي هذا الباب من الخير:

﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾

لماذا؟

لنكون من أهل هذه المقامات العالية.

﴿ وَمَرَاجِبُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿﴾

هناك الأبرار، وهناك المقربون، وهناك العابدون، وهناك الزاهدون، وهناك التوابون، وهناك المتطهرون، وهناك الذاكرون، وهناك الصائمون، فاختار لك باباً من الأبواب المذكورة في كتاب رب العالمين وتنافس فيه كما كان يتنافس فيه الأولون.

نسأل الله ﷻ أن يُصلح أحوالنا، وأن يُصفي قلوبنا، وأن يُرقي نفوسنا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يُوفقنا للعمل الذي يُحبه ويرضاه، وأن يُدركنا برعايته وعنايته، ولا يتخلى عنا بعنايته ورعايته طرفة عين ولا أقل، وأن يجعلنا على الدوام من الذين يُثني عليهم في قرآنه، ويرزقهم صُحبة النبي المختار، وآل بيته الأطهار، وصحابته الأبرار، وأن نكون أجمعين تحت لواء شفاعته ومن أهل جواره في جنته .

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٢٨٩ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٩٠ فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا
رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا
تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ
﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابُ
مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾
وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الغاشية)

١٧. الوجوه الناعمة^{٢٩١}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعلى شأننا وشأن عباده المؤمنين، وجعل لهم الدولة والأجبة والعظمة في يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وكل من تبعهم على هذا الهدى إلى يوم الدين.

كان رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيح عن حضرته، يصف لهم الجنة كأنهم يرونها رأي العين، حتى قيل أنه ﷺ كان منفِعاً في يوم في وصف الجنة، فقال:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَايِطِ وَأَنَا أُصَلِّي }^{٢٩٢}

يعني يصف عن مشاهدة لما رآه لكي يعرفنا ما أعده الله لنا جماعة المؤمنين، وكان من أسرار رحلة المعراج أن الله ﷻ أخذ حبيبه ومصطفاه ليُعرفه بما جهزه للمتقين، وما أعدّه للكافرين والمكذابين، فقال له كما أورد القسطلاني في المواهب اللدنية:

{ يا محمد قد أعطيتك نوراً تنظر به جمالي، وسمعا تسمع به كلامي، يا محمد إني أعرفك بلسان الحال معني عروجك إليّ، يا محمد أرسلتك إلى الناس شاهداً ومبشراً ونذيراً، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به، فأريك جنّتي لتشاهد ما أعددت فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائي، ثم أشهدك جلالي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أنني منزّه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير والمشير، فرأه ﷺ بالنور الذي قوّاه من غير إدراك ولا إحاطة، إلهاً واحداً واحداً فرداً صمداً، لا في شيء، ولا من شيء، ولا قائماً بشيء، ولا علي شيء، ولا مفتقراً إلى شيء، ليس كمثل شيء شيء وهو السميع البصير }.

٢٩١ الأقصر - إسنا - المسجد الحسيني بطنيس ٣٠ من جمادي الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩/٢/٥ م
٢٩٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

وقال الله في شأن الورثة لسيد الأولين والآخرين: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ (التكاثر) الذي رزقه الله علوم اليقين يكشف له، ثم يرقيه:

﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبَسَ الْيَقِينِ﴾ (٧ التكاثر) وبعد أن يرى الجنة: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨ التكاثر) فاتباعاً لسيد الأولين والآخرين بعد أن فتح الله بصائرهم وآتاهم علم اليقين، وجملهم بحق اليقين، يرون ويشهدون هذه الحقائق ليوضحوها ويشرحوها للمؤمنين.

هل يصلح أن إنساناً لم يذهب إلى الأماكن المباركة في مكة يصف لنا الكعبة؟! لا، لكن حتى يصفها وصفاً دقيقاً يجب أن يكون قد ذهب إلى هناك ورآها بتأني ودقة وعينها جيداً، ليعطينا وصفاً تفصيلياً لها، لكن حتى من رآها رؤية سريعة لو جاءنا لن يصفها جيداً، لأنه لم يتمكن من رؤيتها جيداً.

صورة وجوه الناس في الآخرة

فنحن جميعاً في الدنيا ظاهراً غير باطننا، والله ﷻ لا ينظر إلى ظاهرها وإنما ينظر إلى بواطننا، قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } ٢٩٣

فما بال هذه الصور؟ هو الذي صورها: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٦١ آل عمران) هو الذي صورنا في الأرحام، وأعطى لكل إنسان هذه الصورة الظاهرة التي نراها، والشكل واللون وطول الجسم والعرض، ولون العينين والتقاطيع، كل هذه الأشياء الذي خلقها رب العزة ﷻ.

لكن لا بد لك أن تُجمل الباطن، لأن هذا ما ستُبعث عليه يوم لقاء الله، فيوم لقاء الله لن نظهر بهذه الصور التي نراها، لكننا سنظهر بصورة القلب الداخلي، من الذي قال ذلك؟ رب العزة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (١٠٦ آل عمران) البياض والسواد هنا في الدنيا لسلالة النسل، فالناس في أفريقيا سود، وفي أوروبا بيض، وهؤلاء أعينهم خضراء، وهؤلاء أعينهم زرقاء، وهؤلاء غير ذلك حسب السلالة.

لكن في الآخرة حسب العمل الذي عملته بصفاء قلبك، وتقبله منك ربك ﷻ.

على سبيل المثال: إنسان في الدنيا أحلى بضاعة - في نظره - يمشي بها بين الناس أنه يكذب دائماً، يكذب على هذا، ويكذب على هذا، ويكذب على هذا، فيأتي يوم القيامة كما قال الله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (٦٠ الزمر) حتى ولو كان من أمريكا، أو من فرنسا، أو من ألمانيا، فكلهم يأتون هناك ووجوههم مسودة، أما نحن فنأتي هناك: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضْتَ وُجُوهُهُم فَبِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٠٧ آل عمران) فهذه لنا إن شاء الله.

فأنت الذي تختار لولك الذي سيكون يوم القيامة، وهيئتك التي تظهر بها أمام الخلائق أجمعين يوم يدعو الله الناس ليوم لا رب فيه.

فلذلك ربنا ﷻ عندما يتكلم عن الجنة وأهل الجنة، فإن وجوهنا إن شاء الله هناك لن تكون مثل بعضها، فمرة يقول عن جماعة منا: ﴿ وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ وناعمة لسيئ بالمعنى اللغوي أنها ليست خشنة، وإنما ناعمة يعني مُنعمّة، يعني سيُنعمها الله ﷻ، وبأي شيء سيُنعمها؟ لا يستطيع أحد أن يتكلم في هذا، لأن هذه أشياء فوق طاقة العقل البشري، فلا يتحملها أي عقل، لأن هذه علوم وأسرار ربانية يكشفها الله لأهل الخصوصية، ليشوقونا لهذه المنازل العلية، يقول في بعضهم ﷻ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا } ٢٩٤

وجوههم من شدة النور تُنير لأهل الجنة، والقيامة ليس فيها نور، إلا نور الأعمال الصالحة، فالذي معه عمل صالح سيكون نور في يده يمشي به، والذي لا يملك عمل صالح فيكون ماشي في ظلمة: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (٨ التحريم) النور الذي يسعى بين أيدينا هو نور سيدنا رسول الله، الذي ستمشي وراءه ولن يتركنا.

والنور الذي بأيدينا هو نور العمل الصالح الذي عملناه، قال ﷻ:

٢٩٤ تحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷻ

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أُنْبِيْنَ، فَصَنَعَاءَ، فَدُونَ ذَلِكَ،
حَتَّىٰ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورَهُ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَمَيْهِ } ٢٩٥

أقل المؤمنين نوراً من يُضيء له نوره تحت إبهام قدميه، والآخر نوره يُضيء لأهل الموقف، وبين هذا وذاك درجات بحسب تجليات النور الإلهي على وجوه المؤمنين والمؤمنات.

نور التجليات الإلهية

والنور الذي يظهر على الوجوه غير نور العمل الصالح الذي يظهر بين الأيدي، فالنور الذي يظهر على الوجوه هو نور التجليات الإلهية، يتجلى الله ﷻ بنوره على الصالحين، فتظهر مسحة من نور جلاله وكبريائه على وجوههم ليعلم أهل الموقف العظيم جميعاً أن هؤلاء من عباد الله المقربين.

ونور الله يظهر أحياناً في الدنيا، ولكن على الأكابر من الأنبياء والمرسلين وكُمَّل الصالحين، فسيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لما دعاه ربه إلى جبل الطور للمكالمة وليس للرؤيا، وذهب إلى جبل الطور وتجلّى ربه:

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (١٤٣ الأعراف) شعاع بسيط من هذا النور نزل على وجه موسى، فكان كل من يراه من بني إسرائيل يموت، من شدة هذه الأنوار، إلى أن مات سبعين رجلاً، فغطّى وجهه بلثام - يعني غطاء - فلم يحجب النور، فغطّى وجهه بلثامين ليحجب هذا النور، حتى لا يطلع عليه أهل الباطل وأهل الزور وأهل الغرور، لأن نور الله نور مضمون ومكنون.

هذه الحالة حدثت كثيراً مع الذاكرين ذكراً شديداً لرب العالمين، فكثيراً من الذاكرين لله يفعل بذكر الله، وبهيم في ذكر مولاه، فيجدوا وجهه - مع أنه قد يكون عبداً حبشي - تغير إلى نور، لأن الله غمره بأنواره ﷻ.

فنحن جماعة المؤمنين في حاجة إلى أن ننور القلوب بنور علام الغيوب، حتى إذا وصلنا إلى الآخرة نكون من أهل هذه الوجوه النيرة أمام الله، وأمام خلق الله أجمعين.

نور الله في الإنسان

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ :

لم أنعم الله على هذه الوجوه بأنواره العلية؟

﴿ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴾ سعيها كان في الدنيا لترضي الله، فكل حركاته وسكناته وأعماله ليرضي مولاه، ولا يسعى لحظه وهواه، أو أي شيء فإن تتعلق به النفس في هذه الحياة، وإنما سعيه دائماً لإرضاء الله ﷻ.

فألأنه كان يسعى دائماً في رضا الله، فيجعله الله مع المنعمين الذين يتجلى عليهم الله ﷻ بنوره المكنون، ويُقيض عليهم من سره المصون المخزون.

وهناك وجوه أخرى يقول فيها الله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ﴾ (القيامة) هؤلاء يهيوهم الله لينظروا إلى وجهه الله، ويتمتعوا بجمال الله جل في علاه، سألوا الإمام مالك ﷺ: هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟ قال: نعم، قالوا: كيف رآه؟ قال: غاب محمد رسول الله عن حسنه ونفسه، وبقي بما فيه من نور ربه، فرأى ما فيه من نور الله جمال الله في غيبة محمد سول الله!!.

ونوضح ذلك فنقول: نحن كلنا جماعة المؤمنين من فضل الله علينا فينا من نور الله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (٢٩ الحجر) هذه النفخة نور إلهي يجعله الله ﷻ في قلب كل عبد مؤمن من أهل الإيمان.

وهذه النفخة هي سر الإيمان، وسر التسليم لحضرة الرحمن، وسر سؤلك إلى اتباع النبي العدنان، وسر حبك لتلاوة القرآن، وسر تحبيبك في كل عمل صالح يحبه الحنان المنان تبارك وتعالى، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ يقول لنا في هذا الأمر: أحب ما فيك منه فهو المحبوب له لا أنت.

لن يُحبك لأنك من الطين، أو تراب أو ماء مهين، ولكن يحبك لبضاعته التي معك، فأعطاك قبس من الأنوار الإلهية وضعه في باطنك، ويريد منك أن تقويه وتُتميه وتُصفيه وترقيه، لتأتي يوم القيامة تجده يظهر من باطنك على ظاهرك.

أثر المداومة على ذكر الله

فالذي يريد يوم القيامة أن يتمتع بالوجوه الطيبة للقاء الله، وبالمناظر العظيم بين يدي خلق الله، فسلحه القوي الذي يحرص عليه هو المداومة على ذكر الله.

وذكر الله ليس لأحد منا عُذرٌ في تركه، فلو لم تذكر الله من المغرب للعشاء، ماذا تقول لله؟! لم أكن متوضئاً؟ لكن الذكر يجوز بوضوء وبغير وضوء، هل تقول: كنت نائماً؟! يقول الله: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران).

هل تقول: لم أكن في المسجد؟! يقول ﷺ:

{ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا } ٣٠١

فذكر الله في أي موضع، وفي أي مكان ...

حتى لو أنك قضيت شهوتك في أول الليل، أو في آخر الليل وأجلت الاغتسال إلى الفجر، فلا تستطيع قراءة القرآن أو الصلاة أو الإمساك بالمصحف، ولكن لا مانع أن تذكر الله، حتى لا تنام وأنت غافل .. فلا يوجد أبداً لأي مؤمن عُذرٌ في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل !! وماذا يعني العذر؟

يعني عذراً شرعياً جاء في شريعة الله، لكن لو أنك تحتلق أعذاراً فليس لنا شأن بهذا، فالمهم لائحة الأعذار الإلهية التي نزل بها المصطفى خير البرية ﷺ، ماذا تقول لله في ترك ذكر الله؟! ليس لك عُذرٌ أبداً.

فالمداومة على ذكر الله على كل حالة من الحالات هي التي تُرقق القلب، وتزيل صدأه، وتبرز نوره، وتجعل نوره يظهر على نور وجهك يوم القيامة، ويكون باطنك نور، وظاهره نور، وتكون كلك نوراً على نور ... هؤلاء أين يكونون؟

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ :

وهذا منظر من المناظر التي سيكونون فيها، لأن هؤلاء هم الوجهاء عند الله:

﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١٦٩ الأحزاب):

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ :

لا يوجد - كما قلنا قبل ذلك - في الجنة كراسي ولا كتب أو مصاطب، لكن كلهم على أسِرَّةٍ، والأسِرَّةُ ورد أن: (ارتفاع السرير كسفر مائة فرسخ!) فانظر مدى طوله، والسرير يكون عالياً حتى أرى كل أملاكي وممتلكاتي ونعيمي الذي تفضل به عليّ المنعم ﷺ.

والسرير يفهم، فإذا أردت أن أزور أخي فلان في الجنة، فيتحرك من نفسه حتى يُوصلي لأخي فلان، فلا يحتاج لكلام أو أمر لأنه في خدمة الإنسان بأمرٍ من حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ :

تجد أيضاً أمامك أكواباً كثيرة مملوءة، فتشرب من هذا أو من هذا، كما تشاء.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ :

والنمارق هي المخدات الصغيرة التي نتمتع بها لأنك أنت ذاهب للمتعة، فلا بد أن يتمتعك الله النعيم المقيم في الدار الآخرة إن شاء الله.

لأننا تعبنا في الدنيا، فتنام على السرير وعندك المخدات بدون حساب، فتضعها تحت رأسك أو تحت إبطك، فكما تريد.

﴿ وَزُرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ :

وزرابي يعني السجّاد، فالأرض كلها سجاد رباني، ومبثوثة يعني منتشرة في كل مكان، وهذا مشهد بسيط من مشاهد الجنة التي كلنا سنتمتع بها إن شاء الله بفضل الله، وبرحمة الله، وبركة رسول الله ﷺ.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يُيسِّرَ ألسنتنا لذكره، وأن يُنظِّفَ قلوبنا من كل شيء غيره، وأن يجعل نياتنا خالصةً في كل عمل ابتغاء وجهه، وأن يتولانا في الدنيا برعايته وعنايته، وتوفيقه وهدايته، ولا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾

فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ (الفجر)

١٨. النفس المطمئنة ٣٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين، الذي أعدَّ لعباده المؤمنين المتقين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله الذي أجلى لنا الحقائق القرآنية التي في كتاب الله، وبينها وفصلها كأنها رأي العين، صلى الله عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهداه، وأصحابه الذين شاركوه وآذروه وعاونوه في نشر دعوة الله، وأتباعه الحاملين لرسالة الله، ومَنْ حولهم من جموع المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

هذه الآيات التي معنا توضح قضية تهم كل إنسان، لكن نحتاج جماعة المؤمنين في توضيحها إلى الرجوع إلى بيان النبي العدنان ﷺ، حتى تطمئن قلوب أهل الإيمان، ويفرح أهل الإحسان، ويستبشر أهل الإيقان بما أعدَّه حضرة الرحمن للمؤمن والمحسن والموقن حال خروجه من الدنيا إلى لقاء الله تبارك وتعالى.

بعض الأئمة في العصور الماضية . ساء لهم الله . كانوا يعتمدون على كتب ليس لها مصداقية، وكان كل همهم تخويف الناس من الكريم الحنان المنان، وتخويف الناس من الموت، وتخويف الناس من الحساب ويوم القيامة، مع أن هذا التخويف ذكره الله ﷻ للكافرين والمشركين، وهناك بيان آخر كله تبشير للمؤمنين.

ووضعوا كتباً ليس لها أساس من الصحة في الدين، وكثير من شبابنا عندما يذهب إلى الأعتاب المقدسة عند سيدنا الحسين وعند السيدة زينب وغيرهم، يجد على الأبواب أناس معهم كتب يبيعونها، فيشترونها، لكن قبل أن تشتري أي كتاب اسأل أولاً أولي الأبواب عن الكتاب الذي ينفع لتثريته.

فمثلاً هناك كتاب عن قصة وفاة النبي لمعاذ بن جبل، وهل معاذ بن جبل ألف كتاباً وسماه قصة وفاة النبي؟! لم يحدث، لكن الكتاب يريدون ترويج البضاعة، فألف أحدهم كتاب في وفاة النبي، ونسبه لمعاذ بن جبل، حتى يشتريه الناس!.

وكل اللاحقين إلى يوم الدين، لكن لا نراه بهذه العيون، لأنه من الغيب المكنون، والسر المضمون، والذي يراه هو الذي أخلص مع الله، وكشف الله نور بصيرته، فأصبح ينظر بنور الله ﷻ، ما الدليل؟ سيدنا رسول الله ﷺ مرَّ على المقابر ووقف عند قبر، وهذا القبر كان مدفون فيه اثنين، فقال:

{ إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ } ٣٠٤

أحدهما كان لا يستبرئ من بوله، يعني لا يطمئن إلى أن كل البول الذي فيه ينزل، وبعدها يغسل، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة، يعني ينقل الكلام من هذا لهذا ليوقع بينهما ... هل يوجد أحد ممن حول حضرة النبي رأى ما رآه النبي؟! لا، لماذا؟ لأنهما في عالم البرزخ، وهل الميت يشعر بالعذاب؟ نعم، ولذلك لا بد أن يكون حياً، ولكنها حياة أخرى غير الحياة التي نحن فيها الآن، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ } ٣٠٥

فالبرزخ عبارة عن روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفر النار، ونحن إن شاء الله سنكون في روضة من رياض الجنة، فالذي يدخل هذه الروضة هل يشعر بالنعيم، أم لا يشعر به؟! لا بد أن يشعر بالنعيم، ويتلذذ بهذا النعيم، ويشعر بهذا التكرم، بشعور إلهي رباني يجعله له العزيز الحكيم ﷻ، ولذلك ذكر الله قبل الآيات التي معنا حال غير المؤمنين:

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١٦﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٧﴾ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١٨﴾ ﴾ (الفجر)

وأنا أريد منكم أن تتبها جيداً من ألفاظ القرآن، فعندما يقول: (يا أيها الذين آمنوا) غير ما يقول: (يا أيها الناس) فلو قال: (يا أيها الذين آمنوا) فهو يكلمنا نحن أهل الإيمان، وإذا قال: (يا أيها الناس) فهو فيخاطب الناس كلهم.

٣٠٤ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٠٥ جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لذلك لا يصح أن آتي بالكلام الذي يُخاطب الله به الناس وأوجهه للمؤمنين، لأن هذا شيء وهذا شيء آخر، وكل إنسان له جوابه وخطابه من الله تبارك وتعالى.

فالإِنسان؛ أي إنسان بعيد عن أهل الإيمان يقول: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤ الفجر) لم يقل: قدمت لمماتي، ولكن (قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) ولكنها حياة أخرى غير الحياة التي أَلفناها وعرفناها، الحياة التي نحن فيها يُقَيِّدنا فيها الجسم لأننا مشغولون به، لكن بمجرد أن ينشغل الإنسان بالله، فعندما ينام الجسم تخرج الروح وتتهنئ بما عند الله في المنام كما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فتذهب إلى الجنة، أو تذهب للسموات، أو تذهب للعرش، أو تذهب للكرس، تتنعم وتتهنئ، أو تذهب للبيت الحرام وتطوف حوله وتسعى، أو تذهب لتزور حضرة النبي، لأنه قد فُكَّ حصارها عن الجسم.

عندما يُفكُّ الحصار نهائياً بالموت، وينتهي الجسم، ويرجع إلى أصله مرة ثانية، فأين تكون الروح؟ تكون في إطلاق تام إذا كانت روح مؤمنة تقية نقية، وإذا كانت روح - والعباد بالله - شقية، فهذه الروح تُسجن، وتبقى في السجن إلى أن يأتي العرض يوم القيامة.

لكن المؤمن يطير كما يريد، يطير بين أشجار الجنة، ويطير في كل عوالم الدنيا، لأنه يكون في حياة مطلقة، ولكنها حياة أخرى، والتي نسميها الحياة البرزخية.

وصف الموت للمؤمن

كيف يحدث الموت للمؤمن؟

سيدنا رسول الله ﷺ كان في جنازة أحد أصحابه في البقيع، وجلس وأمسك بعضاً صغيرة وأخذ ينكت بها في الأرض، وبين لأصحابه كل أسرار الموت، فقال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبْضُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ،

فِيأْخُذَهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ ، بِأَخْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ} ٣٠٦

إن العبد المؤمن إذا كان في إِدبار من الدنيا، وإقبالٍ على الآخرة جاءه ملائكةٌ من الجنة معهم حنوطٌ - يعني عطر طيب الرائحة - من الجنة، ومعهم كفنٌ من الجنة، يجلسون منه مدَّ البصر، وكيف يُخرجون روحه؟ عندما يقفون أمامه يقولون:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ۖ ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مرضيةً ﴾

فتخرج الروح؟

وكيف تخرج يا رسول الله هل بتعب ومشقة وألم؟

أخبر أنها تنزل كما تنزل قطرة الماء من فيِّ السقاء، ليس فيها تعب، أو عناء !!

فيقولون له: أبشر بخير يوم مرَّ عليك مُدِّ ولدتك أملك لأنك ستقابل الله ﷻ!

فيأخذونها ويلفونها في الحريرة الخضراء التي أتوا بها من الجنة ويضعون عليها عطر ، يتركوا لنا تجهيز الجسم، لماذا؟ تكريماً للإنسان، لأن الله قَدَّر للإنسان تكريمه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (١٧٠ الإسراء) ولأنه كَرَّمَهُ فلا بد أن نُغَسِّله ونُكَفِّنه ونُصَلِّي عليه

ونواربه في موضع قبره بالشروط الشرعية التي بيَّنها خير البرية ﷺ.

٣٠٦ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن البراء بن عازب ﷺ

مستقر أرواح المؤمنين

والروح ماذا تفعل؟ كما أخبر النبي ﷺ، تَمْتَرُ أَرْجَاءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يريدون أن يعلنوا أن فلان من المؤمنين قد مات، فتتسائل الملائكة: أيُّ وجيه من المؤمنين انتقل إلى جوار الله؟ فيقال: فلان ابن فلان، فتفتح أبواب السماوات، ويقف على باب كل سماء مقربوها ينتظرون روح هذا المؤمن الذي يذهب إلى حضرة الله تبارك وتعالى، ولذلك هؤلاء قال لهم الله: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص ٥٠) أبواب السماء مفتحة لهم.

أسرار صلاة الجنائز

ونحن جماعة المؤمنين في الدنيا يكرمنا الله، ويُكرم بنا، سنُصلي على الميت، والصلاة على الميت معناها الشفاعة، يعني كأننا نقول: يا رب من أجلنا ارحم هذا الرجل وأدخله الجنة، وحضرة النبي ﷺ بشرنا فقال:

{ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا
لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ } ٣٠٧

نفرض أنه لا يوجد أربعين، فعلينا أن نُكثر الصفوف، والصف يكفي فيه رجل واحد، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ } ٣٠٨

يعني لو صلى عليه ثلاثة وجبت له الجنة، والصلاة - كما قلت - شفاعة، وهؤلاء الذين صلوا كما جاء بالحديث الشريف:

{ أَوْلُ ثُحْفَلَةِ الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مَنْ تَبِعَ جَنَازَتَهُ } ٣٠٩

٣٠٧ صحيح مسلم وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٠٨ معجم الصحابة لابن قانع وابن ماجه وأحمد عن مالك بن هبيرة ﷺ
٣٠٩ رواه الديلمي عن أبي هريرة، وللبيزار والديلمي عن ابن عباس مرفوعا (أول ما يُجازي به العبد بعد موته أن يُغفر لجميع من تبع جنازته)

ما دام كان رجلاً من الصالحين، فكل من مشى في الجنازة مغفوراً له.

وفينا من تنزل الملائكة لتحضر جنازته وتُصلي عليه، رجل من أصحاب حضرة النبي
اسمه سعد بن معاذ ؓ حضرته الوفاة، وحضرة النبي ﷺ كان جالساً فأحس أن العرش يهتز،
ونزل سيدنا جبريل وقال:

{ مَنْ هَذَا الَّذِي فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ؟ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ } ٣١٠

ذهب سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن جهزوا جنازة سعد ليشارك في الجنازة، فقال ﷺ:

{ لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ
مَا وَطِئُوا الْأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَيْهِ } ٣١١

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: { لَمَّا حُمِلَتْ جِنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُتَأَفِّقُونَ:
مَا أَخَفَّ جِنَازَتُهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:
إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ } ٣١٢

من الذي كان يحمله؟

الملائكة، فالملائكة يصلون عليه، والملائكة هم الذين يحملونه.

كان النبي في غزوة تبوك، وهي جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية الآن ..

ونزل سيدنا جبريل فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ مُعَاوِيَةَ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمَزْنِي مَاتَ بِالْمَدِينَةِ، أَفْتَحِبُّ أَنْ
تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرْبُ بَجْنَاهِ الْأَرْضَ فَتَضَعُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَلِزْقٍ بِالْأَرْضِ،
وَرَفَعُ لَهُ سَرِيرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ أَيُّ شَيْءٍ أَتَى مُعَاوِيَةَ هَذَا الْفَضْلُ؟ }

٣١٠ الحاكم في المستدرک وفضائل الصحابة لابن حنبل

٣١١ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ؓ

٣١٢ جامع الترمذي والحاكم في المستدرک

صلى عليه ص فان الملائكة في كل صف
ستمائة ألف ملك، قال: بقراءة (قل هو الله أحد) كان يقرأها قائماً وقاعداً
وجالساً وذاهباً ونائماً { ٣١٣

موت المؤمنين يصفه لنا رب العالمين فيقول:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢: النحل)

الذين يقولون إن الموت أشد من سبعين ألف ضربة بالسيف، وفيه كذا وكذا!!، فهذا
للكافرين والمشركين، وليس للمؤمنين، فهؤلاء لهم معاملة، وهؤلاء لهم معاملة خاصة، فلا
يصح أبداً أن أذكر معاملة الكافرين وأخيف بها المؤمنين، لأن المؤمنين موعودون بالرحمة
التامة من رب العالمين ﷻ.

ونحن جماعة المؤمنين لأننا نسارع في تكريم المؤمن، فحضرة النبي يقول لنا:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً، وَلَمْ يَتَّبِعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا
الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أَحَدٍ } ٣١٤

يعني من يحضر الصلاة ويشيع الجنازة يكون له قيراطين من الجنة، وهذا غير أن الله
يغفر له كما ذكرنا من قبل.

ولذلك عندنا في الوجه البحري إذا مات أحد في الصباح، فنؤجل الدفن إلى صلاة
الظهر حتى يعود الناس من عملهم، ويشارك أكبر عدد ممكن في صلاة الجنازة،
ليأخذوا هذا الثواب.

وإذا مات قبل الظهر ننتظر إلى بعد صلاة العصر، يعني ننتظر إلى أي صلاة مكتوبة
حتى يتجهز الناس، وتجتمع، وتنال هذا الثواب، وهو أيضاً محتاج إلى هذا الجمع الكبير لأنهم
شفعاء له عند الله ﷻ.

٣١٣ رواه البيهقي في الدلائل وأبي يعلي عن أنس بن مالك ﷺ

٣١٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

وهذا لا يتنافى مع تعجيل الجنازة، لأن هذا التأخير لهدف، وفي نفس الوقت تخفيف على المعزين وعلى أهل الميت ...

فلو مات إنسان في صباح الجمعة، نؤجل الجنازة إلى ما بعد صلاة الجمعة، فالذي يأتي من الغرباء سيحضر الجنازة، وكذلك أهل المكان، وهذا ما نمشي عليه في الوجه البحري، أما كثير من أهل الوجه القبلي فإنهم يدفنون الميت عقب الوفاة مباشرة، وكله من دين الله ﷻ.

موت النفس

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾

لنعرف أن من يموت ليست الروح، فالذي يموت النفس، لكن الروح لا تموت أبداً، لأن الروح من الحي الذي لا يموت: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٧٢ص) والذي يموت النفس:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (٤٢النزم) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (١٨٥آل عمران)

فالذي يموت النفس!! لكن الروح لا تموت ولا تفوت لأنها نفخة الحي الذي لا يموت!. وفي إحدى القراءات المتواترة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْأَمِينَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾

النفس التي أخذت الأمان من الله، واطمأنت إلى إكرام الله، وفضل الله ﷻ:
﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾

ترجع إلى الله، وهل الذي يرجع إلى الله نحزن عليه!!؟

نحن نحزن على من يرجع إلى النار والعياذ بالله، لكن هذا راجع إلى الله!! الذي يذهب إلى بيت الله الحرام فإننا نقيم له الأفراح والزينات ونزفه وهو مسافر، فما بالناس من يذهب إلى الله!!؟ كيف يكون شأنه!!؟، ولذلك سيدنا بلال ؓ وهو في سكرات الموت أخذت زوجته تقول: واكرباه واحزنه، فقال لها: لا تقولي واكرباه ولا تقولي واحزنه، ولكن قولي: واطرباه واسروراه، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه. أنا ذاهب إلى رسول الله والذين من حوله، وهم ينتظروني، فلم تحزني من هذا الأمر!!؟.

حياة البرزخ

فالمؤمن لحظة خروجه من الدنيا يجد أهل الإيمان السابقين في انتظاره، ويقولون له:
حمداً لله على سلامتك!! وبعانقوه، ويقبلوه، ويأخذوه في المجالس الموجودة في عالم
البرزخ، ولا عد لها ولا حد لها... لأن البرزخ كله مجالس!!

ولكنها ليست مجالس هو ولا لغو، ولا لعب، وإنما مجالس علم، ومجالس ذكر، ومجالس
أنس، ومنهم من يعطيه الله العطاء العظيم، فيحظي بجوار حضرة النبي الكريم:
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (النساء: ٦٩).

كيف نصل إلى ذلك؟ سيدنا رسول الله ﷺ وهو رحيمٌ ورءوفٌ بالمؤمنين يسر لنا
الأمر، فقد سأله سيدنا أنس بن مالك رضي الله:

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ:

مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ:
أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ } ٣١٥

وقال: { الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ٣١٦

تخرج من الدنيا مع من كان يُحبك، فتكون معهم هناك على الدوام، فالأمر يحتاج إلى
الحب، والحب يقتضي أن الإنسان يتبع المحبوب في خصاله وأعماله وأخلاقه وأفعاله ليستحق
هذه المنزلة العظيمة مع رسول الله ﷺ وأصحابه المباركين.

﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ وما حالها؟ ...

﴿ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ ﴾ سيعطيك الله ما تطلبين إلى أن ترضي عن الله، وتكوني قد
أخذت كل الرضا من حضرة الله ﷻ.

٣١٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٣١٦ جامع الترمذي عن صفوان بن عسال ﷺ

صلاة النبي على الأتقياء

سيدنا رسول الله ﷺ أشار لنا إلى شيء آخر في كتاب الله - كلنا نسأل الله أن نكون من أهلها - فقال لهم: { يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ }^{٣١٩}

دار الزمن، وفي عصر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مات رجل من أصحاب رسول الله اسمه الربيع بن خراش رضي الله عنه، وكانوا أربعة إخوة، فخرج إخوته الثلاثة ليجهزوا الكفن، ويحفروا القبر، ويعملون اللازم لتشيعه، وكانوا قد غطوه بملاءة، ولما رجعوا فوجئوا أنه جلس، ورفع الملاءة وقال: إذا به يجلس ويرفع الغطاء ويقول:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ يَا أَحَا بَنِي عَبَسِ، أَبَعْدَ الْمَوْتِ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقَيْتُ رَبِّي ﷻ بَعْدَكُمْ، فَلَقَيْتُ رَبًّا غَيْرَ غَضْبَانَ، وَأَسْتَقْبَلَنِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، أَلَا وَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَعَجِّلُونِي وَلَا تُؤَخِّرُونِي }^{٣٢٠}

جاء يُصلي عليه بنفسه، وهذا أمر الله لرسوله في القرآن: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (التوبة ١٠٣) هل هذا في زمانه فقط أم علينا كلنا؟

في كل زمان، فالأتقياء والأتقياء يُصلي عليهم إمام الأولين والآخرين رضي الله عنه ... وماذا تعني صلاته؟ مات أحد الصحابة في عصره رضي الله عنه، وكانوا مهذبين ومؤدبين مع رسول الله، فلو وجدوه في بيته وأغلق عليه، يتركوه ولا يُشغلوه، فصلُّوا على هذا الرجل ودفنوه، فلما علم رسول الله ﷺ قال لهم:

{ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ }^{٣٢١}

ما الذي يُنور القبور؟

صلاة رسول الله ﷺ على المؤمنين والمؤمنات.

٣١٩ دلائل النبوة للبيهقي وحبلى الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

٣٢٠ حبلى الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

٣٢١ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

حال المؤمن عند الموت

حال المؤمن عند الموت:

في رضوان الله، وإكرام الله، وعطاء الله، يفرح ويقول لمن حوله:
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ طاهر):

لماذا تحزنون!!؟

أنا تركتُ لكم الهم والغم والمشاكل التي تعيشون فيها، وأنا ذاهب لحضرة الكريم في جنة النعيم، فيخرج من الدنيا إلى الحياة البرزخية في روضة من رياض الجنة.

الذي يريد أن يقرأ عن الموت، ويعرف المعاني الصحيحة، فهناك كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) للإمام القرطبي رحمته الله، أو كتاب: (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور) للإمام السيوطي رحمته الله، أو كتاب (الروح) للإمام ابن القيم رحمته الله، فهذه هي الكتب المعتمدة، ولا تأتي بالكتب الأخرى التي ليس لها أساس من الدين ولا من الشرع ولا من التاريخ، أو تقرأ كتب التفسير، فكتب التفسير كلها تتحدث عن فضل الله علينا في الموت.

وأنا في الحقيقة لي كُتِبَ صغير اسمه: **(بشائر المؤمن عند الموت) جمعتُ** فيه الأحاديث الواردة عن البشريات التي تأتي للميت، وجمعتُ فيه عشر بشريات من كتاب الله، ومن سنة رسول الله، التي يراها ساعة الموت ليستبشر بفضل الله، لأن الله ﷻ يحب المؤمن، وعندما يموت يريد أن يُبشره، فتأتيه هذه البشريات ليفرح بقاء الله، فيفرح الله ببقائه.

نسأل الله ﷻ أن يلحقنا بالصالحين، وأن يتوفانا مع الصادقين، وأن يجعلنا من عباده المستبشرين، وأن يوجهنا بفضلِهِ ورضوانِهِ في كل وقت وحين، وأن يجعلنا في الدنيا من عباده الذاكرين الشاكرين القائمين المصلين العابدين الطائعين لرب العالمين في كل وقت وحين، وأن يتوب علينا من كل ذنب فعلناه، ويمحو عنا كل إثم ارتكبناه، ويُبدل سيئاتنا بحسنات، ويرزقنا جميعاً صلاة الحبيب علينا عند الممات، وأن يجعل قبورنا روضةً من رياض الجنات

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ (الفجر)

١٩. إشارات العارفين في خواتيم سورة الفجر ٣٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا ببحار العلوم الإلهية مع حبيبه ومصطفاه، وأفاض علينا من بحار حضرته النبوية ما لو أخذ الإنسان منا ذرةً منها لأغنته في دنياه، وأعلت شأنه وقدره عند الله في أخراه، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذي قال له مولاه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء) وارزقنا الله أجمعين التأسى به في ما طلبه منه رب العالمين، بأن نُكرر على الدوام في كل لحظةٍ على مدى الأيام قول الملك العلام: ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤ طه) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطيبين، وصحابته المباركين، العلماء الحكماء الفقهاء .. الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

هناك إشارات للعارفين في تلكم الآيات القرآنية، للسالكين إلى رب البرية ﷺ.

الموتة الاختيارية

فإن الموت موتان، موتة إرادية، وموتة قهرية، وكل الناس يموتون الموتة القهرية: ... ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١٣٤ الأعراف).

أما الصالحون والمُخلصون، فيموتون موتةً بإرادتهم عن شهواتهم وحظوظهم وأهوائهم وإراداتهم فناءً في مراد الله تبارك وتعالى.

لا يكون له مرادٌ غير مراد مولاه، ولا تشتبه نفسه من الطيبات إلا النظر إلى جمال وجه الله، أو التمتع بوجه حبيب الله ومصطفاه.

هذه الأمور تحتاج إلى قول الإمام علي عليه السلام: ﴿ مَوْتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ﴾ القول سهل، ولكن المشكلة في التطبيق، فالحفاظ كثيرون، لكن الموفقين للعمل أقل من القليل.

هؤلاء يقول فيهم الله في كتاب الله: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي

من آداب النفس

وأهم ما يحتاج إلى الجهاد النفس، والنفس هي مجموعة الرغبات التي تسيطر على الإنسان وتتحكم فيه، وبحسب رغباتها نعطيها وصفها.

هي نفس واحدة لكن في البداية رغبته تكون في الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات، وتوسوس لي في صدري بما على الدوام، وقد قال لنا الله فيها: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٥٣ يوسف) هذه النفس اسمها النفس الأمارة.

إذا جاهدتها، ولم أسلم لها، وقاومتها، فأسألها: هل ما تريديه في شرع الله، أم مخالف لشرع الله؟! وأنا أريد الجهاد، ففي البداية قد لا أستطيع جهادها، فتضحك عليّ أحياناً، وعندما تضحك عليّ، فإن النفس الأخرى تلومني وتؤنّبني وتوبخني، وهذه اسمها النفس اللوامة: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٢ القيامة).

وهي بداية السير الصحيح في الطريق إلى الله ﷻ، أنها تلومني كلما أخطئ، وكلما أسهو، وكلما أنسى، وكلما أجفو، لأستقيم على النهج السوي الذي كان عليه حضرة النبي ﷺ وصحبه الكرام.

فإذا مشيت في جهاد هذه النفس، وقويت النفس اللوامة، فإن الله يُعيني من عنده، ويُعطيني النفس الملهمة، التي تُلهمني بفعل الخير، وتنبهني للبعد عن عمل الشر وما يُغضب الله ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ (الشمس).

وكما قلت: هذه كلها أوصاف لمرحلة من مراحل النفس، وهذه الأمور والحمد لله قد استوفيناها شرحاً وتفصيلاً في كتاب عظيم قد لا يُوجد له شبيهة في اللغة العربية اسمه **(النفس وصفها وتزكيتها)** وهذا الكتاب يقرأه الباحثون، كمرجع لهم في رسائل الدكتوراه والماجستير، ونحن جميعاً في حاجة إلى دكتوراه في معرفة الله!.

ولكي أجاهد في هذا المقام لا بد أن هذه الإلهامات وهذه الخواطر بميزان الشريعة المطهرة، فكل إلهام أُلهمت به أعرضه على شرع الله، فإن رأيت موافقاً لشرع الله أمضيته واستعنت بحول الله وطول الله وقوة الله جل في علاه.

وإن رأيتنه يخالف شرع الله ضربت به عرض الحائط، لأنه يكون إلهاماً من النفس الإبليسية، نسأل الله الحفظ منها ومن وساوسها أجمعين.

وإذا مشيتُ على هذا المنهج العلمي في الإلهام وميزانه بشرع الملك العلام، سأصل إلى مقام أسمع النداء في باطني بدون آذان ولا أصمخة ولا هواء: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ التي اطمأنت إلى ذكر الله، واطمأنت إلى طاعة الله، واطمأنت للاقتداء بسيدنا رسول الله، واطمأنت إلى توحيد المطلب، فلا تطلب غير وجه الله.

أين تذهب؟ ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ فيعيدنها إلى المربي الأعظم ﷺ، والرب هنا الذي يقوم بالتربية، ومن الذي يقوم بالتربية لكل الأولين والآخرين؟ سيدنا رسول الله ﷺ.

﴿رَاضِيَةٌ مَّرْضِيَةٌ﴾ فيخلع عليها خلع الرضا، ويوافيها بالفتوحات، ويواليها بالإكرامات، إلى أن تكون راضية تمام الرضا عن هذه العطاءات وهذه الفتوحات، وهذه اسمها (النفس الراضية) ليست راضية بالمال والعيال وما شابه، لكنها راضية بالعطاء الذي حُصَّ به الصالحون والأولياء.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ بعد أن ترضى بهذا العطاء، فإن الله ﷻ يُزيدها من عنده، فيحاول أن يتلمَّس رضاها، ويُدخلها في قوله: ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر ٣٤) وهؤلاء يقولون فيهم: إن لله عبادة لا يحوجهم الله إلى حركة اللسان، وإنما يستجيب لهم فوراً بما يخطر على القلب والجنان.

بدون أن يسأل، فيكون حاله كحال أهل الجنة التي وصفناها، فبمجرد أن يخطر على باله شيء، يجد هذا الشيء أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه، تسخيراً من الله، وتذليلاً من الله لأنه ارتقى إلى مقام النفس المرضية، والنفس المرضية يسعى كل الكون في ارضائها، فتتنافس الملائكة في ارضائها، وتتنافس الكائنات جميعاً في ارضائها، لماذا؟ لأنها نالت الرضا من الله، ودخلت في قول الله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المجادلة ٢٢) أخذت الحسينين.

فإذا أكرم الله هذا العبد، وأظهر الله ﷻ زُهده في كل هذه المقامات، فكلما عرضوا عليه شيء، يقول: أنا لا أريد إلا وجه الله، فيجمله الله بنفس مُجَدِّية اسمها (النفس الكلية)

فيأخذ الوراثة الجامعة لسيدنا رسول الله ﷺ.

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ كان من هؤلاء الرجال ...

صلى العشاء ذات يوم في بيت الله وخرج إلى منزله، وأحد الذين يتعشّقوا أحوال الصالحين مشى خلفه، يريد أن يعرف كيف حال هذا الرجل مع الله في خلوته.

فدخل الخلوة، وجلس الرجل ينظر، فنوى الشيخ أن يُصلي ركعتين لله، وبقي الليل كله واقفاً بين يدي مولاه، وكأنه في حالة ذهول وغائب، لأنه في مشاهدات عليّة، والإنسان في حال المشاهدات لا يشعر ولا يحس بمن حوله من الكائنات، وهذا حال كل الصالحين.

سيدي أحمد البدوي ﷺ كان يختلي في غار حراء الذي كان يختلي فيه حضرة النبي، ومكث فيه سبع سنين، وكان آونة يقف أمام الغار أربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يجلس، لأنه مأخوذاً!

وهذه الأحوال لا نتشبه بها، ولا نقلدهم في اتيانها، لأنه مأخوذ من عند الله ومعان، فلو عملتها من نفسي سيكليتي الله إلى نفسي ولا أستطيع عمل شيئاً.

وعند مقربة الفجر ختم الركعتين وسلّم، فنظر فوجد الرجل جالساً، فقال له: منذ متى وأنت هنا؟ قال: منذ صلاة العشاء، فقال له: وماذا تريد؟

قال: أريد أن تحكي لي شيئاً مما رأيته في هذه الليلة؟ قال: لا تستطيع أن تتحمّل، فأخذ يتوسّل إليه، ويستعين بذكر النبي ﷺ متوسلاً والصالحين لديه، ليحكي له شيئاً مما رآه في هذه الليلة، وفي النهاية قال: سأخبرك بشيء تستطيع تحمله:

فقد أخذ الله روعي في هذه الليلة وعرض عليّ جمالات الدنيا كلها، فقالت: وعزتك وجلالك لا أريد هذا، فعرض عليّ جمال عوالم الملكوت، فقالت: وعزتك وجلالك لا أريد هذا، فعرض عليّ جمالات الجنة، فقالت: وعزتك وجلالك لا أريد هذا، وكلما عرض عليّ عالم من العوالم العلية، أقول: وعزتك وجلالك لا أريد هذا !!

فأوقفني بين يديه، وقال: وماذا تريد؟ قلت:

لا أريد إلا جمال وجهك !، قال: أنت عبيدي حقاً ..، ووليّ صدقاً.

أهل المنازل العالية في الجنة

فهؤلاء هم أصحاب الأحوال العالية ...

وقد ورد في الآثار المتنوعة أن أهل الإيمان سيدخلون الجنة ويضعونهم في أعلى المنازل الراقية في الجنان، ويأمر الله الملائكة أن تعرض عليهم كل طرائف الجنة ومُتَع الجنة، فلا يرضون بالطعام والشراب ولا بأي مُتعة من هذه المتع، فتسألهم الملائكة عن سر ذلك، فيقولون: تركناها ونحن أحوج ما نكون إليها في الدنيا، وعزتك وجلالك لا نريد إلا جمال وجهك، كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثُرِيدُونَ شَيْئًا أَرِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّنْ وَجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }^{٣٢٤}

هل دخلنا الجنة للطعام والشراب والنساء وغير ذلك!!؟ لا، بل لأن فيها وجه الله.

رجل صحابي عظيم قالوا له: هل تُحب الجنة؟ قال: نعم، قالوا: ولم؟ قال: لأن فيها رسول الله ﷺ!!.

ليس لأن فيها الحور والقصور والبساتين، ولكن أنا داخل الجنة لأن فيها رسول الله ﷺ، وهي الموضع الذي يتجلى علينا الله فيه بوجهه الجميل:

{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٧﴾ } (القيامة)

هؤلاء يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها
لا تُفء لله يحجبهم فيبيعدهم

ماذا يفعلون بالجنة وما في الجنة!؟

فكل واحد منا عندما يخرج من الدنيا ... يظهر له مقعده في الجنة ... ونعيمه المجهز

٣٢٤ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ
وَالْأُولَىٰ ﴿ ٢ ﴾ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَىٰ ﴿ ٣ ﴾ لَا
يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿ ٤ ﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
﴿ ٥ ﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَىٰ ﴿ ٦ ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتْرَكِي ﴿ ٧ ﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ
﴿ ٨ ﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿ ٩ ﴾ وَلَسَوْفَ
يَرْضَىٰ ﴿ ١٠ ﴾ (الليل)

٢٠. الأتقى ٣٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ - الحمد الذي ذكر لنا في قرآنه الكريم النماذج الطيبة لخاصة المؤمنين، وأعلى المقربين، وما لهم من عظيم الأجر والثواب والعطاء عند رب العالمين ﷻ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، مصدر كل الخيرات، وكنز كل المبرات، والأسوة الطيبة للصالحين والصالحات، والشفيع الأعظم لجميع الكائنات يوم الميقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يارب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم لوحة شرف أعطها الله لسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه، حتى إذا أراد أي أحد من المؤمنين من بعده إلى يوم الدين التكريم الإلهي، وأراد الشرف الأعلى، وأراد العطاء الأعلى، فينظر إلى هذا النموذج الكريم الذي بينه لن العزيز الحكيم ﷻ.

الهدى هدى الله

وبداً الله ﷻ هذه الآيات بإقرار حقيقة ينبغي أن نعيها جيداً جماعة المؤمنين، لنعرف فضل الله علينا بالإيمان، فنشكره تبارك وتعالى على نعم الإيمان في كل وقت وحين: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ الهدى بيد الله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ (٢٧٣ آل عمران).

فلو أنت أحببت إنساناً حباً شديداً وهو بعيد عن الله، وأردت أن تقربه إلى حضرة الله، فإن لم يكن له نصيب من فتح الله فهل تستطيع أن تفعل معه شيء؟! لا، حتى ولو كان ابنك، فسيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام حاول مع ابنه المستحيل لكن لا فائدة، لأن الهداية من الله ﷻ.

وسيدنا رسول الله ﷺ عمه أبو طالب كان هو سنده، وهو الذي يدافع عنه، وهو الذي يصد الكافرين، فكان يطمع في أن يؤمن ليحظى بشفاعته عند رب العالمين، ... فقال له الله وقال لنا كلنا:

الكوكب المنال مطبوع نفسي أيضاً المطبوعين

فقال لهما: ما هذا الذي سمعته قبل أن أدخل؟ .. فقالوا له: هذه آيات من القرآن، فقال: أريد أن أسمعها، فخرج القاريء من محبأه لأنه اطمأن، فقالت له أخته: لا تستطيع سماعها وأنت مشرك نجس، ولكن يجب أن تغتسل أولاً، وتتوب إلى الله حتى نسمعك كلام الله جل في علاه.

ثم قرأ القاريء آيات من أول سورة طه: ﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ تَخْشَى ﴿ ١ ﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿ ٢ ﴾ (طه) فانشرح صدره للإسلام ونطق بالشهادتين في الحال.

ثم ذهب لحضرة النبي ﷺ، وحضرة النبي في بداية الدعوة كان يجتمع بأصحابه في دار رجل اسمه الأرقم بن أبي الأرقم سراً حتى لا يعرف أحد مكانهم.

وكانوا قد جعلوا طرقة مخصوصة على الباب لهم، فالذي يطرق هذه الطرقة يعرفوا أنه منهم فيفتحون له ويظنون كما هم، والذي يطرق طرقة مخالفة يخبثون خوفاً من أن تكون كتيبة من الكافرين والمشركين جاءت لتؤذيهم أو تسبب لهم أي ألم.

فطرق عمر الباب وسمعوا صوته، فقاموا ليخبتأوا، فمنعهم رسول الله ﷺ، وأمرهم بالبقاء مكانهم، لأن رسول الله ﷺ عرفه ربه، ودخل سيدنا عمر وأعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مَثْنَا وَإِنْ حَيَيْنَا؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مَثُمْ وَإِنْ حَيَيْتُمْ، قَالَ: فَفِيمَ الْاِخْتِفَاءِ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَيْنِ، حَمْزَةٌ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الْآخِرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ فَأَصَابَتْهُمْ كَأَبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا } ٣٢٧

خرجوا في صفين، الصف الأول أمامه عمر بن الخطاب، والصف الثاني أمامه حمزة بن عبد المطلب، وحضرة النبي ﷺ مشى في المؤخرة في المنتصف، وخرجوا في هذا الكوكب من

٣٢٧ دلائل النبوة لأبي نعم عن ابن عباس رضي الله عنهما

دار الأرقم بن أبي الأرقم حتى وصلوا إلى الكعبة.

وهذه سنة المواكب التي اتخذها السادة الصوفية عليهم السلام وأرضاهم، فقد أخذوها من هذه، حتى لا يقول أحد: لماذا تصنعون هذه المواكب؟! وما مصدرها؟! هذا مصدرها، فهي واردة في الأحاديث الصحيحة.

ومشى الموكب حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام ودخلوا جميعاً وصلوا أمام قريش، ولم تستطع قريش أن تقدم لهم أي ايداء لأن الله تعالى عصمهم وحفظهم من ذلك بحفظه وصيانتته تبارك وتعالى.

فنحن علينا هداية البيان لأي إنسان، والذي نحب ندعوا له، ونلج في الدعاء، والله تعالى وعدنا بأن يستجيب لنا الدعاء، وبسبب استجابة الدعاء قد تتحقق الهداية لهذا الرجل، أو لهذه المرأة، أو لهذا الولد، أو لهذه البنت.

كثير من الأحباب المؤمنين يرى ابنه في فترة من الفترات كفترة الشباب وقد أخذه الطيش، لأن فترة الشباب كلها غرور، فيتسرع الأب ويدعو عليه، لماذا يا أخي؟! أنا أحزن عندما أرى أحد من المؤمنين يدعو على أحد من أولاده!! والنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ لا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ،
وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةً نِيْلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ } ٣٢٨

فلو استجاب الله لك ستندم، لأنك أنت الذي ستحمل ذلك، فلو دعوت على ابنك بأن يبتليه الله بمرض!!، فمن الذي سيحمله عندما يمرض؟! أنت، وستطوف به البلاد للعلاج، لكن لو دعوت له بالهداية فهذا أفضل.

نريد من المؤمنين أن يستبدلوا بالدعاء على، إلى الدعاء إلى، فبدلاً من أن ندعوا على الأولاد وعلى البنات وعلى الأموال ندعوا لهم، والدعاء لهم محقق الإجابة إن شاء الله، وبهذا وعدنا الله، وبهذا أمرنا سيدنا الله تعالى.

لو دعوت لابني بالهداية فلا أستعجل، ولكن أصبر، لأن عليّ الدعاء، والله ﷻ يستجيب لك في الوقت الذي يشاء فيه، لا في الوقت الذي تريده أنت، يستجيب لك في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد، لأنه أعلم بمصالح العبيد ﷻ.

الصادق مع الله في غنى في الدارين

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾

كثير من الناس يعتقد أن الذي يمشي في طريق الله سيكون له الآخرة فقط، لكن كل الذي يمشي في طريق الله صادقاً فله الدنيا والآخرة.

والأولى هي الدنيا، ونحن رأينا ذلك، فلا يوجد رجل صدق مع مولاه إلا وأحياه الله الحياة الطيبة، وفرّحه بكل ما له وما حوله، وله بعد ذلك في الآخرة ما يشاء الله من النعيم المقيم، وجوار النبي الرؤوف الرحيم ﷺ.

فتريد أن نُلغي هذه الفكرة، لأن كثير من الناس تدعوه إلى السير في طريق الله، فيقول لك، أنتم تريدون الآخرة، ولكن أنا أريد أن أرى الدنيا أولاً، وبعدها أسير معكم!!.

لكن أقرب طريق لنوال متع الدنيا طريق الله ﷻ، فالقانون الإلهي قال:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ماذا له في الدنيا؟

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧ النحل) والحياة الطيبة ليس شرطاً أن يسكن في فيلا، أو يكون معه سيارة أحدث موديل، لكن أهم من ذلك أن يعطيه الله راحة البال، فهل هناك نعمة في الدنيا أغلى من راحة البال؟! لا يوجد أبداً.

فلو نام الإنسان على تراب ولكنه مرتاح البال فسيكون نومه هنيئاً مريئاً، ولو نام في قصر، وعلى سرير إيطالي أو ألماني ولكن عنده هموم ومشاكل، فإنه يظل طوال الليل يتقلب يميناً وشمالاً، ويركبه الهم والمشاكل، وفي الصباح يقول: لم أتم طوال الليل لحظة واحدة!!.

فالذي يُنمّ ليست القטיפه أو الحرير، لكن راحة البال!!

فالرجل الذي كان وزيراً في بلاد فارس، وأراد أن يزور عاصمة الدولة الإسلامية ويرى الخليفة، فوصل الرجل بعد صلاة الظهر، فسأل عن الخليفة، فلم يعرفوا مكانه، لأنه ليس له

حرس ولا سكرتارية ولا مجلس رئاسة ولا شيء من ذلك، فمشى معه رجل لبحث له عنه، وهذا الوزير كان يعرف أن الملوك في بلاد فارس لهم قصور، وحرس أشداء، وبذخ وترف ومجوهرات، وأشياء لا تخطر على البال، ولذلك كان يعتقد أن الخليفة له قصر مثل ذلك.

فمشى مع الرجل حتى وجدا سيدنا عمر نائماً على الأرض تحت شجرة، لأن الجو كان حاراً، فذهب عمر ليستظل بها ونام على الأرض بدون فرش ولا غيره!! فنظر إليه الرجل وقال:

(حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر!)

بسبب العدل أصبحت آمناً من كل الناس، فليس لك أعداء، لكن الأكاسرة والقيصرة يخافون حتى من أقرب المقربين لهم، بل إن معظمهم لا يأكل طعام إلا إذا ذاقه الطباخ أمامه أولاً، حتى يطمئن خوفاً أن يضع له فيم سم!!.

راحة البال

فراحة البال يجعلها الله للمؤمنين في حياتهم الدنيا، وراحة البال تأتي من أن الله ﷻ يحقق لي ما أتمناه، ولا يعطيني الذي يُطغيني ويُلهيني ويُنسيني رب العالمين، فيعطيني على قدر حالي، فلو احتجت أربعمئة جنية في الشهر، يأتيني بهم الله، لكن يُنزل معهم البركة، فيكفوني وزيادة!!، ولو احتجت إلى ألف جنية في الشهر يأتيني بهم، ومعهم البركة فيكفوني وزيادة.

وهذه هي الحياة الطيبة التي جعلها الله للمؤمنين والمؤمنات في الدنيا، أن الإنسان ينام وليس في قلبه حقد على أحد، ولا كره ولا بغض لأحد، ولا بينه وبين أحد عداً، وإنما قلبه سليم لأنه جهّزه لمناجاة الكريم ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل ٩٧) وفي الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل ٩٧)

أخبرنا الله لنتبه أن الدنيا والآخرة لنا، فالرجل الذي يمشي في طريق الله، ويأخذ بضاعة الله، سيكفيه كل هموم دنياه، ويكفيه كل ما يخاف منه ويخشاه في أخراه، ... ويكون في أمن الله ﷻ.

النار والمؤمن

ثم بعد ذلك يبين الله لنا النار لنعرف أنه لا علاقة لنا بها:

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾

وتَلَظَّى يعني توقد، ونار الآخرة:

﴿ وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٢٤ البقرة).

لكن مَنْ الذي يدخلها: ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ ويصلاها يعني يذوق عذابها، وَمَنْ الْأَشْقَى؟ قيل: الْأَشْقَى هو الذي لم يؤمن بالله ورسوله، يعني الكافر والمشرك، وهم الذين سبقت لهم الشقاوة من عند الله ﷻ، فلو عرضنا عليه كتاب الله، أو عرضنا عليه دين الله سيكذب: ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ويعرض عنا أيضاً.

لكننا لا شأن لنا بها: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ الأتقياء لا شأن لهم بالنار من بعيد أو من قريب، لكن بعد أن ندخل الجنة ونتمتع بها، سيتم عمل رحلة للمؤمنين إلى جهنم ليشاهدوا أهلها، حتى نعرف فضل الله علينا!!، فنذهب، وعندما يدخل الواحد فينا جهنم ستقول له كما أخبر ﷺ:

{ تَقُولُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ جُزْيًا مُؤْمِنٌ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لِهَيْبِي } ٣٢٩

تريد أن لا تنطفأ لتُعذب هؤلاء القوم، وكما نحن نقول في المثل: (النار لا تحرق مؤمن أبداً!) فحتى عندما يدخل فيها تطلب منه أن يمر سريعاً خوفاً من نوره أن يطفئوها.

عندما يريد ملائكة النار أن يزيدوا من عذاب أهل النهار يكشفون لهم عن أصحابهم في الجنة، لكن وهم في مكاتهم، فيرونهم من فوقهم، فيقولون لهم كما أخبر القرآن:

﴿ أْفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (١٥٠ الأعراف) حتى ولو قطرة

ماء، أو شيء مما أعطاه الله لكم، لكن يقولون لهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١٥٠ الأعراف).

صفات الأتقى

﴿ وَسُجِّنَ بِهَا الْأَتَقَى ﴾ الأتقى هو الذي يخشى الله، ويعمل بما أمره مولاه، ويتبعه عن كل ما عنه ناه ﷺ، ويقتدي في كل أعماله وأحواله بسيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ ويتزكى هنا ليس معناها إخراج الزكاة، ولكن يُخرج ماله ليطهر نفسه، ويُطهر ماله، ويزداد إقبالاً على الله تبارك وتعالى، هذه الآية :
 ﴿ وَسُجِّنَ بِهَا الْأَتَقَى ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿ ﴾ نزلت في سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فأهل مكة كانوا أشداء على المسلمين وخاصة الضعفاء، لكن الذي من عائلة كانوا يخافون منه بسبب عائلته، فالذين ليس لهم أحد، وهم بصفة خاصة الذين كانوا عبيداً، وكانوا يبيعونهم ويشترونهم، فهؤلاء كانوا يشتدون في عذابهم أشد العذاب.

سيدنا بلال رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ كان عبداً عند أحد الكافرين وهو أمية بن خلف، فكأن يأخذه في الحر الشديد، وحر مكة شديد جداً، ويذهب به إلى الصحراء، ويخلع له ملابسه ويجعله عرياناً، ويلقيه على رمل الصحراء، والرمل في هذا الوقت يكون كالفرن، ويأمر الآخرين من العبيد أن يضعوا صخوراً كبيرة على صدره، حتى لا يستطيع أن يتحرك يميناً ولا شمالاً!!، وكذلك يضربونه بالسياط، ويقول له: لن نرفع عنك هذا العذاب إلا إذا رجعت للكفر، وهو لا يزيد عن قول: أحد أحد أحد، والأحد هو الله ﷻ، سيدنا رسول الله ﷺ مر عليه في يوم، فوجده لا يزيد عن قول: أحد أحد ... فقال له ﷺ:

{ سَيُنْجِيكَ أَحَدًا أَحَدًا يَا بِلَالُ } ٣٣٠

وبعدها قابل سيدنا أبو بكر، وانظر إلى الصادقين، لا يحتاجون لأوامر ولكن بالتلميح، فالذي يحتاج إلا الأوامر هو مسكين في طريق الله ﷻ، لأنه لا يعمل شيء إلى إذا طلبت منه وتلح عليه، وهذا لا يصح، فحكى رسول الله لأبي بكر ما يحدث لبلال من العذاب، ففهم سيدنا أبو بكر أن رسول الله يريد منه أن يفدي بلال، فذهب إلى أمية بن خلف، وقال له: لما ذا تفعل به ذلك؟! هل تبعه لي؟ فوافق، ولكنه أخذ يساوم، وأراد أن يأخذ فيه أضعاف الثمن، سيدنا بلال لم يكن يملك شيء، لأن بعض العبيد كانوا عند أسيادهم يصنعون

لأنفسهم ثروة فيتركوهم، وكان عند سيدنا أبو بكر عبد ذكي، فكان يملك عشرة آلاف من الغنم، وكذا وكذا من المال من إنتاجه، غير خدمته لأبي بكر، فعرض عليه أبو بكر أن يدخل في الإسلام ويترك له أمواله، فرفض هذا العبد، فوجدها أبو بكر فرصة، فقال لأمية بن خلف: أنا سأعطيك العبد فلان وأخذ منك بلال، فوافق، وأخذ بلال وأعتقه، الكافرون بطبيعتهم يحبون الإشاعات، فقالوا: لا بد أن بلال له يد على أبي بكر، وله جمائل عليه، لذلك اشتراه وأعتقه، لأنهم لا يعتقدون أن أحد يعمل شيء لله .. وكثير من أهل زماننا هكذا، فالكثير لا يقضي مصلحة لأحد إلا إذا كان مقابل مصلحة، ولا يُصدّق أن هناك أحد يقضي مصلحة لأحد لوجه الله!!، بسبب الذي يعيش فيه.

فرد الله على الكافرين وقال لهم: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَى ﴾ ليس لأحد نعمة ولا يد على أبي بكر، فلماذا فعل ذلك؟ ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ فعل ذلك لوجه الله ﷻ.

وليس بلال وحده الذي أعتقه سيدنا أبو بكر، فقد أعتق سبعة من المؤمنين المستضعفين، لينقذهم من شدة وسطوة بأس الكافرين.

وأبوه في هذا الوقت لم يكن قد دخل الإسلام، لأنه قد أسلم في عام الفتح، حتى أن سيدنا أبو بكر عندما هاجر إلى المدينة تركه في مكة وحده، لأنه لا يوجد عندنا إكراه في الدين: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) فقال له أبوه لما رآه يشتري هؤلاء الضعفاء: لم لا تشتري عبيداً أقوياء يكونوا سند لك وتعتمد عليهم؟! قال: يا أبت هؤلاء سندي عند الله ﷻ!، فأبوه في واد، وهو في واد آخر!!، فهو يريد سنده عند الله ﷻ وليس عند خلق الله.


أكرم الله للصديق

ولذلك أكرمه الله، فكما خصَّ الله حضرة النبي بعباء لم يحصل عليه أحد من الأنبياء أشرك أبو بكر في هذا العطاء، فسيدنا موسى أسرع ليقابل الله على طور سيناء: ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (٨٤طه) أسرع لترضى عني، لكن سيدنا رسول الله قال له الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (الصحى) يعني سيعطيك الله في الزمن القادم وفي الآخرة، سيعطيك ما تريد إلى أن ترضى.

سيدنا جعفر الصادق عليه السلام قال: (ولئن يرضى وواحد من أمته في النار) لما نزلت هذه الآية اجتمع أصحاب رسول الله في المسجد فرحاً بهذه الآية، وقالوا: لم نفرح بشيء فرحنا بنزول هذه الآية!، وقال فيها سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه:

قرأنا في الضحى ولسوف يُعطي
وحاشا يا رسول الله ترضى
فسرّ قلوبنا ذاك العطاء
وفينا من يُعذب أو يُساء

لن يرضى أبداً إلا بعد أن يأخذ شهادات عفو من العفو عليه السلام لمن دخل جهنم، ويُدخلهم الجنة إن شاء الله.

نفس العطاء أعطاه الله لسيدنا أبو بكر فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ 

سيعطيه كل ما يريد إلى أن يرضى!! ..

ما هذا الفضل العظيم!؟.

هذا الفضل ليس لأبي بكر وحده، ولكن لكل من يمشي على هذا الهدى الكريم، يعمل العمل لله، ولا يبتغي به إلا وجه الله، ولا يطلب الأجر والثواب إلا من حضرة الله، ويشترى بكل ما يملك الطيبات التي جهّزها الله للصالحين من عباد الله.

الذي يمشي على هذا المنوال سيأخذ رتبة الصديق، ويكون من: ﴿وَالصّٰدِقِيْنَ﴾

(٦٩ النساء) وأولهم أبو بكر الصديق!!..

وهناك صديقون في الأمة إلى يوم القيامة، وهم الذين مشوا على هذا النهج القويم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئنا لأحسن الأعمال فإنه لا يهيئ لأحسنها إلا هو، وأن يرزقنا راحة البال، ويجعلنا دائماً وأبداً من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضرين المطيعين لحضرتة في كل وقت وحين، وأن لا يشغلنا بالدنيا طرفة عين ولا أقل عن الإقبال على حضرتة، وعن حسن الاقتداء بخير بريته، وأن يبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقواتنا، وأن يبارك لنا في أولادنا وبناتنا وزوجاتنا، وأن يبارك لنا في أموالنا، وأن يبارك لنا في أوقاتنا، وأن يبارك لنا في كل أحوالنا حتى نكون من الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَأُوهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ

عَنَّهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؕ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ

رَبَّهُ ﴿٨﴾ (البينة)

٢١. خير البرية ٣١

*** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله على هداه، والشكر لله على عطاءه، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه، وكل من آمن به وصدَّق به ورآه، وكل من آمن وصدَّق ولم يحظ برؤياه، واجمعنا جميعاً من الأولين والآخريين ظاهراً وباطناً على حضرة حبيب الله ومصطفاه؛ في الدنيا ويوم لقاء الله .. آمين آمين يارب العالمين.

الآيات التي معنا ومثلها كثير في كتاب الله، ذكرت أن شرط الإيمان لا بد أن يُقرن به العمل الصالح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وكلمة الصالحات تجمع كل الآيات التي في كتاب الله التي تحض على الخيرات والمبرات والفرائض والواجبات، وكل الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ التي تحبب في النوافل والقربات.

فكل ذلك لا بد منه للمؤمن إن أراد أن ينال رضا مولاه، وأن يبلغ الدرجات العلى فوق الجنة.

فهناك الجنة، وهي منازل، وهناك فوق منازل الجنة منزلة أعلى وأرقى اسمها منزلة الرضوان: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٧٢ التوبة) أكبر من كل نعيم في الجنة.

أفضل الأعمال الصالحة

الذي يريد هذه الرتب العلية، وهذه العطاءات التي لأهل الخصوصية فلا بد أن يواظب أن يكون كما قال رب البرية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقوم بكل الصالحات بدون استثناء.

ونحن في هذا الزمان ابتلينا في كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام والإيمان، فهم يوقفون الأعمال الصالحة على العبادات الظاهرة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ونسوا أركان الإسلام التي جاء بها الحبيب المصطفى ﷺ.

فأركان العبادات، قال فيها ﷺ:

{ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ }^{٣٣٢}

لكن أركان الإسلام عقيدة حقة، وعبادات خاصة لله، ومعاملات حسنة مع خلق الله، وأخلاق كريمة مع جميع عباد الله، فهذه أربع أركان.

ومن أراد أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا بد أن يجتهد في هؤلاء الأربع، سئل النبي ﷺ: أيهما أفضل عبد يعتزل الخلق ليتفرغ لعبادة الله، أم رجل يخالط الخلق ويصبر على أذاهم؟ فقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ }^{٣٣٣}

العبادات المعروفة بينك وبين الله، ويجمعها قول الله جل في علاه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦: فصلت) لو أحييت الليل كله فهل سنأخذ شيء منك؟! لا، فهو لك أنت، ولو قرأت القرآن كل يوم مرة، فلمن هذا؟ لك أنت، ولو صمت طوال العام، فلمن هذا؟ لك أنت، ولو حججت كل عام، فلمن هذا؟ لك أنت، كل هذه الأعمال لك أنت.

لكن أفضل الأعمال التي يتقرب بها الصالحون إلى الواحد المتعال العمل المتعدي إلى الغير، والذي يكون فيه نصيب من الخير للغير.

إذا كان الإنسان بعمله هذا سيخفف عن فقير مسكين، أو سيجبر خاطر يتيم، أو يعين رجل كبير في السن لا يستطيع الحركة إلا بصعوبة، أو يخفف الحزن عن مسلم مرت به ظروف جعلته يستشعر الألم والحزن، أو يخفف الوحدة والعزلة عن المريض، ويؤنسه في مرضه ولو لدقائق أو لحظات ...

هذه هي الأعمال الأرقى في السنن والنوافل التي نتقرب بها إلى الله ﷻ.

٣٣٢ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٣٣ جامع الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما

عبادة الصلح بين المتخاصمين

لكننا متفقين أن الفرائض ليس فيها تفريط، وأنا أتكلم عن السنن، فلو أحيا رجل الليل من صلاة العشاء إلى الفجر قائماً بين يدي الله يُصلي لله، ورجل آخر رأى اثنين متخاصمين فجلس معهما بعد صلاة العشاء يحاول أن يصلحهما، فأيهما أعلى في الأجر والثواب؟! لن نقرر نحن، لكن الذي يقرر الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ }^{٣٣٤}

ويقصد النبي في الحديث السنن والنوافل وليس الفرائض، لأن الفرائض ليس فيها نقاش، فالأفضل من هذه السنن أن أجد اثنين بينهما شحنة وأزيل هذه الشحنة وأردهما للمودة والنقاء والأخوة والصفاء.

هذا العمل أفضل من قيام ليلة إن كان في الصلاة، أو في تلاوة القرآن، أو في ذكر الأسماء، أو في أي عمل من الأعمال النفعية، فالأفضل من ذلك كله الإصلاح بين المؤمنين والمؤمنات.

الحقيقة أن آباءنا وأجدادنا كانوا على الفطرة النقية، مع أن معظمهم كانوا أميين من ناحية التعليم، لكن قلوبهم كانت مملوءة بالحب والصفاء والنقاء والمودة لكل من حولهم من الخلق، فكان عندما يحدث شيء من الخلاف بين اثنين في شارع، فإن رجال الشارع لا ينامون ويجمعون ويقولون: لن نرتاح حتى نصلحهما وبيتنا متصالحين ومسرورين وفرحين!.

لا ينتظر أحد منهم أن يتدبه أحد ليقوم بالصلح، كما يحدث الآن، فلو قلت لأحد: لماذا لم تصلح فلان وفلان؟! فيقول: لم يتدبني أحد!، ولم يطلبني أحد!، لكن هل تنتظر أن يطلبك أو يتدبك احد لتصلح بين مسلم ومسلم؟! مادمت رأيت خصام بين اثنين أو جماعة، فحقوق الإيمان وحقوق إخوانك المؤمنين التي وفقها الرحمن، وأخذها النبي العدنان، تقتضي أنك من نفسك تبذل ما في وسعك، وتستعين بمن معك من أهل النقاء والصفاء

لتُصلح بين المتخاصمين.

قد يذهب رجل ليُصلح لكن نيته أن يبين لمن حوله أنه قام بالمهمة، فلن يتم الصلح، متى يتم الصلح حتماً ولا بد؟ إذا نوى نية صادقة أن يُصلح بين هؤلاء، طلباً لمرضاة الله، وابتغاء وجه الله، لا طلباً للعلو في الدنيا ولا حب الظهور، وإنما رغبة في ارضاء الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

والله ﷻ وَصَّحَ لَنَا هَذَا النِّظَامَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ تَشْرِيعِ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ لَنَا جَمِيعاً: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ ماذا نفعل يا رب؟ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (٩ الحجرات) ولكن تراعي العدالة، فإياك أن تميل مع فريق على فريق!.

وكلمة (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) تكليف من الله لكل المؤمنين القريبين الذين يستطيعون أن يتقدموا بمبادرة الصلح، ولو تأخر واحد منهم سيأتي يوم القيامة ويؤاخذ ويعاتب من الله ومن حبيب الله ومصطفاه، لماذا تركت إخوانك المؤمنين متخاصمين؟! وكان بإمكانك أن تُصلح بينهم ولم تتدخل!.

هل تريد أن لا تتدخل إلا إذا كان لك شيك سينصرف أو عمل سترُفع به، أو أجر سترُفع به؟!، هذا ليس حال المؤمنين، لكنك تتقدم بنفسك وتُصلح إذا كان بين فردين أو جماعتين من المؤمنين.

إذا كان الخلاف بين رجل وزوجته، ونحن جيران لهما، أو معنا في الشارع، أو هو زميل لي في العمل، وهناك صلة بيني وبينه، فهل نتركهم ونشاهد فقط؟!، مَنْ الذي يُصلح؟! البعض يقول: لجنة الصلح في هذا المكان، لكن لجنة الصلح قد يكون معها كثير من الخلافات!، لذلك كل واحد من المسلمين عضو في لجنة الصلح بين المؤمنين، فلا تستصغر نفسك، لأنك لو استعنت بريك فإن الله يحول لك كل عسير إلى يسير، لكن اذهب واستعن بالله، ونفذ مراد الله في كتاب الله جل في علاه.

إذا لم نستطع أن نصلح بينهما فنعلم كما قال الله: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (٣٥ النساء) واحد من طرفه، وواحد من طرفها، وانظروا للحكمة الإلهية: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٣٥ النساء).

حدث خلاف بين رجل وزوجته في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فطلب واحد من طرفه وواحد من طرفها، وطلب منهما أن يذهبا ليُصلحا بينهما، فذهبا وعادا ولم يُصلحا بينهما، فقال لهما عمر: نيتكما غير خالصة لله، فأخلصا النية لله وابتغيا فعل الخير لله وسيتم الصلح إن شاء الله، وأمرهما بتجديد النية أمامه، فجددا النية وذهبا، ولما عادا قالوا: أصلحنا بينهما والحمد لله!!، لأن الله قال ذلك:

﴿ إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (النساء: ٣٥).

صفات مجتمع المؤمنين

فمشاكل المسلمين وخصومات وخلافات المسلمين التي ملأت المجتمع سببها الحقد والحسد والكره والبغض، وهذه خصائص وأمراض لم تكن موجودة في مجتمعات المؤمنين، لأن مجتمعات المؤمنين يقول فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى }^{٣٣٥}

تريد أن ترى المسلمين تراهم في التواد بينهم، وفي التراحم بينهم، وفي التعاطف بينهم، لكن الصلاة كل واحد منهم هذا بينه وبين الله، فكلنا نقف بين يدي الله في الصلاة، لكن هل كلنا في الأجر سواء؟ لا، فكل واحد منهم على قدر نيته، وهذا لا يؤثر على هذا، لأن كل واحد له أجره وثوابه على قدر نيته عند ربه.

نحن نريد أن نظهر جمال الإسلام، ولذلك لا بد أن نأخذ ما ركز عليه الحبيب المصطفى من المحبة والمودة والوئام وغيرها من الصفات الطيبة بين المسلمين والمسلمات.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركوا ذلك .. والصالحون من بعدهم مشوا على ذلك، والذين نسمع عنهم أنه كان يُصلي في الليلة خمسمائة ركعة، أو يصوم الدهر كله، أو يتلو القرآن كل يوم وليلة، وغير ذلك، فهؤلاء اسمهم العُباد، ولا شأن لنا بهم، لكن الصالحين غير ذلك، فالصالحون على نصح الأولين.

٣٣٥ صحيح البخاري ومسنود أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه.

تهجد أبي بكر وعم

سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما كم ركعة كان يصلها أحدهما في الليلة لله؟! كيف كان تهجدهما لنمشي عليه ونكون من الصديقين؟! كان أحدهما يبحث في المدينة ليرى المنقطعين من أمة محمد ﷺ، وهم الذين لا زائر لهم، ولا جليس لهم، ولا أنيس لهم، وما أكثرهم في هذا الزمان، فتجد الرجل وقد تزوج أولاده بعيداً عنه، وانشغل كل واحد منهم بنفسه عنه، فأصبح وحيداً، وكذلك إن كانت امرأة، فنفس الأمر.

فكانوا يبحثون عن مثل هؤلاء، ماذا يفعلون لهم؟ يقدمون لهم الخدمة الواجبة لوجه الله ﷻ، فلا يقضون الليل بين جدران مسجد رسول الله!!، ولكن يأخذون الليل في شوارع المدينة يتحسسون ويبحثون عن المستضعفين من عباد الله.

سيدنا عمر كان يبحث فوجد امرأة مقعدة وليس معها أحد، وكما ذهب قبل الفجر حتى لا يراه أحد - لأنه يريد العمل خالصاً لله، - فيجد البيت مكنوس ومرشوش، وعندها الماء والطعام، وتكرر الأمر أكثر من مرة، فسألها: من الذي يفعل لك ذلك؟ فقالت له: رجل، فقال: من هو؟ قالت: لا أعرفه، لم يُعرّفها بنفسه لأنه يُعرّف الخالق ﷻ!!.

فنوى أن يذهب مبكراً ويختبأ ليرى من هذا الرجل، فوجده سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، يأتي كل ليلة ليقوم بهذا العمل.

وسيدنا عمر جمع المسلمين على صلاة القيام في رمضان، وأمر سيدنا أبي بن كعب أن يُصلي بهم صلاة القيام، وكان يتركهم في صلاة القيام ويذهب يبحث في طرقات المدينة عن المساكين الذين يحتاجون إلى المساعدة والمعونة.

ذات مرة سمع بكاء أطفال صغار، وهناك موقد نار وعليه إناء به ماء، وبجواره امرأة، فقال لها: لما لا تُسكتي هؤلاء الصبية؟! ولكن الأطفال لم يسكتوا!!، فقال لها: هل هذا الطعام أمامه وقت كثير ليستوي؟ فقالت له: أي طعام؟! هذا ماء فقط أو همهم به حتى يناموا!!، فأسرع وكان معه سيدنا عبد الرحمن بن عوف، إلى بيت مال المسلمين، فالآخرون يصلون التراويح لكن كانت تراويحه في قضاء حاجات المسلمين.

ففتح بيت المال وأخرج جوالاً من الدقيق وسمناً، وحمله على ظهره، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف: أحمله عنك يا أمير المؤمنين، فقال له: أتحمّل عني أوزاري يوم القيامة؟! وأخذ الدقيق والسمن وذهب لهذه المرأة، وقال لها ضعِي الدقيق على السمن واصنعي لهم ما يسمى بالعصيدة.

وقال لها: أنت ستسوي الطعام، وأنا أنفخ لك على النار، فاختر المهنة الشاقة!!، وخرج الدخان فاسودّ وجهه وشعر لحيته، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين دعني أفعل مكانك، فيقول له: أتحمّل عني أوزاري يوم القيامة?!.

فهذه عبادة سيدنا عمر ؓ وأرضاه.

وفي يوم آخر وجد رجلاً قادماً من البادية ونصب خيمة أقام فيها، وزوجته تتألم، فسأله عن سبب ألمها؟ فقال له: إنها في حالة ولادة، وليس معها أحد، فأسرع إلى بيته، وأخذ زوجته السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي ؓ وكرّم الله وجهه، وحمل معه ما يلزم المولود وأم المولود من طعام وكسوة، وأدخل زوجته الخيمة لتشرف على وضع المرأة، وكانت النساء في ذلك الزمان وإلى عهد قريب يُلهمهم الله - لصفاء نياتهم وصدق إراداتهم - عملية الولادة بدون تعليم طبيب ولا أخذ دواء، وكانت تتم ببسر وتيسير غريب وعجيب!!.

وهذا الرجل كان لا يعرف سيدنا عمر، وبعد أن أنهت زوجة سيدنا عمر الولادة، قالت: يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام، فبُهِت الرجل لما عرف أنه أمير المؤمنين، وقال: أمير المؤمنين وزوجته جاء ليُولدًا زوجتي!!.

هذه كانت أعمال الصحابة المباركين الأولين رضوان الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ومشى على هذا المنهاج كل الصالحين إلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين.

سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين ؓ وأرضاه كان من الوجهاء والأغنياء، فكان يملك بساتين ومزارع، ولديه أولاد وخدم، وعنده كل ما عند الأغنياء في زمانه، وعندما حضرته الوفاة وأرادوا أن يُغسلوه وجدوا في ظهره من أعلى شيء مثل الكالوا الكبير، كأنه كان يشتغل عتال (شبال أو حمّال) فتعجبوا.

وبعد مرور مدة من الزمن وجدوا أن ثلاثين بيتاً في المدينة انكشفت أحوالهم ولم يعودوا

نفس، وهؤلاء مع الشهوة والنفس تغلبوا عليهم، وعملوا ما لم تصنعه الملائكة المقربين في الطاعة التي يُرضون بها رب العالمين ﷻ.

ولذلك عندما ننظر في القرآن، هل نحن الذين نزور الملائكة، أم هم؟ هم الذين سيُزورون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لم يقل تنزل، ولكن (تتنزل) يعني باستمرار: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت) يعني نحن خدمكم في الحياة الدنيا والآخرة.

من الذي سيخدم الآخر في الجنة؟ هل نحن أم الملائكة؟! الملائكة: ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢١﴾ سَلَّمٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَيَعْمُ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر).

فالإنسان الذي مشى على منهج النبي العدنان، وعلى منهج الخلفاء الراشدين، وعلى منهج الصالحين الهادين المهديين، فهو أعلى قدراً عند الله تعالى من الملائكة أجمعين.

حتى في ليلة القدر، فإن أمين الوحي جبريل ينزل ومعه جماعة من الملائكة، ويعطي لهم خطوط سير، فيذهب كل واحد منهم لرجل من المؤمنين، أو لثلاثة من المؤمنين، يُبشِّره بفضل الله، ويبلغه السلام من الله تبارك وتعالى، حتى نعرف أن هؤلاء أفضل البرية، يعني أفضل الخليقة قدراً ومقاماً وأجراً وثواباً عند من يقول للشيء كن فيكون.

جنات عدن

هؤلاء ما جزاؤهم؟

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ليس جنة واحدة، ولكن كل واحد منهم له جنات، على حسب مقامه وقدره عند رفيع الدرجات ﷻ.

وكلمة (عدن) يعني إقامة، فجنات عدن يعني جنات يقيم فيها ويديم المقام فيها، لا يخرج منها أبداً... هذه الجنات تجري من تحتها الأنهار: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ

كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١٥﴾ الثمرات التي تخطر على البال، أو حتى التي تلوح في الخيال عنده، لأن الله تبارك وتعالى يريد إكرامهم وتنعيمهم.

هذه الجنة لو سيمكنوا فيها فترة ثم يخرجوا لن يتهنوا وسيحزنوا، لكن الله طمأنهم وقال: ﴿ حَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾.

مقام الرضوان

بعد أن يدخلوا هذه الجنات يريد الله أن يرفع قدرهم إلى مقام الرضوان، فيقول لهم:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } ٣٣٨

فينالون مقام الرضوان، والذي قال لنا فيه الله: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ رضي الله عنهم لأنهم امتثلوا لأمر الله، وتابعوا حبيبه ومصطفاه، وكان كل همهم في الدنيا من وراء أعمالهم النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في علاه.

وهم رضوا عنه لأنهم في الدنيا رضوا عن الله في أقداره، فلم يتسخط واحد منهم على قضاء قضاءه عليه مولاه، ولذلك المؤمن الحريص على أن يكون من أهل هذه المقامات العالية يحرص جداً على الرضا ... فإياك في يوم من الأيام أن تضحك عليك نفسك وتقول حتى ولو في نفسك: لماذا يارب لا تغير حالي؟! ولماذا لا تبدل فقري؟! وغير ذلك، لأنك بهذا أنت غير راض عن الله ﷻ.

لكن كونك من أهل الإيمان فانت موقن تمام الإيقان أن الله يختار لك الأفضل والأحسن والأعظم لك في الدنيا ويوم لقاء حضرة الديان ﷻ، وهو يقول لنا في الحديث القدسي لنعي ذلك جيداً:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْغِنَىٰ وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَإِنْ بَسَطْتُ لَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسَقَمْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا السَّقَمُ وَلَوْ أَصَحَّحْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ } ٣٣٩

من العباد لو وسَّع عليه الله لذهب للخمر والمخدرات والنساء، وبذلك سيضيع، ولذلك الفقر له دواء، ومن العباد لو أصححه الله لافترى على عباد الله، ويريد أن يضرب هذا، ويقتل هذا، وبذلك سيضيع، ولذلك المرض له دواء.

وكما ورد في الأثر: (لو أطلعتهم على الغيب لاخترتم الواقع) ستختار الذي اختاره لك الله ﷻ، لأن الله وهو العليم الحكيم، أعلم بما ينفعنا، وما يرفعنا، وما يضرننا، وما يسبب البلاء الذي لا نطقه لنا، فترضى بقضاء الله.

ولكن ليس معنى ذلك أن نترك السعي والأسباب!، لكن نسعى ونأخذ بالأسباب ثم بعد ذلك نتوكل على مسبب الأسباب، ونرضى بما قدره الله ﷻ لنا.

فضيلة الرضا عن الله

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ عدَّ علوم الإيمان، عندما سأله سيدنا جبريل عن الإيمان:

فقد ورد أن سيدنا جبريل جاء إلى رسول الله وهو بين أصحابه في صورة رجل لا يظهر عليه أثر السفر، وجلس أمامه جلسة التشهد ووضع يديه على ركبتيه، وهنا قال البعض أن جبريل وضع يديه على ركبتي النبي، وهذا لا يصح لأن هذا ليس من أدب الملائكة الكرام، ولكنه جلس كجلسة التشهد ووضع يديه على ركبتيه هو، فلا بد أن نأخذ بالناس من الفقه في الأحاديث النبوية.

وسأل حضرة النبي لتتعلم الناس، فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشرط الساعة، فلما سأله عن الإيمان قال له:

٣٣٩ حلية الأولياء لأبي نعيم وابن عساكر عن أنس ؓ.

{ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَابْتِغَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلُوهُ وَمُورُهُ } ٣٤٠

الإيمان بالله سهل: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
(٣٨ الزمر) وكلنا نؤمن بالملائكة والكتب والرسول والقيامة وغير ذلك، لكن الامتحان يظهر في
القضاء والقدر الذي قضاه علينا صاحب القوى والقدر تبارك وتعالى.

ولذلك علمنا حضرة النبي أن نقول في كل صباح وكل مساء كما أخبر:

{ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ
رَسُولًا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ } ٣٤١

إذا رضيت يعطيك الحبيب البشري:

{ اَرْضَ يَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } ٣٤٢

من أغنى الناس في الدنيا كلها؟ أهل الرضا عن الله، وأهل القناعة بالأرزاق التي تولاهم
بها الله جل في علاه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

والصفة الأساسية التي بها التقييم عند العزيز العليم:

﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾

الذي امتلأ قلبه بالخشية من الله، والخوف من الله، ومراقبة الله ﷻ، ويقينه بأن الله في
كل أنفاسه يطلع عليه ويراه.

نسأل الله ﷻ أن يملأ قلوبنا بخشيته، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الرضا عن حضرته،
وأن يرزقنا في الآخرة مقام الرضوان، وأن يوفقنا لخير الأعمال الصالحة التي تجعلنا مع النبي
العدنان، وأن يشرح صدورنا على الدوام، لما يرفع قدرنا عند الملك العلام
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٣٤٠ صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ

٣٤١ سنن أبي داود ومسنند أحمد

٣٤٢ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

(العصر)

٢٢. الناجون ٣٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أثار بصائرنا بنور الإيمان بالله، وأثلج صدورنا بسماع كلام الله، وأهّلنا ظاهراً وباطناً بجمته وفضله وجوده لأن نكون موقنين على الدوام للعمل بما يحبه ويرضاه، والصلاة والسلام على إمام كل إمام، وسيد كل سيد، ونبي كل نبي، ورسول كل رسول؛ سيدنا محمد الذي جعله مولاه حجة على الكافرين والجاحدين والمشركين، وحجة لنا يشفع لنا عند ربنا يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله المباركين، وصحابته الصادقين، وكل من مشى على نهجهم وصار على دربهم إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم في الحياة البرزخية والحياة الأخروية وفي جنة النعيم اجمعين.

المقصود بالعص

هذه السورة القصيرة مع قصر آياتها، وقلة عدد كلماتها فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله عنها: لو تدبر الناس هذه السورة لاكتفوا بها!

لأنها سورة جامعة، يكفي أن الله تعالى بدأها بالقسم:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ ﴾

وهذا القسم فيه معان لا تعد، وكلها إمداد من الواحد الأحد لمن اصطفاهم الله واجتباهم من عباد الله المفسرين والمتولين الصادقين، بعضهم قال: والعصر يعني عصر الدنيا كلها، من أول آدم إلى قيام الساعة، وهذا جائز، وبعضهم قال: والعصر يعني عصر النبوة، وهذا أفضل عصر كان في هذا الكون من أوله إلى آخره؛ فهو العصر الذي كان فيه حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم مؤيداً لهذا الرأي:

{ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ } ٣٤٤

وبعضهم قال: العصر هو وقت العصر في النهار، فالنهار فيه وقت الصبح، ووقت

٣٤٣ الأقصر - إسنا - الحميدات - ٣ من جمادي الآخرة ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م
٣٤٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الظهر، ووقت العصر، ووقت العصر يبدأ من حين انتهاء وقت الظهر إلى وقت الغروب، والذي فرض علينا فيه صلاة العصر، واستندوا إلى قول الرسول ﷺ الذي روته السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حينما قرأ ﷺ: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة ٢٣٨) وذكر بعدها مفسراً للصلاة الوسطى أنها صلاة العصر.

وبعضهم ذكر أن العصر يعني حياتك أنت، فعصرك يعني فترة حياتك التي تعيشها في الحياة الدنيا، وتكلف فيها بأداء ما يحبه الله وما يرضاه، وما أنزل لك من تشريعات على حبيبه ومصطفاه، وما فصله من أعمال وأحوال ينبغي أن تقوم بها في كتاب الله جل في علاه. معان كثيرة، وأكتفي بما ذكرته، ولا أريد الزيادة عليكم، وكلها تكاد تدور حول مفهوم واحد، أن العصر هو الوقت الذي يُطالب فيه الإنسان بالعمل بالشرائع الإلهية التي أنزلت على النبي العدنان ارضاءً لحضرة الرحمن، وطمعاً في دخول الجنان إن شاء الله تبارك وتعالى.

ساق لنا الله في هذه السورة قضية، هذه القضية قال فيها:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴾ :

أي إنسان مهما أوتي من أموال، ومهما أوتي من جاه، ومهما كان يملك من مقتنيات وممتلكات في هذه الحياة سيكون خاسر عندما يغادر الدنيا للقاء الله، إلا الذين فيهم الأوصاف الأربعة التي ذكرها الله في هذه السورة المباركة.

أوصاف الفائزين

من الذي يخرج من الدنيا وقد فاز وجاز؟ الذي فيه هذه الأربعة صفات، وهذا قد حاز القبول من الله، ونال رضاء حبيب الله ومصطفاه، وينجو من العذاب الذي جهَّزه الله لمن عاداه، ويدخل إلى الجنة ليتمتع بالنعيم الذي يُكرم به الله الصالحين من عباد الله.

ولذلك لا بد أن نأخذ بالناس جيداً ونتحقق بهذه الصفات ..

الأولى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

والثانية: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

والثالثة: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

والرابعة: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.

الذي به صفة واحدة من هؤلاء فهناك شكوك حول نجاته علي اليقين يوم لقاء رب العالمين، كما نسمع كثير من المتحزلقين الآن، تقول له: لماذا لا تُصلي يا فلان؟ فيقول: أنا مؤمن، والصلاة ليست كل شيء، ويقول: هناك أناس كثيرة تُصلي ولكنها تسرق وترشي وتفعل كذا وكذا، ويعدد لك، ليلتمس عذراً لنفسه، لكن هل هذه الأعذار مقبولة عند رب العالمين تبارك وتعالى!! لا.

الإيمان والعمل الصالح

كل آيات القرآن التي تتكلم عن الإيمان كما ذكرنا قبل ذلك يعقبها عمل الصالحات:

﴿ ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

لأن الإيمان دعوة، والدعوة تحتاج إلى دليل وبرهان، والدليل والبرهان على صدق الإيمان العمل بما يطالب به الله تبارك وتعالى أهل الإيمان.

لكنك تدعي الإيمان، وتتكلم دائماً وأبداً وتُثني على أهل الإيمان، وتترك نفسك على هواها تلعب بك وتمرح شرقاً وغرباً، وبعد ذلك تطمع أن يغفر الله لك ويُدخلك الجنة، كيف يكون ذلك!! أنت تطمع في محال.

حتى أن الذي سيغفر له الله، فإن شرط المغفرة أن يتوب ويرجع، لكن إذا وقع إنسان في ذنب ولم يتب، ولم يستشعر الندم، ولم يرجع إلى الله، ويسأل الله أن يقيله من هذا الذنب الذي فعله، فهل هذا سيتوب عليه الله ﷻ!! لا.

شرط التوبة أن الإنسان يشعر بوقع الذنب، ويشعر بالخجل من الله، وبالحياء من مولاه، فيضرع إلى الله، ويتوجه إليه بالألفاظ التي فيها استعطف لحضرة الله، وفيها سؤال برفق ولين لمولاه، حتى يتوب عليه الله ﷻ.

لذلك لا بد أن يكون مع الإيمان العمل الصالح، وكثير من المسلمين في هذا الزمان

والحمد لله ملتزمين بهذه الركنين، لكننا خالفنا الصحابة المباركين في الركنين الأخيرين: ﴿وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

النواصي بالحق

﴿وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ :

كثير منا عندما يرى إنسان يعمل عملاً لا يُرضي الله يقول: لا شأن لي، وغيره يقول: لا شأن لي، وآخر يقول: أنا أخاف إن وجهته أن يؤذيني أو يسبني.

لكن سيدنا رسول الله ﷺ علم أصحابه المباركين على غير هذا، فهناك أكثر من رواية عن أكثر من صحابي من صحابة حضرة النبي ﷺ، كان كل واحد فيهم يقول: أخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن ننصح لكل مسلم.

عندما أرى مسلماً يوم الجمعة مثلاً والأذان يؤذن وسيصعد الخطيب المنبر، وهو جالس في الشارع، أو يقف يتكلم مع فلان، فأقول له:

هيا يا فلان لصلاة الجمعة، وهذا كان نهج السلف الصالح.

إذا لم ينجل مني سينجلك من غيري أو من غيره، لأنه لو نصحه أكثر من واحد فلن يظل مكانه، وسيتحرك، حتى ولو لم يدخل المسجد سيختبئ.

وحضرة النبي ﷺ الشيء الذي كان يحرص عليه على الدوام؛ عدم المجاهرة بمعصية الله، وهذه حدثت في الزمن الذي نحن فيه الآن.

هل كان هناك أحد يستطيع في شهر رمضان أن يُخرج سجائر في أي شارع أو في مواصلات أو في أي مكان ويشربها أمام المؤمنين؟!!

لا، لأن الكل سينهره، وإذا وجد ذلك يستحي.

لكن الآن الكل يقول: لا شأن لي، ويخافون من أذيته، ولن يحدث شيء أبداً لو صدقت النية، وصفيت الطوية، وصممت على أن تعمل العمل الذي يُرضي رب البرية، فيستحيل أن يحدث لك شيء!!

لأنك ستكون في حماية الله، وكفاية الله، وحفظ الله، وصيانة الله، وكيفيك قول الله:
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٧).

الطريقة الصحيحة للنصيحة

فنحن كمسلمين مطالبين جميعاً بأن ننصح بعضنا نحن إخوة في الإيمان، ومقتضى الأخوة :

إذا رأيت أخاً لي زلَّ أو خلَّ في عمل من الأعمال أن أنصحه !!

لكن لا تكون النصيحة على الملاء، لأن النصيحة على الملاء فضيحة ..

أو لا تصل النصيحة إلى حد التشنيع، كأن أقول لأحد: فلان عمل كذا، وأذهب لغيره وأقول له: فلان عمل كذا، وأقول للثالث: فلان عمل كذا!!

لكننا مأمورين بستر المؤمنين، قال ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }^{٣٤٥}

مأمورين بستر بعضنا، لذلك لا بد أن تكون النصيحة بالطريقة الصحيحة، بيني وبينه، وبلطف، وبالموعظة الحسنة كما أخبر أحكم الحاكمين ﷺ.

والموعظة الحسنة يعني:

- لا أشتمه ولا أجرحه.

- ولكن أبين له خطأه باللطف واللين ..

حتى يرجع إلى رب العالمين ﷻ.

مجتمع المسلمين يظل في الخير أبد الأبدان ما دام رجاله مستمسكين بهذا الأمر .. والمراد عاملين، ولو تخاذلوا عن القيام بهذا الأمر وعن النصيحة سيكون للمستهترين كيان، ويصبح لهم صوت عال، ويريدون أن ينفذوا ما هم فيه رغم أنف كل الحاضرين، وذلك بسبب

٣٤٥ سنن ابن ماجه ومسنده أحمد عن أبي هريرة ؓ.

نسيان المسلمين التواصي بالحق الذي أمر به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

والله ﷻ ضرب لنا مثلاً عظيماً حتى لا نتعاطم النصيحة لأي أحد: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب) وهل النبي غير تقي لله؟! لا، لكن الله يوجه له هذا الخطاب حتى لا يستكبر أحد إذا نُصِح بتقوى الله وخشية الله، والخوف من الله، ولذلك سيدنا عمر ﷺ - وانظروا للأصحاب الأتقياء الأتقياء، - أول خطبة خطبها على منبر رسول الله في المدينة بعد تولى الخلافة قال: أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن وجدتم فيّ خيراً فأعينوني، وإن وجدتم فيّ أعوجاجاً فقوموني.

من الذي يقول؟ الخليفة!!، فقال له أحد الحاضرين: والله لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناك بسيفونا!، فلم يحزن، ولم يأمر بحبسه!، ولكن قال: الحمد لله الذي جعل في أمة رسول الله من يقوم عمر بسيفه.

شيء يُفرح أنهم وصلوا إلى هذه الشجاعة الأدبية، والشهامة الإيمانية، والجرأة في قول الحق لأي إنسان.

ولذلك كان يمشي في يوم الأيام هو وبعض صحبه، فإذا بامرأة عجوز تناديه وتقول له: تعالي يا عمر أنا أريدك - لم تقل له خليفة المؤمنين - فقالت له: أنت كنت ترعى الغنم في مكة بقراريط - دراهم - من الأجر وتُدعى عميراً، وأصبحت الآن تُسمى أمير المؤمنين، فاتقي الله في الرعية.

الذين كانوا حوله كعادتهم في كل زمان، قالوا لها: كيف تقولين لأمر المؤمنين هذا؟! فقال لهم: دعوها! هذه التي استمع الله لصوتها من فوق سبع سماوات، فهم لا يعرفونها، لكنها هي المرأة التي قال الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (المجادلة) ونزل البيان فوراً من حضرة الله لها، ثم قال لهم: لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها!.

إذا كنتموا الحق وصمتموا ضاع الحق! وكما ورد في الأثر:

(لعن الله قوماً أضاعوا الحق بينهم)، ...

سامحيني يا أم فلان فأنا أخطأت؟! سيستكبر ويستعظم أن يقول لها أخطأت، في حين أنك لو اعترفت بخطأك وطلبت منها أن تسامحك فإن كل الذي بداخلها سيذهب وينتهي، وستزيد المحبة والمودة، لأنها عرفت أنك رجل تعرف الحق وتقوم به ولو كان على نفسك.

قضية بين اثنين، وأنا أرى أن فلاناً على خطأ، وطلب مني أن أقول رأيي، فأقول: لا شأن لي، لأني لو قلت رأيي سيغضب فلان مني!!، فمن أين تأتي بشهود على الحق؟!؟

من أين تأتي بأناس يُظهرون الحق؟!؟

هل نستورد رجال يُظهرون الحق ونحن أهل دين الحق؟!؟

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٣٣ التوبة).

فنحن في حاجة في كل مجتمعاتنا على أن نعوّد أنفسنا على قول الحق ولو كان مرأاً!

مثلاً: نحن نصاب بعض في الله، ووجدت أحد الأحاب في الله ورسوله يُفصّل ولد من أولاده على بقية أولاده بدون سبب، والآخري يضطهدهم، فلو تركته فأنا شريك في هذا الإثم وهذه الجريمة !!

لكن حق الصداقة والأخوة يقتضي أن أنصح، فأقول له:

يا فلان هذا خطأ، فاهدي الإسلامي:

{ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ } ٣٥٠

سوا بين أولادكم حتى في القبلية، فلو قبلت واحداً لا بد أن تُقبل الآخريين ما داموا معك ويشاهدونك !

ولو كنت تحب واحد منهم أكثر من الآخريين، فلا تُظهر هذه المحبة أمام إخوته الآخريين حتى ينشأوا جميعاً على الحب لبعضهم.

هذه الأمور أفعال وليست أقوال!

أفعال وأحوال ينبغي أن يعيش فيها أفراد الأمة، لأنه يكفي أن لنا شرفاً عظيماً عند

الله، أن الله سيجعلنا شهداء وشفعاء على الأنبياء وأممهم.

كيف نشهد على الأنبياء وأممهم إلا إذا كنا عدول!!؟

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)

نحن الذين سنشهد على الأنبياء لأننا العدول الذين لا نميل إلا مع الحق أينما حلَّ وحيثما ذهب، فنبغي أن يكون أمرنا هذا جميعاً.

وأظن أنه لو احتيا بيننا هذا الخلق فلن نسمع عن مشكلة في بلد من البلاد، ولا عن خلاف بين أخ وأخيه، إن كان في الله أو في العصب والنسب، لأن الكل يريد الحق، ولا يريد إلا الحق لينال رضاء الله تبارك وتعالى.

النواصي بالصبر

فلا بد أن نوصي بعضنا لتغلب على كل ما في هذا الزمن من فتن، إن كانت فتن الغلاء، أو الأمراض، أو الوباء، أو ارتفاع نفقات التعليم، أو ارتفاع تكاليف الزواج .. كل شيء في الدنيا الآن يحتاج إلى جرعة من الصبر، فبدون الصبر هل يستطيع أحد أن يعيش؟! سيعيش، لكن قد يُغضب الله تبارك وتعالى.

الذي يعيش بالحلال في هذا الزمن يحتاج إلى الصبر الجميل، فلا بد من:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ :

نوصي بعضنا دائماً بالصبر.

طاعة الله تحتاج إلى الصبر، والبعد عن معاصي الله يحتاج إلى الصبر، والرضا بالقضاء الذي ينزل علينا من الله يحتاج إلى الصبر ... فحياة المؤمن كلها تدور حول الصبر، وبكفينا شرفاً وفخراً قول الله تبارك وتعالى لنا:

﴿ إِنَّمَا يُؤِتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر).

فيجب أن نُصبر بعضنا، فلو مرض إنسان وزاد مرضه، نجد البعض يقول أنه

يستحق!!، لماذا!!؟ هل قال ذلك حضرة الله أو حضرة النبي!!؟ لا، حضرة النبي ﷺ يحكي عن رب العزة فيقول:

{ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عَوَادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي ،
ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلُ } ٣٥١

يعني يغفر الله له ما مضى من الذنوب، ويأمره أن يستأنف العمل فيما بقي، فبالله عليكم لو ذكرنا هذا الحديث لرجل مريض بمرض طال وبعاني منه ماذا يحدث له؟ سيفرح ويُسّر لأنه عرف أنه سيأخذ أجر عظيم من العظيم ﷺ.

الذي سيمرض قبل موته، البعض هداهم الله يقول: إن الله غضبان عليه فأمرضه ساعة موته، والحبيب لم يقل ذلك، بل كما رُود بالأثر: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَمْرَضَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ).
الذي يحبه الله يأتيه ببعض المرض قبل أن يموت، قال ﷺ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ ثَلَاثِينَ سَنَةً } ٣٥٢

كل يوم يغفر له الله به ذنوب ثلاثين سنة لصبره على هذا الألم، وعلى هذا الداء، وعلى هذا المرض، فلذلك نحن في حاجة إلى معرفة الصبر جيداً، ونصبر إخواننا المؤمنين، فمن كان عنده ضيق رزق نصبره نقول له: إن شاء الله سيفتح لك باب:

{ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (البقرة ٢١٢)

وعندما يفتح هذا الباب سيأتيك خير كثير من عند الله ﷻ!!.

الذي ينتظر من الله أن يوجده له عمل، نقول له:

عليك أن تسعى وتدعو الله، وما دمت ستسعى وستدعو الله فلا بد أن يأتيك توفيق الله ورعاية الله، وسيأتيك عمل ترضاه، ويُعطي كل احتياجاتك وزيادة في هذه الحياة.

فنحن كلنا في حاجة إلى الصبر، لنصبر على هذا الزمان ..

٣٥١ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٣٥٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن عائشة ﷺ

ما الذي يجعل الناس تلجأ إلى المعاصي؟!

عدم الصبر !!

يريد أن يكون رجل غني في وقت يسير:

- فيعتقد أن الرزق البسيط من الحلال لن يبلغه ذلك !

- فيغش! أو يزيد في السعر!

- أو يغير في الصنف! ويدخل في أبواب الغش !!

فُتصبح أرزاقه كلها حراماً، وأصبحت صحائفه كلها ذنوب وآثام، ونُزعت البركة منه على مدى الأيام.

لكن يجب أن نَعلمه الصبر الجميل: ﴿

وَمَا يُقَلِّدُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَلِّدُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥ فصلت).

لذلك حتى يقينا الله من الهلاك والخسارة، ونكون من أهل النجاة والفلاح والنجاح

والفوز يوم القيامة نضع هذه الروشتة أمامنا:

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

ونعاهد الله على القيام بها كلها مجموعة.

ولذلك كان أصحاب حضرة النبي ﷺ كما يُروى عنهم إذا اجتمع نفران منهم لا

ينصرفا حتى يقرأ سورة العصر، ويُسلِّما على بعضهما ثم ينصرفا، لماذا؟ ليتعاهدوا على

العمل بسورة العصر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يملأ قلوبنا بتقواه، وأن يملأ جوانح أفئدتنا بحبه وحب حبيبه

ومصطفاه، وأن يكشف عنا كل حجاب حتى ننظر بنور الله، وأن يرفع عنا كل غطاء يحجبنا

عن النظر إلى وجه حبيبه ومصطفاه، وأن يجعلنا دائماً وأبداً لا نخشى إلا الله، ونقوم بكل

عمل بإخلاص قلب ووعي ويقين طمعاً في رضاء الله

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد

❁ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ



بالمهجرة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

❁ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر،

والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية. كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق

الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمي الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواضيع بالإنجليزية وكذا الكتب.

❁ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامي،

وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحابيه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

❁ هدفه: إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبتريسيخ

المبادئ القرآنية.

❁ مساهمات الشيخ الدعوية للإذاعة والتلفزيون:

ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التي تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التلفزيون المصرى أو غيرها من التي تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

١- خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها : *جمع من مسجد النور بجداق المعادى بالقاهرة ٣٥٣ ، جمع على من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢- : البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء. من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التلفزيون عدة مرات.

٤- إذاعة وسط الدلتا : * حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

٦- القناة الأولى بالتلفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج في زمرة النبي ﷺ.

٧- القناة السادسة: حلقات من برنامج "السيرة العطرة". وبرنامج "آيات محكمات".

٨- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

٩- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء"

١٠- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية" من مساجد مختلفة.

١١- القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

١٢- قناة القاهرة بالتلفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزال مستمران إلى تاريخه، وفي شهر رمضان ٢٠١٨ برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم.

١٣- قناة الدلتا التلفزيونية: برنامج "جدد حياتك" وما زال مستمرا.

المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية

الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحى الشيخ عديد المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا النوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى. كما شارك الشيخ وأحى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٣٥٣ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيرى بالمقطم .

قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة

حتى ٢٥ مارس ٢٠١٩م، خمس عشرة سلسلة تحتوي على ١١٢ كتاب

م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	م	ت	ط	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط
السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : ١٢						
١	نفحات من نور القرآن ١	٤				
١٤	نفحات من نور القرآن ٢	٤٨	١			
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	٩٣	١			
٩٦	تفسير آيات المقربين: ج ١	١٠٢	١			
١٠٣	حكمة لقمان ویر الوالدين	١٠٥	١			
١٠٨	تفسير آيات المقربين : ج ٤	١٠٩	١			
١١٢	تفسير آيات المقربين : ج ٥					
السلسلة الثانية : الفقهاء: ٩						
٣	زاد الحاج والمعتمر	٢				
٥	ماندة المسلم بين الدين و العلم	٥٢	٢			
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٧١	٢			
٧٢	إكرام الله للأموات	٩٥	١			
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١٠٤	١			
السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: ١١						
٤	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٧				
١٣	إشرافات الإسراء ج ١	٢٢	٢			
٢٣	الرحمة المهداة	٣٣	٢			
٣٥	إشرافات الإسراء ج ٢	٦١	١			
٧٠	ثانى اثنين	٨٥	١			
٨٧	تجليات المعراج	٩٠	١			
السلسلة ٤ : من أعلام الصوفية: ٧						
٢	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	١				
٣	الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة	٤١	١			
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم السوقى	٥٩	٢			
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١٠٧	١			
السلسلة الخامسة : الدين والحياة: ٧						
٢	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢٦				
٣٤	كيف يحبك الله	٣٩	٤			
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	٦٧	١			
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	٩٢	١			
السلسلة ٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧						
١	خطب المولد النبوى	١٦				
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١٨	١			
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	٢٠	١			
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	٥٥	١			

١	الإشافية النبوية للعصر	٧٨	السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية: ١	
---	------------------------	----	---	--

١	تربية القرآن لجيل الإيمان	٩	السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة: ٥	
٢	فتاوى جامعة للنساء	٤٤	٢	المؤمنات القاتنات
١	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهي	١٠٦	١	الحب والجنس في الإسلام.
				74

٢	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٦	السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله: ١٢	
٢	المجاهدة لصفاء و المشاهدة	٢٨	١	طريق المحبوبين وأذواقهم
١	رسالة الصالحين	٣١	١	علامات التوفيق لأهل التحقيق
١	تحفة المحبين في عشوراء للفاوقى (تحقيق)	٥٧	٢	مراقى الصالحين
١	أحسن القول	٦٤	١	نوافل المقربين
١	مجالس تزكية النفوس ج ١	٨٨	١	دعوة الشباب العصرية للإسلام
			١	مجالس تزكية النفوس ٢
				٨٩

٦	مفاتيح الفرج	٨	السلسلة العاشرة: الأفكار والأوراد: ٧	
٥	مختصر مفاتيح الفرج	٣٧	١	أذكار الأبرار
٢	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٤٠	٣	أذكار الأبرار صغير
٢	جامع الأذكار والأوراد	٧٣	١	نيل التهتي بالورد القرآني
				١٥
				٣٨
				٥٦

١	الصوفية و الحياة المعاصرة	١٠	السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦	
١	أبواب القرب و منازل التقريب	١٢	١	الصفاء والأصفاء
١	المنهج الصوفي و الحياة العصرية	٣٦	٣	الصوفية في القرآن و السنة
١	موازين الصالحين	٤٩	١	الولاية و الأولياء
١	النفس و صفها و تزكيتها	٥٣	١	الفتح العرفي
١	منهاج الواصلين	٦٣	١	سباحة العارفين
١	العطايا الصمدانية للأصفاء	٦٨	١	نسمات القرب
١	مقامات المقربين	٨٣	١	شرب أهل الوصل
			١	آداب المحبين لله
				٩٨

١	فتاوى جامعة للشباب	٢٤	السلسلة الثانية عشر : الفتاوى: ٦	
١	فتاوى فورية ج ٢	٨٠	١	فتاوى فورية ج ١
١	فتاوى فورية ج ٤	٨٦	١	فتاوى فورية ج ٣
			١	يسألونك
				١٠١

٢	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢٧	السلسلة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: ٤	
١	إشارات العارفين	٩٩	١	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية
				بينات الصور
				١١١

١	سؤالات غير المسلمين	٨١	السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: ٣	
١	أسئلة حرة عن الإسلام و المسلمين	٩٤	١	حوارات الإنسان المعاصر
				٨٢

٢	علاج الرزاق لطل الأزاق	٤٦	السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: ٥	
١	بشريات المؤمن في الآخرة	٦٢	٣	بشائر المؤمن عند الموت
١	الدعاء المستجاب	١١٠	١	بشائر الفضل الإلهي
				٤٧
				٦٦

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ شارع الشيخ ربحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفري الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسيني بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع محمد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلاني
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولي
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولي مدينة نصر
٩ شارع عدلي جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصناديقية بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الاسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفيية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامي الثقافي
٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك محمد سعيد موسى
٤ ش النبي دانيال، محطة مصر	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	مكتبة الصياد
٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	مكتبة سيبويه
محطة الرمل - أ/ أحمد الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	الكشك الأبيض

الأقاليم		
الزقازيق - بجوار مدرسة عبد العزيز علي	مُجَّد -----	كشك عبد الحافظ
الزقازيق - شارع نور الدين	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا - أمام مسجد السيد البدوي	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا - ٩ ش سعيد والمعتمض أمام كلية التجارة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قربة
كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامي أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ، أ/عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادي، أ/عاطف وفدي	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة - شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية
طلخا - المنصورة - بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبري طلخا	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	صحافة أخبار اليوم الحاج مُجَّد الأتري
فايد - أحماده غزالي بربري	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	مكتبة الإيمان
السويس، ش الشهداء، ح حسن مُجَّد خيرى	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	كشك الصحافة
سوهاج - شارع احمد عرابي أمام التكوين المهني	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	أولاد عبدالفتاح السمان
قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوي	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	كشك أبو الحسن
القرايا - إسنا - ش السيدة زينب - الحاج مُجَّد الريس والأستاذ مُجَّد رمضان مُجَّد النوي	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	كشك القرايا - إسنا
كشك حسنى مُجَّد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمدا بإسنا - الأقصر	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى بإسنا

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن

أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجاناً من موقع الشيخ

www.fawzyabuzeid.com ، أو على موقع www.askzad.com موقع

الكتاب العربي. أو الناشر:

دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،

ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

٣	مقدمة		
٥	الآيات (١٠ - ١٣) سورة الصف		
٦	١. تجارة لن تبور		
١٦	الإنفاق	٦	أسباب النزول
١٧	طلب العلم	٧	التجارة الرابحة
١٧	أجر المجاهدين	٨	النجاة من العذاب
١٨	النظر إلى وجه الله	٩	من أسرار البلاء
١٩	بشرى النصر	١٢	تجديد الإيمان
٢٠	الفتح المقرب	١٤	الجهاد الموصل
٢٢	الآيات (١ - ٤) سورة الجمعة		
٢٣	٢. رسول الأمين		
٣١	تزكية النفس	٢٣	تسييح الكائنات
٣٢	علوم الكتاب	٢٨	حكمة إرسال الرسول منا
٣٣	البشرى للمؤمنين المعاصرين	٢٩	مهمة النبي في أمته
٣٤	فضل الله	٢٩	تلاوة الآيات
		٣٠	عبادة التفكير
٣٥	الآيات (٩ - ١١) سورة الجمعة		
٣٦	٣. السعي إلى ذكر الله		
٤١	ابتغاء فضل الله	٣٧	الاستعداد لصلاة الجمعة
٤١	العقوق الخفي	٣٨	السعي إلى ذكر الله
٤٥	الآيات (٩ - ١١) سورة المنافقون		
٤٦	٤. المسارعة إلى الصالحات		
٥٠	الانشغال بالله عما سواه	٤٦	جهاد أهل اليمين
٥١	الاستعانة بذكر الله على إتمام الأعمال	٤٧	جهاد المقربين
٥٣	البذل والإنفاق	٤٨	المداومة على ذكر الله
		٤٩	الذكر الكثير
٥٦	الآيات (٧ - ٩) سورة التغابن		
٥٧	٥. أركان الإيمان		
٦٣	الافتداء بالنبي في أخلاقه ومعاملاته	٥٧	علم البدء وعلم النهاية

٦٥	حال المؤمن مع القرآن	٥٩	دحض حجج الكافرين
٦٧	مراقبة الله	٦٢	روشتة النجاة
٧٠	الآيات (١٠- ١١) سورة الطلاق		
٧١	٦. الأرزاق الحسان الإلهية		
٧٧	رسول النور والهداية	٧١	روضات الجنان
٧٨	حال أهل الجنة	٧٣	تقوى الله والخوف منه
٧٩	روشتة دخول الجنة	٧٤	علامات العقلاء
٨٠	الأرزاق الحسنة	٧٥	نعم الله الخاصة للمؤمنين
٨٢	الآية (٨) سورة التحريم		
٨٣	٧. التوبة النصوح		
٨٩	جزاء التائبين	٨٣	موقف المؤمن من الذنوب
٩١	فضل الله على المؤمنين في الآخرة	٨٤	التوبة النصوح
٩٢	أهل التكريم من الكريم	٨٥	التوبة وحقوق العباد
		٨٨	قبول التوبة
٩٤	الآيات (١٣- ١٤) سورة الحاقة		
٩٥	٨. علامات رضا الله تعالى عن العبد		
٩٨	نفخات الصور	٩٥	علامات رضا الله على العبد
١٠١	النشأة الأخرى	٩٥	مراقبة الله
١٠٣	العرض على الله	٩٦	تذكر الموت والدار الآخرة
		٩٧	تجهيز أرض القيامة للحساب
١٠٦	الآيات (١٩- ٣٥) سورة المعارج		
١٠٧	٩. أهل التكريم في الجنة		
١١٥	الحشية من عذاب الله	١٠٨	الأشفية القرآنية
١١٦	الأمان من الأمراض الجنسية العصرية	١٠٩	المناعة الإيمانية
١١٧	الأمانة ورعاية العهود	١١٠	المداومة على الصلاة في وقتها في جماعة
١١٨	الشهود العدول	١١١	فضائل صلاة الفجر
١١٩	المحافظة على أركان الصلاة وخشوعها	١١٢	الانفاق
١١٩	جنات الأكرام	١١٣	محاسن الصدقة
		١١٤	استشعار يوم القيامة

١٢٠	الآية (٢٠) سورة المزمل	
١٢١	١٠. أهل المعية	
١٣٠	برنامج المقربين	١٢١ عمل طلاب المقامات العالية
١٣٠	أولاً: قراءة ما تيسر من القرآن	١٢٤ كيفية قيام الليل
١٣١	ثانياً إقامة الصلاة	١٢٦ أعمال أهل المعية
١٣٢	ثالثاً: إيتاء الزكاة وإخراج الصدقات	١٢٦ أولاً: قيام الليل
١٣٥	رابعاً: أعمال البر وسبل الخيرات	١٢٧ ثانياً: قراءة القرآن
١٣٦	خامساً: الاستغفار	١٢٩ تيسير الله للمؤمنين
١٣٧	الآيات (٥- ١٢) سورة الإنسان	
١٣٨	١١. النعيم والملك الكبير	
١٤٥	وجهة المقربين في أعمالهم	١٣٨ نعيم الجنة ونعيم الدنيا
١٤٨	مقام خشية	١٤١ العين التي لعباد الله
١٥٠	جزاء الصادقين	١٤١ تفجير العين
		١٤٣ رجال الوفاء
١٥٢	الآيات (١٣- ٢٢) سورة الإنسان	
١٥٣	١٢. النعيم والملك الكبير (٢)	
١٥٧	نعيم الجنة	١٥٣ أهل الجنة العالية
١٦١	لباس أهل الجنة	١٥٤ النصر والسرور
١٦٣	الشراب الطهور	١٥٥ صفة الجنة
		١٥٦ نور المؤمنين في الآخرة
١٦٤	الآيات (٥- ٢٢) سورة الإنسان	
١٦٦	١٣. إشارات في سورة الإنسان	
١٦٨	العبودية لله	١٦٦ نذر الإمام علي والسيدة فاطمة
١٦٩	إشارات الطعام و آكلية	١٦٧ شراب الشريعة والحقيقة
		١٦٨ عين القلب
١٧٢	الآيات (٤١- ٥٠) سورة المرسلات	
١٧٣	١٤. جزاء المحسنين	
١٧٨	فواكه الجنة	١٧٤ مقامات القرب للمؤمنين
١٨٠	نعيم المحسنين	١٧٥ المحسنون
١٨٢	حكمة الركوع	١٧٦ في ظلال وعيون

١٨٤	الآيات (٣١ - ٤٠) سورة النبأ	
١٨٥	١٥. للمتقين مفازا	
١٩٣	المأذونون بالشفاعة	١٨٥ جنان المؤمن
١٩٦	اليوم الحق	١٨٦ وصف التقوى
١٩٧	جاهزية المؤمن للقاء الله	١٨٧ حدائق الجنة
٢٠١	الاستعداد للقاء الله	١٨٩ بين الحور العين والزوجة الصالحة
٢٠٣	أمنيات الكافر يوم القيامة	١٨٩ مجالس أهل الجنة
٢٠٤	أهل العزة يوم القيامة	١٩٢ موقف من يوم القيامة
٢٠٨	الآيات (١٨ - ٢٨) سورة المطففين	
٢٠٩	١٦. الرحيق المختوم	
٢١٦	أصناف الخلائق يوم القيامة	٢٠٩ لحظة تفكير
٢١٧	جزاء الصابرين	٢١٠ سابقة الحسنى
٢١٨	بركة الله للمؤمنين	٢١٢ فضل الله على المؤمنين
٢١٩	لذة النظر	٢١٤ نعيم الأبرار
٢٢١	التنافس في الخيرات	٢١٥ لذة طاعة الله
٢٢٣	الآيات (٨ - ١٦) سورة الفاشية	
٢٢٤	١٧. الوجوه الناعمة	
٢٢٩	نور الفراسة	٢٢٥ صورة وجوه الناس في الآخرة
٢٣١	أثر المداومة على ذكر الله	٢٢٧ نور التجليات الإلهية
٢٣٣	وجهاء الآخرة	٢٢٨ نور الله في الإنسان
٢٣٥	الآيات (٢٧ - ٣٠) سورة الفجر	
٢٣٦	١٨. النفس المطمئنة	
٢٤٤	موت النفس	٢٣٧ حقيقة الموت
٢٤٥	حياة البرزخ	٢٣٩ وصف الموت للمؤمن
٢٤٧	صلاة النبي على الأتقياء	٢٤١ مستقر أرواح المؤمنين
٢٤٨	حال المؤمن عند الموت	٢٤١ أسرار صلاة الجنائز
٢٤٩	الآيات (٢٧ - ٣٠) سورة الفجر	
٢٥٠	١٩. إشارات العارفين في خواتيم سورة الفجر	
٢٥٢	مراتب النفس	٢٥٠ الموتة الاختيارية
٢٥٥	أهل المنازل العالية في الجنة	٢٥١ المجاهدة للمشاهدة

٢٥٧	الآيات (١٢ - ٢١) سورة الليل		
٢٥٨	٢٠. الأتقى		
٢٦٤	النار والمؤمن	٢٥٨	الهدى هدى الله
٢٦٥	صفات الأتقى	٢٥٩	هداية الهداة
٢٦٦	أكرام الله للصدِّيق	٢٦٢	الصادق مع الله في غنى في الدارين
		٢٦٣	راحة البال
٢٦٨	الآيات (٧ - ٨) سورة البينة		
٢٦٩	٢١. خير البرية		
٢٧٧	جنات عدن	٢٦٩	أفضل الأعمال الصالحة
٢٧٨	مقام الرضوان	٢٧١	عبادة الصلح بين المتخاصمين
٢٧٩	فضيلة الرضا عن الله	٢٧٣	صفات مجتمع المؤمنين
		٢٧٤	تجدد أبي بكر وعمر
٢٨١	الآيات (١ - ٣) سورة العصر		
٢٨٢	٢٢. الناجون		
٢٨٦	الطريقة الصحيحة للنصيحة	٢٨٢	المقصود بالعصر
٢٨٨	نتائج الاعتراف بالخطأ	٢٨٣	أوصاف الفائزين
٢٩٠	التواصي بالصبر	٢٨٤	الإيمان والعمل الصالح
		٢٨٥	التواصي بالحق
٢٩٣	الخاتمة		
٢٩٩	الفهرست	٢٩٣	نبذة عن المؤلف
٣٠٤	شكر واجب	٢٩٥	قائمة مؤلفات الشيخ

تمَّ بحمد الله تعالى وهدايته وحسن توفيقه.

.. تحت الطبع للمرة الأولى ..

- ١- خصائصُ النبي ﷺ
- ٢- عبرٌ من حياة الصالحين ﷺ
- ٣- أوصاف المريد الصادق
- ٤- تفسير آيات النور

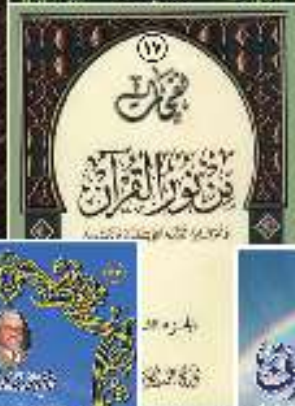
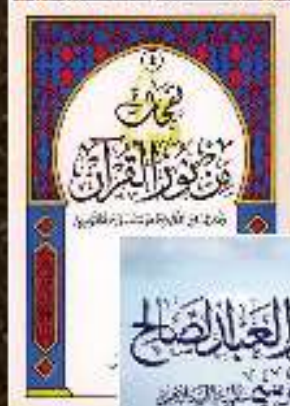
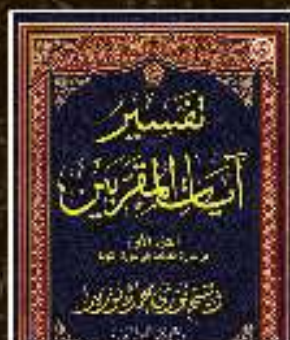
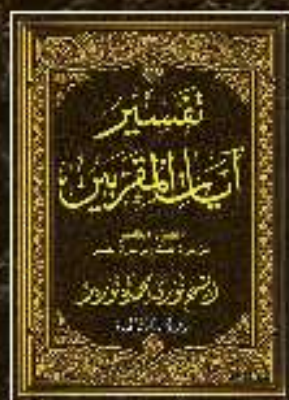
شُكْرٌ وَاجِبٌ

يتقدم فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد
بخالص الشكر والتحية للسادة الأفاضل
أصحاب دار النوبار للطباعة بالعبور،
ولكل العاملين بها بجميع الأقسام،
على مجهوداتهم الصادقة فى طباعة
مؤلفات فضيلته والتي تعدت المائة كتاب
على مدار السنين الطوال؛ بكل الإخلاص
والإجتهد، وبغاية الحرص والعناية
والتدقيق بكل شؤون الإخراج والطباعة
والمراجعة بجميع المراحل، فإلى المزيد من
الرقى والتقدم والنجاح والتوفيق ...

فوزى محمد أبوزيد



من مكتبة
تفسير القرآن الكريم
للشيخ فوزي محمد أبو زيد



زوروا موقع الشيخ www.Fawzyabuzaid.com



تطلب من دار الايمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادي - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة
القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزي محمد أبو زيد بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر